السبت 4 شباط 2023
العدد 4842 السنة السابعة عشرة
Samedi 4 Février 2023 no 4842 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

هنريك نوردبراندت
رحيل الشاعر المسكون بأشباح كثيرة

طُعمة السودان تشطب «اللاءات»: نريد إسرائيل... ولا شيء سواها [8]

جنبلاط لبرّي: لن أدخل في صدام مع حزب الله في انتخابات الرئاسة

لقاء باريس يكرّس التوازن السلبي [2]

اطلب القوس مع الأخبار

المصارف خلف «فرنسبنك»

مصلحتنا أولاً!

[2 ـ 3]

(مروان بو حيدر)

رحيل

ليندا مطر
غابت النسوية الحقيقية
4

تركيا

الغرب يجهر برغبته
لا نريد إردوغان
10

البلاد

نبض الضفة

ثورةٌ ديمومة، أم مقاومة آنيّة؟

[12-13]

أوراق النكبة

«وعد كامبون»
«بلفور الفرنسي» يسبق نظيره البريطاني بستة أشهر

[14 - 15]

قضية اليوم

تبنّي شروط الرياض: مطالبة بإصلاحات وتلويح بعقوبات

لقاء باريس يكرّس التوازن السلبي

ميسم رزق

لا يتوقع الكثير من لقاء باريس الخماسي الذي سيعقد على تطبيق «زوم»، المقرر الاثنين المقبل في غياب مؤشرات إقليمية أو دولية على قدرة المجتمعين أو رغبتهم في تحقيق اختراق في الملف الرئاسي الذي يبدو أنه سيراوح في فراغه طويلاً، رغم أن تمثيل الدول المشاركة لن يكون على مستوى متدنٍ، إذ تشارك في اللقاء مساعدة وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الاوسط باربرا ليف، مستشار الرئيس الفرنسي باتريك دوريل، مستشار الديوان الملكي السعودي نزار العلولا الى جانب السفير السعودي في بيروت وليد البخاري، مساعد وزير الخارجية المصري للشؤون العربية السفير علاء موسى الى جانب السفير نزيه النجاري، ونائب وزير الخارجية القطري السفير منصور العتيبي.

بيان الخارجية الفرنسية وصف اللقاء الذي يضم فرنسا والولايات المتّحدة والسعودية وقطر ومصر بأنه «محاولة لتشجيع السياسيين اللبنانيين على إيجاد مخرج للأزمة التي يتخبّط بلدهم فيها». لكن هناك «قناعة بصعوبة بلوغ تسوية في لبنان من خارج عملية ترسيم النفوذ في المنطقة»، وفق مصادر مطلعة بدت أكثر ميلاً للقول إن «لا نية لدى هذه العواصم، تحديداً الرياض وواشنطن، لفك الاشتباك في لبنان وحول رئاسته في الوقت الراهن». إذ إن باريس التي عملت على استمالة الرياض إلى الانخراط في تسوية مستقلة للبنان على قاعدة تفكيك الأزمات في المنطقة عن بعضها بعضاً، وجدت نفسها مُستدرجة إلى دفتر الشروط السعودي الذي سيكون الطبق الرئيسي على طاولة البحث، وسيكون هو نفسه محور البيان الختامي للاجتماع. وهذه الشروط هي خليط من بيان «جدّة» والبيان «الفرنسي – الأميركي – السعودي» و«الورقة الكويتية»، ما يعني التركيز على مطالب خارجية أكثر من التركيز على حاجات لبنان المباشرة، والإبقاء على المساعدات الاقتصادية رهن الموقف السياسي وما يقوم به اللبنانيون من خطوات تناسب الدول المانحة.

عشية الاجتماع، سادَ انطباع بأن ثمّة جهوداً داخلية تنصبّ على تأمين مناخ يُلاقي التطورات الإقليمية، وينتج منها رئيس تسوية للجمهورية. وعزّز هذا الانطباع حراك رئيس الحزب الاشتراكي وليد جنبلاط، والذي اقتصرت نتائجه على إخراج النائب ميشال معوّض والورقة البيضاء من لائحة المتنافسين والإعلان رسمياً، للمرة الأولى، عن قائد الجيش العماد جوزيف عون مرشحاً للفريق الذي يمثله جنبلاط، في مواجهة رئيس تيار المردة سليمان فرنجية المدعوم من ثنائي حزب الله وحركة أمل وحلفائهما.

ورغمَ ما أوحت به هذه الحركة من وضع قائد الجيش على سكة الترشيح الجدّي وتبنّيه من قبل الخارج، تحديداً السعودية، في ضوء زيارة السفير السعودي في لبنان وليد البخاري إلى اليرزة، يرتسم في لبنان سيناريو معاكس للآمال بالحل. إذ إن الوقائع المستجدّة كشفت عن مشهد ملتبس وحمّال أوجه طبعته اتجاهات سلبية من زوايا عدّة.

تبنّي عون يجعل منه مرشّح مواجهة يدفع بالطرف الآخر إلى مزيد من التشدد (هيثم الموسوي)

المعلن لعون من قبل فريق ومحور معين، ما يجعل منه مرشّح مواجهة يدفع بالطرف الآخر الذي يدعم فرنجية إلى التشدد أكثر في خياره، ويكرّس مرحلة التوازن السلبي على أن يُملأ الوقت الضائع بمزيد من تداعيات الفراغ على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وربما الأمنية.

الثانية، تماهي وزيرة الخارجية الفرنسية، كاترين كولونا، في مقابلة مع صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية، مع مواقف الرياض بالتأكيد على «تنفيذ الالتزامات مع شركائنا في منطقة الخليج، لا سيّما المملكة العربية السعودية، والتي تجسدت في استحداث آلية إنسانية مشتركة بداية من عام 2022»، وأن «تعزيز التفاهم مع المملكة هو أفضل ردّ على أنشطة إيران المزعزعة للاستقرار في المنطقة».

ثالثاً، ما يروّج له مقربون من المملكة والبخاري، عشية لقاء باريس، عن أن «الورقة التي ستصدر عنه لن تكون خارج الإطار الذي حددته سابقاً الدول المشاركة في بيان جدة والورقة الكويتية، لا سيما في ما يتعلق بالتزام لبنان مسار الإصلاح السياسي والاقتصادي والمالي، واعتماد سياسة النأي بالنفس والالتزام بالقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي، لا سيما القرارين 1559 و1701، ما يعني تمسّك الأطراف وتحديداً الرياض بسقف شروط عال سيمدد الأزمة».

وقالت مصادر مطلعة أن «اللقاء سيؤكد على وجوب تسريع إنهاء الشغور الرئاسي، ووضع مواصفات للرئيس المقبل لا تنطبق على مرشح الفريق الآخر من دون الدخول في أسماء معينة». كما سيشدد على تنفيذ الإصلاحات الهيكلية والاقتصادية المطلوبة بشكل عاجل لمواجهة الأزمات السياسية والاقتصادية، وتحديداً الإصلاحات اللازمة للتوصل إلى اتفاق مع صندوق النقد الدولي، بما يُتيح حشد المساعدات المالية المطلوبة»، مع «إمكانية التهديد بفرض عقوبات على الجهات التي تعيق تنفيذ هذه الإصلاحات».

على الغلاف

المصارف خلف «فرنسبنك»: مصلحتنا أولاً!

محمد وهبة

أثار قرار رئيسة الغرفة الثانية في محكمة التمييز في بيروت، القاضية مادي مطران، بالحجز على موجودات «فرنسبنك» ضماناً لتحصيل ودائع عدد من الزبائن، لغطاً استغلّه المصرف لترويج ادعاءات يمكن تصنيفها بأنها «كاذبة» وتهدف إلى التأثير مسبقاً في قرار مجلس النواب بشأن مشروع قانون الـ«كابيتال كونترول»، الذي ستدرسه الهيئة العامة قريباً.

القاضية قرّرت أن تكرّس قرار محكمة التنفيذ القاضي بحجز موجودات المصرف ضمانة لتحصيل دين المودعين، رغم أن محكمة الاستئناف قضت بمنح المصرف قوّة الإبراء تجاه الزبائن بواسطة الشيك المصرفي المعروض عند كاتب العدل. وهذا يعني أن الفصل النهائي بالدعوى المقامة لم يحصل بعد، إنما كل ما حصل هو إعادة القضية إلى مسار النزاع الذي لم يبتّ فيه بعد. بمعنى أوضح، الحكم الصادر لم يحسم «الإشكالية الكبرى» بشأن إيفاء الودائع بذات عملة الإيداع وبالطريقة التي يطلبها المودع (نقداً، تحويلاً إلى حساب آخر في لبنان أو الخارج، شيكاً مصرفياً). هذه الإشكالية ما زالت قائمة، وإن كان قرار حجز الموجودات وقرار التمييز يفتحان نافذة عليها. أقوى ما في هذا القرار هو أنه يتيح كبح تعسّف هذا المصرف، وغيره من المصارف التي تدعو الزبائن، بعد إغلاق حساباتهم، إلى قبض ودائعهم بعد إيداعها لدى كاتب العدل بشيك مصرفي مسحوب على مصرف لبنان.

إذاً، المسألة ليست كما يتم تصويرها بأنها انتصار على المصارف. لا يجب الوقوع في غفلة كهذه. ما حصل يمكن اختصاره على النحو الآتي: هناك نزاع قضائي بين «فرنسبنك» وعدد من مودعيه، توكّل عنهم فريق قانوني واحد يمثّل منظمة من المجتمع المدني. ويقوم النزاع على أساس أن المصرف أقفل الحسابات العائدة للزبائن من دون موافقتهم وأودع شيكاً مصرفياً يوازي قيمتها لدى كاتب العدل، وأبلغ المودعين بأنه أوفى لهم بالدين وأنه بذلك يحصل على براءة ذمّة تجاههم.

لكن المودع رفض هذه الصيغة ولجأ إلى محكمة التنفيذ معتبراً أن الشيك غير قابل للتحصيل، ولا سيما أن هناك مصارف رفضت فتح حساب جديد لإيداعه، وأنه لا يمكن تحصيل قيمته من مصرف لبنان مباشرة، وبهذا المعنى أصبح الشيك مثل أي سند دين. في خضمّ هذا النزاع، يمكن للمودع إذا تمكّن من إقناع القاضي، أن يطلب حجز موجودات الطرف الآخر ضماناً لتحصيل حقوقه، على أنه ليس بالضرورة أن يكون الحكم النهائي في مصلحة المودع، لا سيما أنه يتاح للخصم دحض هذه الرواية. لكن ما حصل عملياً هو أن قرار المحكمة قضى بإجراء جردة لموجودات خزنة «فرنسبنك» في فرعي الحمرا وبدارو، وحجز ما يوازي قيمة المبلغ الذي يطالب به المودعون.

في المقابل، اتّخذ المصرف إجراءات قانونية مضادّة لقرار الحجز، لكن القاضي لم يتجاوب معها. عندها قرّر المصرف استئناف قرار حجز موجوداته. هنا لعبت محكمة الاستئناف دوراً «لعوباً»، لا سيما أن القاضي المعني هو زوج ابنة أحد المصرفيين، إذ أعطى الأولوية لأساس القضية من أجل وقف قرار التنفيذ، معتبراً أنه كان يتوجب على المودع أن يحاول تحصيل الشيك ليثبت بأنه ليس قادراً على تحصيله... هكذا نشأ نزاع متّصل بالتحاجز القانوني يتّصل بالشكل أكثر من المضمون، وانتهى في محكمة التمييز إلى القرار الآتي: «إعادة الحال إلى ما كانت عليه قبل صدور قرار الاستئناف»، و«إعادة الملف إلى المحكمة الابتدائية لمتابعة النظر في القضية من النقطة التي وصلت إليها»، ونوّهت محكمة التمييز بأن «هذا القرار لا يصح اعتباره قرينة ولا يعبّر عن توجّه المحكمة عند فضّها في أساس القضية».

بشكل عام، البتّ في محكمة التمييز يتعلق بالتحاجج الشكلي المتصل بالأصول القانونية، أي أنه لا يتطرّق إلى أساس القضية، كما أن تنويه القاضية مطران بإعادة الملف إلى ما كان عليه قبل صدور قرار الاستئناف، يعني أنها توافق على الإجراءات التي اتخذتها محكمة التنفيذ، وأنها تميل إلى اعتبارها إجراءات سليمة قانونياً

> حجز موجودات «فرنسبنك» وإضرابه يفتحان باب الاجتهاد

ضدّ «فرنسبنك»، وإن كانت لم تصرّح بذلك علناً.

وهنا يبت القصيد: هل يمكن اعتبار الشيك المصرفي لدى كاتب العدل بمثابة سند قابل للتنفيذ؟ وهل يمكن اعتبار أن الشيك المصرفي لدى كاتب العدل هو ليس وسيلة للإيفاء كما اعتبرت محكمة التنفيذ الابتدائية، ولا سيما أن الإيفاء مشروط بالتحصيل؟ إذاً، أي مودع بإمكانه مقاضاة المصرف الذي يمنحه شيكاً مسحوباً على مصرف لبنان لتغطية قيمة وديعته؟ في الواقع، المسألة لم تُحسم بعد، إذ إن القرار النهائي بهذه القضية لم يصدر بعد، وإن كان قرار الحجز على ممتلكات المصرف يرسم معالم أوّلية وتمهيدية للحسم النهائي من دون أن يشكّل عاملاً حاسماً في هذه القضية.

لكن ما حصل بعد ذلك، هو أن مصرف «فرنسبنك»، قرر من تلقاء نفسه أن يغلق أبوابه تجاه الزبائن، وفتح آلات الصرافة الإلكترونية للموظفين في القطاع العام ليتيح لهم تقاضي رواتبهم، ثم أصدر بياناً يقول فيه إنه سيعيد تنظيم قواعد العمل لديه على أساس أن الشيك ليس وسيلة إيفاء، أي أنه سيجبر المقترضين على سداد ديونهم نقداً. أي أنه يقصد الذين أخذوا قروضاً بالدولار أو بالليرة، فصار موجباً عليهم سداد الأقساط نقداً بنفس العملة.

عملياً، لم يقل المصرف ما إذا كان سيرفض التحويلات الآتية من مصارف أخرى لإيفاء دفعات القروض، ولم يقل أيضاً أنه دخل في معركة خاسرة لأن ما يترتب عليه من التزامات تجاه المودعين هو أضعاف ما يترتب على المقترضين تجاهه. لكن الثابت أن هذا المصرف ظهر في موقع المدفوع من مصارف أخرى، حتى بدا متهوراً عندما لجأ إلى رد الفعل الذي قام به. ويبدو أن المصارف المساندة أو المشجعة له، إنما تهدف إلى الضغط أكثر على المجلس النيابي من أجل الترويج لمسألة واحدة: الكابيتال كونترول الآن.

وسرّب أن هذا القرار دفع رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى الاستعجال في تحديد موعد جلسة للهيئة العامة لإقرار مشروع قانون الـ«كابيتال كونترول»، رغم أن نائبه الياس بو صعب حاول ترويج هذه النسخة من مشروع القانون عند صندوق النقد الدولي وفشل في ذلك.

بحجّة الفوضى التي تنتج من النزاع القضائي حول الودائع، سيتم إقرار مشروع قانون يحمي المصارف. بينما يفترض بقانون الـ«كابيتال كونترول» أن يحمي المجتمع اللبناني من الجوع ويحدّد الهدف من استعمال العملات الصعبة التي يملكها سواء في السوق أو في مصرف لبنان، لكن في لبنان المسألة تتعلق بحماية المصارف حصراً، ولو على حساب الجميع.

في الواجهة

جنبلاط لبرّي: لن أدخل في صدام مع حزب الله في انتخابات الرئاسة

فرنجيه ـ عون: كأن انتخاب الرئيس غداً؟

تسارعت اخيراً وتيرة التعامل مع اسماء برسم الترئيس، مرشحين معلنين ومضمرين ومفترضين. كان انتخاب الرئيس جدي ووشيك. وربما غداً. دونها ان تجزم بمرشحيها راحت الحملات تشطب اسماء او تقلب مراتب بعضها او تضيف سواها. الحصيلة دوران في حلقة مفرغة في مرحلة غير مستعجلة

نقولا ناصيف

ليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأن رئيس البرلمان نبيه بري في صدد توجيه دعوة الى جلسة ثانية عشرة لانتخاب رئيس للجمهورية قريباً. بدورهم المرشحون الجديون ليسوا في صدد كشف المستور وخوضهم الانتخابات علناً وفي الوقت الحاضر. تالياً لا يزال الملعب متروكاً للاعبين الحاليين المعروفين، وهم النائب ميشال معوض والاوراق البيض والاوراق اللاغية ومرشحون غير مرشحين، الى اسماء اخرى وصفات ونعوت يُقترع بها ولها. كذلك لم ينبثق من اي دولة معنية بالوضع اللبناني موقف يُنبىء بتأييدها مرشحاً دون سواه او تشجيعها مواصفات تدل على احد ما، ملتزمة ظاهراً على الاقل التفرج والصمت والمطالبة بانتخاب الرئيس.

في ما آل اليه الاستحقاق راهناً ان السجال الناشط من حوله يدور على مرشحيْن اثنين على انهما الاوفر حظاً، القادران على حجب ما عداهما. كلاهما غير مرشح علناً ورسمياً، بيد ان التكهنات وفرق العمل المحيطة بهما والمراجع المؤيدة لكل منهما احالتهما كذلك. كان السباق اضحى مقتصراً على احدهما، لا ثالث لهما. هما النائب السابق سليمان فرنجيه وقائد الجيش العماد جوزف عون.

كلاهما يواجهان المشكلة نفسها التي لا تزول تحول الى الآن دون الانتقال، جلسة بعد اخرى، من الدورة الاولى للاقتراع الى الدورة الثانية. كلاهما ايضاً يستقطب اكثر من فريق يؤيده، ويجبه في الوقت نفسه خصوصاً في الطوائف والمذاهب والاحزاب اكثر من فريق يعارضه. ليس في وسع اي منهما، في غياب التوافق وتسوية محلية مقترنة بغطاء خارجي، تأمين التئام ثلثي البرلمان في كل دورات الاقتراع وليس الاولى فحسب التي لم تتعدّ في مواعيدها الاحد عشر المنصرمة كونها استعراضية ليس الا.

المرشحان المفترضان هذان تنقص كل منهما كذلك الغالبية المطلقة من الاصوات التي ترجح فوز احدهما من الدورة الثانية او التي تليها. بذلك يتساويان في الحظوظ: مئة في المئة وصفر في المئة في الوقت نفسه في انتظار حدث ما.

مع ذلك، فان استقطابهما الاشتباك الدائر من حول الاستحقاق، وضَعَ كليهما كما الافرقاء الذين يدعمونهما في مأزق ليست قليلة الاهمية ويصعب الخروج منها بلا مفاجأة او حدث صادم او اعلان احدهما انكفاءه:

اول الافرقاء هؤلاء حزب الله الذي لا يضع فيتو على قائد الجيش لكنه ليس في رأس سلم اولوياته. ليس مرشحه حتماً، ولا يسعه التسليم بانتخابه بلا تسوية يشارك الخارج فيها او يصنعها، ويكون الحزب طرفاً مفاوضاً اساسياً يخرج منها بالضمانات الكافية للاطمئنان الى عون رئيساً للجمهورية. لا صلة للضمانات المطلوبة - المُعبَّر عن احدها في المواقف المعلنة لامينه العام السيد حسن نصرالله وهو ان لا يُطعَن في الظهر - بموقع الجيش ودوره في المرحلة المقبلة. ما ان يصبح قائد الجيش، اي قائد للجيش، رئيساً للجمهورية يفقد نفوذه وتأثيره على الجيش ما خلا ما تجيزه له الصلاحيات ومراعاة توازن القوى الداخلي. ويصبح مذذاك للجيش قائد جديد يُعيّن تبعاً للتوازنات نفسها في مجلس الوزراء، ويجعل من نفسه - كما يجعل منه المحيطون به - مشروعاً مبكراً لرئاسة الجمهورية بعد ست سنوات.

> بلا صدمة او مفاجأة لن يستقطب فرنجيه او عون ثلثي التئام البرلمان

اول الافرقاء هؤلاء حزب الله الذي لا يضع فيتو على قائد الجيش لكنه ليس في رأس سلم اولوياته. ليس مرشحه حتماً، ولا يسعه التسليم بانتخابه بلا تسوية يشارك الخارج فيها او يصنعها، ويكون الحزب طرفاً مفاوضاً اساسياً يخرج منها بالضمانات الكافية للاطمئنان الى عون رئيساً للجمهورية. لا صلة للضمانات المطلوبة - المُعبَّر عن احدها في المواقف المعلنة لامينه العام السيد حسن نصرالله وهو ان لا يُطعَن في الظهر - بموقع الجيش ودوره في المرحلة المقبلة. ما ان يصبح قائد الجيش، اي قائد للجيش، رئيساً للجمهورية يفقد نفوذه وتأثيره على الجيش ما خلا ما تجيزه له الصلاحيات ومراعاة توازن القوى الداخلي. ويصبح مختلفة تماماً. لا مرشح للحزب اولاً واخيراً سوى فرنجية، ولا هو في صدد التفاوض على ترشيحه. ما يريده حزب الله في الاستحقاق الحالي ان لا يخسر ما منحته اياه ولاية الرئيس ميشال عون من تأثير ودعم وغطاء وتبرير. من ذلك اصراره على تأييد الزعيم الزغرتاوي على انه يمثل استمرار تحالف رئاسة الجمهورية مع المقاومة.

ثاني الافرقاء الثنائية المحدثة - لكنها القديمة حتماً - بين برّي والنائب السابق وليد جنبلاط. ثانية ثنائيات رئيس المجلس، بعد الثنائي الشيعي، هو الذي يسعه ان يكون فريقاً وحَكَماً في آن. موقع برّي في الاستحقاق الحالي الى جانب حزب الله في تأييد انتخاب فرنجية، وهي ليست المرة الاولى بعد عام 2015، الا انه يخوض مساراً موازياً لخياره الاصلي، جنباً الى جنب مع زعيم المختارة الواسع الاحتراف في البلياردو السياسي: ضد انتخاب فرنجية كيفما تقلّبت الحال ولن يؤيده، بيد انه اخبر برّي في اجتماعهما الاخير في عين التينة (الثلثاء 31 كانون الثاني) انه لن يدخل في خلاف مع الثنائي الشيعي، وتحديداً حزب الله، حيال انتخابات الرئاسة.

يُعبّر جنبلاط بذلك عن استمرار رفضه انتخاب فرنجية الذي يتمسك به الحزب، الا انه في المقابل يفتح باباً على حلول ثالثة في الامكان التوصل اليها. طرحه اسم قائد الجيش الذي يُفترض ان رئيس البرلمان لا يعارضه او يرفضه، وإن هو يؤيد فرنجية، ليس عنده نهاية المطاف لإيجاد مخرج للاستحقاق، بل احد المنافذ المتاح التوصل اليها. يفضّل جنبلاط، المجرَّب طويلاً وعميقاً في الرهان على محاور الخارج، ان لا يُعاود مجدداً التجربة خصوصاً بعد الدروس المكلفة والمخيبة بين عامي 2005 و2008.

ثالث الافرقاء هو الانقسام المسيحي - المسيحي المالوف في كل مرة تقبل انتخابات رئاسة الجمهورية. ليس المتناحرون الحاليون الا الاحفاد السياسيون لأولئك الذين سبقوهم بادماجهم الاعتبارات الشخصية بالحسابات السياسية، والتنازع على الزعامة وابصار كل منهم، في مرآة نفسه، انه إما الرئيس الافضل او الناخب الوحيد. في محاولة ثالثة على غرار انتخابات 1988 و2007 تحاول بكركي الاضطلاع بدور المرجع دونما استعادة تجربة خدعت البطريرك الراحل مار نصرالله بطرس صفير عندما طلب منه الاميركيون مرة والفرنسيون مرة اخرى وضع لائحة بمرشحين ضمنوا له الاخذ بها، سرعان ما خذلوه تباعاً. وصلت بكركي اخيراً الى النبرة الاعلى في الحض على انتخاب الرئيس دونما استجابة. مشكلتها في «تسوُّس» ينخر الطائفة من داخلها: النائب جبران باسيل وسمير جعجع اجتمعا على رفض ترئيس فرنجية كلٌ لاسباب مغايرة لآخر، واختلفا على ترئيس قائد الجيش كلٌ بحجة مختلفة ايضاً، دونما ان يتفقا على بديل ثالث. مفارقتهما ان الاول لم يقل مَن يرشّح كي ينتخب، والثاني رشّح مَن يثق بأنه لن يُنتخب. بذلك قادا الاستحقاق في وجهتين معاكستين تعزز اسباب حزب الله في عدم استعجال انتخاب الرئيس. مع ذلك لا يسعهما الا ان يشعرا بأنهما متروكان بلا حلفاء، محاطان بالخصوم، بوشكان - وهما رئيسا الكتلتين المسيحيتين الكبريين - ان يصيرا على هامش انتخاب رئيس الجمهورية الماروني.

كلاهما، باسيل وجعجع، بلا حليف سنّي إن لم يُمسيا اكثر المكروهين عنده. بلا حليف درزي (بعد التحوّل الاخير لجنبلاط نحو برّي). مجرّدان من حليف شيعي. اخيراً صوّب كل منهما على الحليف الشيعي المفترض انه يدراً عنه نصف الثنائي المعادي له: باسيل على حزب الله وجعجع على برّي.

بيان صادر عن شركة OMT بتاريخ ٢٠٢٣/٢/٣

تُستهدف شركة أون لين لتحويل الأموال (أو. أم. تي) ش.م.ل. مؤخّرًا بادّعاءات وشائعات في محاولة لتشويه صورتها والإساءة لسمعتها. وعليه، يهمّ أو. أم. تي. توضيح ما يلي:

أولاً: تعمل شركة أو.أم.تي. منذ ٢٥ سنة في مجال الخدمات المالية بكلّ شفافية واستقلالية ووفقًا للقوانين المحليّة والدولية المرعيّة الإجراء وضمن أعلى معايير الامتثال.

ثانيًا: يؤكّد مجلس إدارة أو.أم.تي. أنّه لم ولن يسمح يومًا بأيّ عملية تمويل سياسي أو حزبي، كما أنّه لم يكن يومًا بحاجة لأيّ دعم أو خدمة تفضيلية لإدارة أعماله.

ثالثًا: يتمّ في الآونة الأخيرة ربط اسم رجل الأعمال السيد أمل أبو زيد بشركة أو.أم.تي. بالرغم من أنّ السيد أبو زيد قد تمزّع عن كافّة أسهمه في الشركة والاستقال من رئاسة مجلس الإدارة بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٣، وبالتّالي لم يعد يملأ أيّ منصب تنفيذي ولا حتّى إداري في الشركة منذ أكثر من ١٣ سنة.

رابعًا:

- أو.أم.تي. هي وكيل معتمد لشركة ويسترن يونيون في لبنان وشركة رائدة في مجال تحويل الأموال إلكترونيًا.
- تقدّم أو.أم.تي. أكثر من ١٠٠ خدمة عبر ١,٣٠٠ مركز وكيل موزّعين على كافة الأراضي اللبنانية بالإضافة إلى الفروع الرئيسية التابعة للشركة، ما يسهّل على زبائنها إتمام معاملاتهم الإدارية والمالية من دون تكبّد أعباء التنقّل والانتظار المذلّ أحيانًا.
- يتلقّى عبر أو.أم.تي. حوالى ٢٥٠ ألف مستفيد شهريًّا التحاويل الواردة من الخارج بالدولار الأميركي نقدًا (Fresh).
- بالرغم من قساوة الأزمة الاقتصادية والمالية بالإضافة إلى جائحة كورونا، عملت أو.أم.تي. دومًا على اتخاذ إجراءات استثنائية لتأمين استمرارية العمل لما فيه مصلحة شركائها وزبائنها أوّلاً.
- تفتخر أو.أم.تي. بأن تكون الخيار الأوّل للقطاعين العام والخاص فضلاً عن المنظّمات غير الحكومية المحليّة والدولية التي تشترط الامتثال لمعايير عالية ودقيقة وآمنة ضمن الأطر القانونية والمالية والإدارية والتقنية.

خامسًا: تقدّم أو.أم.تي. خدماتها على مساحة الوطن وهي على مسافة واحدة من الجميع. وتشكر أو.أم.تي. الزبائن والشركاء والوكلاء لثقتهم بها، كما تجدّد التزامها بتقديم الأفضل مهما كانت الظروف ولتبقى "حدّك".

رحيله

ليندا مطر... رحلت النسوية الحقيقية

آمال خليل

لم يسمح الحراك النسوي في لبنان بتناسي ليندا مطر (1925- 2023)، برغم اعتزالها الظهور العلني منذ ثلاث سنوات بحكم التقدّم بالعمر، إذ إنّ تجربة أيقونة «العمل النسائي اللبناني الهادف إلى تحقيق المساواة بين الجنسين»، كما وصفها بيان «لجنة حقوق المرأة اللبنانية»، لم تزل تفرض نفسها على التجارب النسوية التي جاءت من بعدها، سواء كناشطات أو كجمعيات وهيئات. على نحو تلقائي، ينحو كثر إلى المقارنة بين النسويات الجدد وبين خطاب مطر وأدائها قبل ترؤسها للجنة محلياً وعالمياً، وخلاله وبعده، كمنسّقة للاتحاد النسائي الديموقراطي العالمي.

برغم كلاسيكية الأدوات وضيق الإمكانات قبل زمن «السوشيال ميديا» وتمويل السفارات، تتفوّق مطر على معظم وريثاتها. وها هو موتها كما حياتها، يفرض تقييماً ونقداً للحركة النسوية. فبرغم الألقاب والتكريمات والأوسمة والإنجازات؛ أبرزها منح المرأة حق الترشح والترشيح عام 1953، خسرت مطر في الانتخابات النيابية عام 1996 عند ترشحها مستقلة في بيروت. ظنّت بأن فوزها مضمون بأصوات النساء اللواتي ناضلن من أجلهنّ، لكنها كانت مخطئة!

ابنة حيّ الخندق الغميق المجاور لوسط بيروت، لم تسير النسوية من الصالونات واقتناص فرص التمويل والشاشات. صعدت سلّم النضال بعدما أجبرت بسبب الضيق على ترك المدرسة وعملت وهي طفلة في معمل الحرير والجوارب، قبل انتسابها كناشطة إلى لجنة حقوق المرأة في بداية الخمسينيات.

في بيروت، كانت مطر ومن خلفها اللجنة، ملجأ للباحثات عن الحرية المحصّنة بالاستقلال المادي والمعرفة بالحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية. طوال سنواتها الثماني والتسعين، شكّلت الحضن الآمن والمؤتمن الذي يجمع بين المساواة بين الجنسين، وبين القيم المجتمعية والعقيدة الوطنية. التصاق اللجنة بالحزب الشيوعي اللبناني طوال عقود، كان في أحيان كثيرة ضامناً لتلك الثلاثية. وفيقة إبراهيم كانت واحدة من النسويات اللواتي تربّين على يدي مطر في اللجنة، حتى صارت مسؤولة العلاقات الخارجية فيها وفي الاتحاد النسائي الديموقراطي العالمي. تقول، في حديثها إلى «الأخبار»، إن معلّمتها كانت «أكثر بكثير من جمعية نسائية. رائدة في النضال النسوي والوطني، بلغت محبتها وشهرتها العالم أجمع». ولفتت إلى أن الاتحاد الذي شغلت منصب منسّقته الإقليمية للمنطقة العربية لـ 40 سنة، كان يكرّمها في كلّ دورة، وآخرها الدورة الأخيرة التي حضرتها قبل نحو سبع سنوات في كوبا. برغم استقالتها من رئاسة لجنة «حقوق المرأة» عام 1996 بعد 28 عاماً، لم تتمكن ناشطات اللجنة من فصل تلك الأيقونة عن مهامهنّ اليومية والاستراتيجية. في كلّ مؤتمر، كانت الأساس في التحضير والإشراف، وآخرها قبل ثلاث سنوات.

الزمن قلّص من حركة مطر. فاضطرّت إلى ملازمة منزلها من دون أن تفقد وعيها ومقتنيات الإرث والذاكرة. تحت رعاية نجلها طبيب العظم رافي بانجارايان، هنئت بآخر أيامها حتى أصيبت بوعكة طالت رئتيها. نقلت إلى مستشفى الحياة، وفيها فارقت الحياة ليل الخميس الماضي. وكما ألغت في حياتها التقسيمات اللبنانية الضيّقة بزواجها بالأرمني بيزانت بانجارايان قبل 81 عاماً، أوصت بأن تدفن معه في مدافن الأرمن الأرثوذكس في برج حمود في مأتم يقام اليوم عند الساعة الثالثة عصراً. وتقبل التعازي غداً بين الساعة الحادية عشرة قبل الظهر والسادسة مساءً في نادي خريجي الجامعة الأميركية في الوردية – الحمرا.

رمز من رموز نضالنا الوطني والنسائي

معن بشور

عن عمر ناهز 98 عاماً، غادرت هذه الدنيا المناضلة الكبيرة والقيادية في العمل النسائي الوطني والقومي والأممي السيدة ليندا مطر وهي تحمل هموم وطنها، كما حملتها في مطلع حياتها النضصالية في هيئات ومؤسسات وفعاليات، ولا سيّما في لجنة حقوق المرأة التي ساهمت في تأسيسها، كما في تأسيس المجلس النسائي اللبناني الذي ترأسته منذ عام 1996 حتى عام 2000.

لقد تميّزت الست ليندا في حياتها الطويلة بالعطاء الدائم على المستويات كافة، وبالدفاع عن حقوق المجتمع، وخصوصاً نصفه النسائي، وتميّز عطاؤها بالصلابة في النضال، والتواضع في الأداء، والالتزام في العمل، والدماثة في الخُلق، فاستحقّت محبة الكثر واحترام جميع من عرفها، بمن فيهم من لم يكن متفقاً مع معتقداتها الفكرية وانتماءاتها السياسية، وهي التي يمكن تسميتها بـ«السنديانة اليسارية».

حين كرّمتها «دار الندوة»، يوم انتخابها رئيسة للمجلس النسائي اللبناني، احتشد في حفل التكريم لبنانيات ولبنانيون من كل المنابت والاتجاهات وألقيت كلمات مميّزة في هذه المناضلة المحبوبة لتواضعها، والمقدّرة لعطائها، والأصيلة في وطنيتها، والثابتة في الدفاع عن الحق وطنياً أو اجتماعياً أو إنسانياً أو نسائياً.

ولا أنسى كلمات في الست ليندا سمعتها من العديد من رفاق دربها ونضالها، وأهمّها من رفيقة دربها المناضلة التي لا ننساها عزّة الحر مروّة – رحمها الله – التي قالت لي يوماً: الست ليندا هي من ذلك النوع الذي كلما عرفته أكثر أحببته أكثر واحترمته أكثر... رحم الله ليندا مطر، الاسم المحفور في الذاكرة الوطنية والنسائية اللبنانية والعربية والأممية والتي لم تفصل يوماً بين دورها في العمل النسائي ودورها في العمل الوطني والقومي والأممي.

تقرير

حوّل نفاياتك... إلى «مصاري»

رضا صوايا

علّمت الأزمة الاقتصاديّة اللبنانيين أن يعرفوا قيمة كلّ شيء، حتى النفايات. لم يعد هنالك من شيء مجانيّ، أو «ما إلو عازة»، وكل ليرة باتت تشكّل فرقاً، وإن كان مصدرها من المهملات حتى باتت عملية فرز النفايات في المنزل مدرّة للمال، وتخدم المجتمع بأكمله. فمن ناحية يستفيد من يفرز مادياً، ومن ناحية ثانية يخدم مجتمعه من خلال الحفاظ على البيئة، ويؤمن فرص عمل لغيره من العاملين في مراكز معالجة النفايات المفرزة، وصولاً إلى توفير دولارات يحتاج إليها البلد من خلال إعادة تصدير المواد المفرزة أو بيعها إلى مصانع محليّة تستخدمها في عملية الإنتاج.

مطلع الشهر الجاري افتتحت مؤسسة «إدارة نفايات لبنان» Lebanon Waste Management أول فرع لشراء النفايات على طريقة الـDrive Throw في محطة IPT في منطقة الدكوانة – الصالومي، حيث وبدل أن تُرمى النفايات من النافذة، بات بالإمكان تسليمها من شباك السيارة وتسلّم ثمنها نقداً بحسب صنفها ووزنها بالكيلوغرام.

يشرح بيار بعقليني، مؤسس إدارة نفايات لبنان والناشط البيئي، أن «هذه المبادرة هي الأولى من نوعها في لبنان والعالم التي تعتمد طريقة الـDrive Throw، والهدف الأساسي منها هو نشر ثقافة الفرز وحماية البيئة لدى المواطنين وذلك من خلال منحهم محفّزات مادية مقابل كل كيلوغرام من النفايات يقومون بفرزه».

يستقبل الفرع تشكيلة واسعة من النفايات المفرزة، ولكلّ منها سعر محدد بالكيلوغرام: كيلوغرام الألومنيوم 27 ألف ليرة، كيلوغرام زيت القلي المحروق 25 ألف ليرة، كيلوغرام طبقات زجاجات المياه البلاستيكية 8 آلاف ليرة، كيلوغرام زجاجات المياه البلاستيكية 7 آلاف ليرة، كيلوغرام الإلكترونيات 5500 ألف ليرة، كيلوغرام غالونات أو زجاجات الشامبو البلاستيكية 5 آلاف ليرة، كيلوغرام الفلين 5 آلاف ليرة، كيلوغرام الحديد 5 آلاف، كيلوغرام النيلون 1500 ليرة، كيلوغرام الكرتون والورق 1000 ليرة.

> باتت عملية فرز النفايات في المنزل مُدرّة للمال وتخدم المجتمع بأكمله

وبلغت بعقليني إلى أن «المبادرة لاقت رواجاً كبيراً بين المواطنين، وهو ما حفّزنا على توسيع نشاطاتنا وافتتاح الفرع في الدكوانة، والذي سيتبعه فرع آخر في الضبية بعد أسبوعين، على أن نفتتح 5 فروع أخرى خلال هذا العام الجاري. فالبداية كانت من فرعنا الأساسي في منطقة سد البوشرية في شهر حزيران الماضي، حيث استقبلنا 5 آلاف شخص، قاموا بحوالى 10 آلاف عملية تسليم نفايات تخطّى وزنها الـ 300 طن، وهو ما يؤشر إلى أن الشخص الواحد قام بأكثر من عملية واحدة، وبأن هذه ثقافة الفرز بدأت تتسلل إلى النفوس والعقول وإن كان عبر محفّزات مالية». وفي هذا الإطار يوضح بعقليني أن «الزبائن يُقسمون إلى فئتين: فهنالك من يشجعهم المكسب المادي، ولكن مع الوقت يعتادون على الفرز بشكل تلقائي، وهنالك الأفراد الذين يمكن تسميتهم بالبيئيين والمؤمنين بالفرز وأهميته ويقومون بالأمر لقناعتهم بأن الفرز هو الإجراء السليم والصحيح».

ويعيد بعقليني نجاح مبادرتهم إلى كونها تعتمد الشفافية. «فالناس في مراحل عدة تجاوبوا مع الفرز بشكل عام، قبل أن يفقدوا الثقة حين تبيّن لهم طريقة تجميع النفايات في الشاحنات ومن ثم في المطامر، لذلك نحرص على أن يكون عملنا واضحاً وعلنياً، سواء عبر العين المجرّدة أو من خلال فيديوهات ننشرها بشكل مستمر وتُظهر كيف نعالج النفايات المفرزة في مركزنا».

تقرير

صغار مربّي الماشية منزعجون من «المشتية»

داني الأمين

خلال السنوات الماضية لاحظ الأهالي في القرى والبلدات الحدودية الجنوبية اختفاء «المشتية»، أي رعاة الماعز الذين ينزحون عادة في فصل الشتاء من المناطق الجبلية الباردة إلى المناطق الأكثر دفئاً، من المنطقة. باستثناء عدد قليل جداً منهم يقصدون وادي السلوقي وإحدى مزارع عيترون (بنت جبيل)، إضافة إلى عدد من الأماكن في منطقة صور، لم يعد لهم الحضور الكبير الذي لطالما تميّزوا به.

أسباب مختلفة تقف خلف هذا التراجع، ليس تقلّص المراعي وانتشار الأبنية السكنية أبرزها كما قد يظنّ البعض للوهلة الأولى. فمنذ بدء الأزمة الاقتصادية، استثمر عدد من أهالي القرى في تربية الماشية لتأمين الاكتفاء الذاتي، ما ساهم ولا يزال في إبعاد «المشتية» عن المنطقة بل وحتى طردهم منها. فقبل أيام، تداعى عدد من مربي الأبقار والأغنام في بنت جبيل ومرجعيون إلى اجتماع لمناقشة مدى الضرر اللاحق بهم بسبب وجود أحد كبار مربي الماعز القادم مع قطيعه الكبير من البقاع الغربي إلى وادي السلوقي هرباً من برد الشتاء. وتوصّل المجتمعون إلى «ضرورة توجيه كتاب إلى بلديات المنطقة لاتخاذ قرار يلزم الزائر بالابتعاد بقطيعه عن المنطقة».

أسعار «المشتية» أقل

حاول المجتمعون إبراز المخاطر التي تتعرّض لها البيئة في المنطقة، ولا سيما الأشجار التي يقضم الماعز جزءاً منها، إضافة إلى أن القطيع يستفيد من المراعي القليلة المتوفرة، وينافس في ذلك قطعانهم، لكن بدا في ما بعد أن «السبب الرئيسي يتعلق بالمنافسة في الأسعار، إذ يعمد الراعي الزائر إلى بيع الحليب بأسعار متدنية نسبياً عن الأسعار المتداولة، الأمر الذي أثار حفيظة بعض أصحاب رؤوس الماشية» بحسب مصدر بلدي في المنطقة، الذي أكد أن خلافاً نشب بين مؤجّر الأرض، المستفيد من وجود الزائر، وبين المنتفضين على وجوده.

يتحدث علي جواد، أحد رعاة الماعز في المنطقة، عن أن «المشتية» يبيعون الجدي الصغير بمليون ونصف مليون، بينما يباع هنا بأكثر من مليونين ونصف مليون، كما يبيعون سطل اللبن بمئة ألف ليرة، في الوقت الذي وصل فيه سعره في المنطقة إلى 200 ألف ليرة. لذلك تحرّك عدد من مربّي الماشية في المنطقة ضد وجود «المشتية»، علماً أن أعدادهم كانت قد بدأت تتناقص منذ بدأت البلديات والأحزاب تهتم بالتشجير وإنشاء المحميات الزراعية، في معظم المناطق الجرداء ليقتصر وجودهم القليل في أماكن قليلة في وادي السلوقي وبلدات ياطر، طيرحرفا وجبال البطم.

الأعلاف ترفع السعر البلدي

أما «المشتية» الذين كانوا يتنقّلون سيراً على الأقدام بين المناطق، فباتوا يستخدمون الشاحنات، بسبب ازدياد حالات السرقة. ويؤكد جواد أن «المتضرّر الأكبر من «المشتية» هم المربون الجدد للماشية، الذين يهتمون بتربية عدد قليل من رؤوس الأبقار والأغنام، ولا يقطعون المسافات لرعي مواشيهم، فيشترون الأعلاف، ويضطرون إلى بيع الحليب بأسعار مرتفعة بسبب ارتفاع سعر الأعلاف»، مؤكداً «تراجع أعداد مربي القطعان الكبيرة في المنطقة، ليحلّ محلهم الأفراد الذين يربون العدد القليل إلى جانب أعمالهم الأخرى». فعلى سبيل المثال، يقول جواد، في بلدة مجدل سلم تراجع عدد رعاة الماعز من 30 الى 10 رعاة، وفي باقي البلدات الحدودية لا يتجاوز عدد كبار رعاة الماعز اثنين أو ثلاثة، في الوقت الذي أصبح عدد الذين يملكون رؤوس ماشية قليلاً، لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة».

يذكر الراعي محمد عليان أن «المشتية» الذين يقيمون في الأودية والحقول البعيدة عن المنازل، كانوا يقدمون الزبل (روث الماشية) مجاناً لأصحاب الأراضي التي يُؤوون قطعانهم فيها، إضافة إلى بعض الألبان والأجبان، ويوجد الكثير من الأهالي الفقراء الذين يرغبون بهذا البدل، نظراً إلى ارتفاع أثمان السماد الطبيعي والألبان والأجبان، لكن المنافسة والخشية من الأضرار على المزروعات تمنعان القبول باستقبال المشتية».

وجّه عدد من أهالي القرى كتاباً إلى البلديات للمطالبة بطرد أحد «المشتية» (علي حشيشو)

سرقة الماشية

في بلدة عيترون، يذكر نقيب مربي الأبقار في الجنوب فادي ضاوي أن «آخر المشتية ابتعد عن البلدة قبل نحو سنتين بعدما منعه الأهالي من استخدام أراضيهم، بسبب الأضرار التي ألحقها قطيعه بالأشجار والمزروعات»، ويؤكد أن «أعداد مربي الأبقار في المنطقة تراجعت أكثر من 45 %، كما ازدادت حالات سرقة الأغنام والماعز، وتراجعت مساحات المراعي كثيراً»، لكنه يتوقع أن «يزيد عدد مربّي الماعز والأغنام على حساب مربي الأبقار، لصعوبة نقل الأبقار الى أماكن بعيدة، بينما يمكن رعي الأغنام والماعز كلّ يوم في أماكن مختلفة».

تقرير

النقل الجامعي يرهق طلاب الهرمل

شذى الجوهري

أقفلت طريق ضهر البيدر مع وصول الفان القادم من الهرمل إليه. نظر الركاب من طلاب الجامعات بعضهم إلى البعض الآخر، وبدأوا بدَّ مخاوفهم. تساوى لديهم القلق من عدم الوصول إلى الصف مع الحسرة على إمكان خسارة أجرة الطريق التي دفعوها ولن يستفيدوا منها. كيف سيعودون أدراجهم باكراً إلى المنزل، بعدما أنفقوا «بدل النقل» الذي خصّصه أهلهم له، ولم يصلوا إلى الجامعة؟

«صرنا نخجل نقول لأهلنا بدنا نتعلّم». عبارة تختصر معاناة الكثير من الطلاب الجامعيين المقيمين في الهرمل، بعدما أصبحت بدلات النقل إلى جامعاتهم تفوق رواتب ذويهم. فأبناء هذه المنطقة النائية لم يعودوا يأبهون اليوم بتعبهم الجسدي، ولا بطول المسافة من أماكن إقامتهم إلى جامعاتهم، بل فقط يبحثون عن سبلٍ لإنقاذ عامهم الدراسي.

«كل يوم أذهب فيه إلى الجامعة، يكلّفني حضوري 600 ألف ليرة أجرة طريق». تقول هالة التي تدرس في مبنى الجامعة اللبنانية في الحدث، حاضرة حضورها بيومين أسبوعياً. أحياناً، تجد نفسها مضطرّة إلى دفع أجرة الطريق مرتين، فالحافلة التي تقلّها من بلدتها إلى بيروت لا تصل في الكثير من الأحيان إلى نقطة قريبة من الجامعة. أما الطلاب الذين تفرض عليهم اختصاصاتهم الحضور من 4 إلى 5 أيام في الأسبوع، فهم مجبرون على البقاء طوال هذه المدة بالقرب من جامعاتهم. فقد أصبح إيجار السكن يحتسب بالدولار الطازج، ويتراوح ما بين 50$ و100$ حسب موقعه. يضاف إليه تكاليف الخدمات التي يتكبدها الطالب من ماء وكهرباء وطعام وغيرها. لذلك قد يمّر شهر أو أكثر، دون أن يزور هؤلاء ذويهم، من أجل ادخار بدل النقل، أو لعدم توفره في الكثير من الأحيان.

أما من لا يستطيع تحمّل أعباء هذ الإقامة، أو حتى تكاليف النقل، فقد أجبر على التوقف عن الحضور. وهذا ما اختبرته ريتا، وهي طالبة في كلية العلوم الاقتصادية، الفرع الأول. تقول «أحاول متابعة دروسي من البيت، وخصوصاً أن السكن الطالبي في الحدث لم يفتح بعد».

الوضع ليس أفضل حتى بالنسبة إلى الذين يدرسون في جامعات بعلبك وزحلة، إذ يقول الطالب نواف الحاج حسن «نوفّر مصاريف الأكل بالجامعة لندفع أجار الطريق». إذ يحتاج الطالب الهرملاني، المسجّل في بعلبك، حيث أقرب فرع جامعي إليه، حوالي 240 ألف ليرة لبنانية بدل نقل، كل يوم. ويحتاج الطالب المسجّل في زحلة إلى حوالي 400 ألف. وهذه الكلفة مرتبطة بالارتفاع المطّرد لأسعار المحروقات وبتقلّبات سعر صرف الدولار. لذا قد تختلف في اليوم الواحد بحسب الطالب نواف الحاج حسن.

يقول عباس الجوهري، عضو في اتحاد بلديات الهرمل، إن «40% من طلاب الهرمل الذين كانوا يترددون إلى الجامعات في بعلبك وزحلة توقفوا عن الحضور هذا العام»، لافتاً إلى أن جزءاً منهم «توجّه إلى التعليم المهني لتوفّره في المنطقة».

لا يزال اتحاد البلديات في الهرمل، منذ منتصف عام 2021، غير قادر على دعم مشروع النقل الجامعي. ولكن مع بداية هذا العام الدراسي حضورياً، عملت «التعبئة التربوية» على تسيير 4 حافلات تقلّ طلاب الهرمل من جامعاتهم في بعلبك وزحلة وإليها، على أن يدفع كلّ منهم 40% من تكلفة النقل اليومية. ولكن مع ذلك، هنالك حوالي 60 طالباً فقط يستفيدون من هذا النقل، بحسب الجوهري. فعلى حدّ تعبيره «الكثير من طلاب الهرمل لا يستطيعون أن يحضروا إلى جامعاتهم حتى في ظلّ هذه المبادرة».

وتبقى المشكلة الأبرز في أن حدود هذا المشروع تتوقف عند زحلة، فلا يجد الطالب الهرملاني في جامعات بيروت من يتحمّل عنه القليل من أعباء المواصلات، من دون أن يخلو الأمر من بعض المبادرات الفردية.

تقرير

نزاع قضائي بين بلدية جونية ومشروع «حيالي باي»

زينب حاوي

قبل شهر تقريباً، قامت بلدية جونية، غداة الفيضانات التي غزت المدينة، بفتح قنوات تصريف مياه الأمطار في مشروع حيالي السياحي (Hayali Bay) من خلال حفر ممرّ بعرض ثلاثة أمتار ونصف متر وعمق ثلاثة أمتار في وسطه. هذا الأمر أعاق حركة الدخول إليه والخروج منه، وخلّف أضراراً جسيمة أوقفت على إثره المشروع.

المشروع المصنّف في وزارة الثقافة ضمن لائحة الجرد العام للأبنية التراثية التاريخية، كان قد شيّد على امتداد ستة مبانٍ، ثلاثة منها يعود تاريخ بنائها إلى القرن التاسع عشر، تم تفكيكها وإصلاحها عام 2004، تبعاً للنمط الهندسي الذي أقيمت عليه قديماً، بعدما كانت آيلة إلى السقوط. وسبق لوزارة الثقافة، وتحديداً «المديرية العامة للآثار»، أن أبلغت البلدية عدم موافقتها على فتح أي ممرّ في العقارات المدرجة في لائحة الجرد العام للأبنية الأثرية، إلّا أنّ رئيس بلدية جونية جوان حبيش «أقدم برفقة 45 عنصراً مسلحاً من شرطة البلدية على خلع البوابة الأساسية والوحيدة في المشروع» - حسب ما جاء في المذكرة التي قدّمها محامي صاحبَي المشروع عصام اسماعيل إلى رئاسة الوزراء - وحفر خندق وصل المدخل بالرصيف المؤدي الى البحر، حتى بات من الصعب الوصول إلى المشروع، وأحاله إلى غير صالح للاستثمار. ويفيد متابعون بأن هدف رئيس البلدية كان رغبته بفتح 33 ممراً للمشاة إلى الشاطئ، معتبرين أنّه أمر صعب التحقيق بسبب علوّ الشارع عن الشاطئ بأربعة أمتار.

شكوى ضد البلدية

بناءً عليه، قدم كلّ من صاحبَي المشروع، فتح الله وفريد متي فتح الله الحيالي، شكوى قضائية بحق حبيش، وأنطوان خواجة المتعهد الوحيد لأشغال بلدية جونية، والمسّاح جان نجيم في بلدية جونية، تولاها اسماعيل، لمطالبته بدفع تعويض عن الأضرار اللاحقة بالمشروع السياحي الأثري، والتي أحصيت بخسائر تتراوح بين 1500 و2500 دولار يومياً. ويرى مقدمو الشكوى أن «عمليات الحفر أدّت إلى شطر المشروع إلى قسمين، وإلى تعطيل كل كابلات الإنترنت وأجهزة الإنذار، وجميع قنوات الريّ والصرف الصحي، وكابلات الإنارة الخارجية، وتخريب قسطل جرّ لمياه الأمطار ممتد بطول 125 متراً وقطره 120 سنتمتراً من دون أيّ مبرّر». وفي الشكوى المقدمة أيضاً، اتهام للبلدية بتعمّد إلحاق الأضرار بالمشروع عبر شق عقار خاص، إلى جانب الأملاك البحرية بهدف «تخريب وتدمير المشروع بحجة توسعة جرّ مياه الشتاء». وقد قُدّمت الشكوى إلى النيابة العامة المالية، والنيابة العامة لدى ديوان المحاسبة، والجهات المختصة من وزارة الداخلية والبلديات، إلى وزارة الثقافة و«المديرية العامة للنقل البري والبحري»، و«وزارة السياحة». وعلى إثرها، تحرّكت وزارة الثقافة وأرسلت محققين الى المكان، من ضمنهم المهندس أسامة كلّاب، كما تحرّك القاضي فوزي خميس الذي حوّلها إلى التفتيش المركزي.

> شكوى قضائية بحق حبيش يردّ عليها بتأكيد قانونية الأشغال التي قام بها

حبيش: الأعمال قانونية

يؤكد رئيس بلدية جونية جوان حبيش، في اتصال مع «الأخبار»، أن ما قامت به البلدية «قانوني ومستند إلى قرار المجلس البلدي». ويتهم في المقابل صاحبي المشروع بمخالفة القانون بفعل «التعدي على الأملاك البحرية وردمها، وتجاوز كلّ القوانين وكلّ الأدبيات، وإلحاق الضرر بالمنازل والمحال المجاورة، من خلال إقفال قناة تصريف مياه الشتاء بما أن المشروع مشيّد على أرض منخفضة». وعن مطالبة صاحبَي المشروع البلدية بالتعويض، يؤكد حبيش أن «البلدية ماضية في عملية التلزيم من خلال إجبار المشروع على تصليح ما تعطّل على نفقته الخاصة».

من جهته، يشير المحامي عصام اسماعيل، في معرض ردّه على حبيش، إلى أن ما وصفه الأخير بـ«التعديات البحرية» هي أملاك كان قد اشتراها صاحبا المشروع، مؤكداً أنّ رئيس البلدية لم يستند الى أي نص قانوني ليقوم بما قام به. وعن اتهام حبيش للمشروع بالتسبّب بأضرار، يقول اسماعيل إن «البلدية أقفلت ما يناهز 65 ممراً لتصريف مياه الأمطار، أغلبها يعود لنافذين في المنطقة، وحطّمت القسطل الرئيسي للمشروع السياحي بدل الاتكاء عليه للتصريف وإضافة قساطل أخرى إليه».

طلال شتوي: الإعلاميّ الخشبيّ المُغاير

أسعد أبو خليل *

تعرّفتُ إلى ابن بلدي ولم أكن أعرفه من قبل، أو أنني نسيتُ أنني عرفتُه من قبل. الشخص المعني هو الإعلامي طلال شتوي. كان غائباً عن السمع والنظر إلى أن شاهدتُه في حلقة طويلة مع جاد غصن. كتبتُ تغريدة سريعة عنه (والتغريد -هو حكماً سريع-هو الكتابة على طريقة الوجبات السريعة التي تبقي عصبيّة على الهضم معظم الأحيان). أرسلتُ الرابط إلى الأصدقاء والمعارف وكلّ مَن شاهده كان له نفس ردّة فعلي: من هو هذا الطلال شتوي؟ أين كان مختفياً؟ لماذا لا يظهر على الإعلام؟ هو ذكر في الحلقة أنه عمل في «الأفكار» التي كنتُ مواظِباً على قراءتها في حينه. لكن بعد أن شاهدتُ الحلقة طلبتُ وقرأتُ كتابه «بعدك على بالي». الكتاب هو مثل المقابلة في مضمون السيرة، وهو روى (على الشاشة) حوادث بعبارات من كتابه. كان يتحدّث بجرأة أذهلت محاوره إلى درجة أنه قال له مندهشاً: أنت انتقدتَ في كتابك أشخاصاً في الإعلام والفنّ، كيف ذلك؟ إن النقد الحرّ هو من الممنوعات. كيف يخرقها طلال شتوي هذا؟

اتفقَ مَن شاهدَ المقابلة أننا أمام ظاهرة فريدة جاذبة، وأن حديثه لا يشبه أحاديث من نراهم على الشاشات، هؤلاء الذين ينسبون ما ينطقون به إلى «أجواء حزب الله»—وأجواء حزب الله تكون دائماً متطابقة في مواقفها مع الإعلام السعودي والإماراتي. أرسلتها إلى عامر محسن فتبرّمَ قائلاً إن بعض الذين ينالون إعجابي لا يستحقّون الاهتمام. تركتُه إلى أن باشَرَ بالاستماع وكتب لي مُعجباً ومتعجّباً وخلقنا مجموعة واتسابيّة مع جمال غصن فقط للحديث عن المقابلة. كيف لا يثير انتباهك إعلامي لا يتحدّث مثل الإعلاميّين؟ يقول لك لا أريد أن أسمّي، ثم يقول لك: الفنان المصري الذي عانى من المخدرات واسمه فاروق الفيشاوي. لا يريد أن يسمّي لكنه يذكر وحش الشاشة، فريد شوقي. هذا يلفتك. متى آخر مرة شاهدتَ إعلامياً يتكلّم بحريّة عن تجربته الإعلاميّة وعن أشخاص عرفهم؟ وطلال منحاز في آرائه، أحياناً. هو يحب الذين كانوا لطفاء ومشجّعين معه ولو كانوا لا يستحقون ثناءه. هو يذمّ الفريق الذي أدار محطة «المستقبل» لكنه يستلطف أسعد المقدّم، المُشرف العام على وسائل إعلام رفيق الحريري. أسعد المقدّم، يا طلال؟ قد يكون ساطعاً مقارنةً بالفريق الذي أدار محطة «المستقبل» في زمانك، لكنه خرّيج الإعلامي اللبناني التقليدي. أسعد المقدّم كان في إعلام جورج أبو عضل (كان سليمان فرنجيّة يريد توزير أبو عضل لكن الحكومة المصريّة أرسلت من يحذّر فرنجيّة عن علاقة أبو عضل بالإسرائيليين، وكان ذلك في عام 1970).

بقيتُ أفكّر في حالة طلال شتوي. عندما شاهدتُ صورَه وقرأتُ عن ظهوره على برنامج «استديو الفنّ» تذكّرته، بجد تذكّرته. تذكرتُ كيف كان يظهر صبياً في صور مقابلاته، وتذكرتُ بصورة خاصّة مقابلة له مع محمد حسين فضل الله في «الأفكار» وفيها طلال لا يختلف في هيئته عن تلميذ مدرسة. كان حاضراً بقوّةٍ في المجلّة التي لم تجد مكانها بين المجلات ليس فقط لأنها ظهرت في عصر زوال المجلات بل لأن صاحبها (وليد عوض) أراد تقليد تجربة نجاح «الحوادث» (حيث عمل نائباً لسليم اللوزي) لكن في غير سياق نجاح «الحوادث». كما تذكّرتُه في برنامج «استديو الفن» وتذكرتُ ثقته الكبيرة بالنفس. انقطعتُ عن شاشات لبنان في فترة التسعينيّات وكان طلال قد بلغ أوج نجاح في تلك الحقبة، وعلى شاشة تلفزيون رفيق الحريري، «المستقبل».

ما الذي يجعل طلال شتوي حالة مذهلة في السياق اللبناني؟ هل هو فريد في شخصيّته أم هو ذو شخصيّة عاديّة في مهنة لم تعد تجذب أصحاب الشخصيّات العاديّة؟ التمويل الإعلامي الخليجي الذي طغى على الإعلام العربي منذ حرب الخليج بلور وقولب الإعلاميّين والإعلاميّات العرب. يعرف هؤلاء أن الكلام بحريّة (سياسيّاً واجتماعيّاً) يقطع الطريق على مجالات العمل. طلال شتوي لا يكترث للمحظورات والضوابط والخطوط الحمر التي يتشرّبها الإعلاميّون اللبنانيّون قبل دخول كليّات الإعلام. ترى شباباً لبنانياً على المواقع وهو يتحدّث على طريقة عوني الكعكي في الحذر والخوف والوجل من هيئة الترفيه والبروباغندا في الرياض. بات المرء يستبطن القمع الذاتي في داخله إلى درجة أن الخمرة أو مخدّرات الـ«أسيد» لا يمكن أن تفكّ ضوابطه الداخليّة. هذه على طريقة اعتراض أسامة سعد على التطبيع من دون أن يذكر اسم الدول الخليجيّة التي يعنيها. (في انتخابات 2009 حثثتُه على الردّ على الدور السعودي الفاضح ضدّه في انتخابات صيدا فما كان منه إلا أن قال لي: يقولون لي إنه عليّ الامتناع عن نقد السعوديّة بسبب الجالية الصيداويّة في المملكة).

لا يمكن تصنيف طلال شتوي. هو ليس بيساري ولا بيميني، ولو تقرأ كتاب «بعدك على بالي» تزعجك—أو تزعجني—مواقف شتوي السياسية. هو من عائلة مسلمة لكنه مُعجب بمار شربل ويؤمن بتواصله معه في حلم آفاق منه مُعمَّداً بالعرق (لأسباب يطول شرحها أنزعج كثيراً من ظاهرة توافد مسلمين إلى مزار شربل طمعاً بالشفاء العجائبي وتحقيق المعجزات، وهذه الظاهرة فيها عناصر من تعظيم المسيحيّة بصورة خاصّة في الثقافة اللبنانيّة. وهذا التعظيم مقصود من جريدة «النهار» ومن محطات مثل «إم. تي.في» و«إل.بي.سي». ثم يا طلال أنتَ زرتَ مار شربل وظهر لكَ في المنام بعد أيّام. يعني لو زرتَ ضريح شفيق الوزّان لظهر لكَ هو الآخر في المنام، ولكنّا قلنا إن الوزّان شفاك. والتعرّق أثناء النوم من عوارض مرض السرطان الذي أصابك). طلال يختلف مع رفيق الحريري لكن ساهم في نجاح شاشته. يؤمن بالإعلام المهني المحترف لكنه يعترف أنه تعلّم الصنعة على يد وليد عوض ويقول إنه كان يجهل مصدر تمويل المجلّة مع أنه يروي أن المرّة الوحيدة التي غضب منه عوض كان عندما نشر مقالات عن شراء الأمير (الملك حالياً) سلمان شارعاً كاملاً في ماربيا (ص. 251). وكان وليد عوض في زيارة للسعودية للقاء الأمراء. أذكر أنّني شاهدتُ وليد عوض في واشنطن في الثمانينيّات عند افتتاح معرض عن السعوديّة (والتهمتُ في المعرض عدداً كبيراً من التمور السعوديّة الشهيّة)، وكان عوض يهرع وراء أمير سعودي—الأمير بندر على ما أذكر. لكن يبدو أن شتوي كان على علم بالتمويل السعودي لأنه عندما قابل ياسر عرفات قال له الأخير: «أنتو بتوع ليبيا». فما كان من شتوي إلا أن أجابه: «أبداً، نحن بتوع السعودية» (ص. 242). كيف لا تحب طلال شتوي وترغب في قراءة المزيد منه وعنه؟ لكن هناك ذكورية عند طلال في الكلام عن النساء، وهو اعترف بأنه وضع ويسكي خفية في شراب ضيفة في برنامجه لإطلاق لسانها.

وطلال مُعجب بعمر وفيصل كرامي. يندهش جاد غصن وهو يستمع لطلال يتحدّث بإعجاب شديد عن عمر كرامي. وهذا مكمن فرادة طلال. لا يجد المحاور في لبنان سبباً للاندهاش عندما يتحدث الإعلامي—أي إعلامي—بإعجاب لا بل بتقديس—عن رفيق الحريري لكن الحديث عن عمر كرامي، الذي لم يسرق ولم يرتهن ولم يموّل إيلي حبيقة وميليشيات أخرى يستثير العجب والدهشة. (والحق إن جاد يدع الضيف، أي ضيف، يستفيض في الحديث والنقد عن حزب الله لكن أي نقد—مثلما ورد في الحلقة—عن رفيق الحريري وفريقه الإعلامي. يُقابل بالتجاهل التام، على طريقة: لننتقل إلى موضوع آخر). ويستغرب جاد غصن أنه كان هناك توجّه سياسي حتى في البرامج الفنيّة في تلفزيون رفيق الحريري. يطلب رفيق الحريري شخصيّاً استضافة تريسي شمعون والترويج لها. الفن للسياسة والسياسة فن، في هذا الإعلام. (قال طلال عن تريسي شمعون إن شخصيتها تستحق التلميع. هنا تشعر أن طلال يبني أحياناً مواقفه من الأشخاص بعيداً عن أي معيار سياسي، بل بناءً على تعاطي الأشخاص معه في مقابلاته وبرامجه. هو صريح: يقول المهم عندي أنه «طلع عندي حلقة حلوة»).

طلال شتوي يُحبِّب المرء بالصحافة وبطرابلس وحتى بالسهر. تعيش معه تفاصيل حياته ويخبرك عن عائلته وأصدقائه وزملائه ومعارفه، لكن من دون الحديث في الحب، وهذا حقّه. لا يمانع في ذكر ما قاله آخرون في مديحه، لا بل يستشهد بمقاطع من ذلك المديح (من سامي كليب أو زاهي وهبي وغيرهما). في أول مشاهدتي لمقابلته أحببتُه كثيراً لكنني قلتُ للأصدقاء إنه معتدّ بنفسه إلى درجة الغرور. يقول إنه كان يتحاشى الحديث «العالمي» في برنامج المنوّعات لأن المقدمين والمقدمات الآخرين كانوا «يضيعو» من عمق الأسئلة التي كان يطرحها. لكن بعد أن قرأتُ كتابه وشاهدتُ المقابلة مرة ثانية عدّلتُ في انطباعي. هو بريء جداً ولا يدخل في أدبيّات السلوك الاجتماعي المعهود. هو يسخر من النسويّة ومن الصوابية السياسيّة. هو حرّ ومتفلّت. وفي عصر التطبيع والتحالف الخليجي مع إسرائيل، هو من قلّة نادرة من الإعلاميّين (غير العاملين في إعلام المقاومة) الذين لا يزالون يتحدّثون جهاراً وبطلاقة عن رفض السلم مع إسرائيل. لكنه يعترف أنه ابّد اتفاق 17 أيّار في حينه ويقول: «لا أعتقد أنّني ارتكبتُ في حياتي حماقة أشدّ هولاً من هذه الحماقة» (ص. 151).

طلال شتوي مدرسة مضادة لتجربة جورج إبراهيم الخوري في «الشبكة» في الصحافة الفنيّة. الهدف عنده لم يكن مادياً. هذا بديهي في الصحافة لكن نادر جداً في لبنان. صحافي يربّ الهدايا والمغلّفات والمكرمات. طلال شتوي لا يمكن إلا أن يكون غائباً عن الشاشات والإعلام الحالي. هو ينفر في مدرسة تركي الشيخ للإعلام مع أنه يؤيّد ما يقوم به محمد بن سلمان. يحيّرني طلال شتوي لكنني لا أستطيع إلا أن أحبّه وأعجب بتجربته في الإعلام.

هناك بعض من المعلومات المهمة في الكتاب. هناك مثلاً قسم عن أنور الفطايري. اغتيال أنور الفطايري بات يُحسب اليوم—مثل كل الاغتيالات حتى التي ارتكبها زعماء باتوا في ما بعد في 14 آذار—على النظام السوري فيما كان الاغتيال عملاً داخلياً بحتاً. يروي عن اختلاف الفطايري مع مشروع المفتي خالد ومحمد مهدي شمس الدين من حيث نشر سلطة الدولة اللبنانية. كان اليساري (الحقيقي)، الفطايري، يرى أن مؤسسات الدولة هي «الراعي الرسمي للإرهاب ضد اللبنانيّين» (ص. 264). الفطايري أخذ عقيدة حزبه على محمل الجدّ، خلافاً لرئيس حزبه. ثم هناك جانب آخر في كلام طلال شتوي. هو أوّل شخص عمل في إعلام الحريري وتحدّث عنه بالنقد. هناك من عمل في «المستقبل» وكان معارضاً لرفيق الحريري (وأعرف بعضهم)، لكنهم لم يتحدّثوا نقداً علناً عن التجربة. هو وحده الذي شذّ عن تلك القاعدة. هذا ما يجعل طلال شتوي صحافياً استثنائيّاً. كان مدير المحطة يطلب منه إبراز ضيوف بإيعاز من رفيق أو نازك الحريري. يعترف أنه كان يعمل «تسويات» أحياناً. طلبت منه نازك الحريري إجراء مقابلة مع إيلي صعب. طلب منه رفيق الحريري أن يجري مقابلة مع عمر كرامي بهدف تسخيف صورته ودوره. (الحسن الحظ، يقول طلال، رفض عمر كرامي الدعوة).

والتوجّه السياسي للمحطة كان في تعميم السلام، خصوصاً أن السلام مع إسرائيل كان عنصراً في مشروع الحريري. وعندما استفاض عزت العلايلي في الحديث والحنين العروبي والوفاء لجمال عبد الناصر، اعترضت إدارة المحطة وحذفت معظم ما جاء فيها. «اعتبروا الحنين إلى العروبة سياسة» (ص. 398). وهناك من لا يزال يربط رفيق الحريري بالعروبة. هو حاربها قبل أن تصبح محاربتها—وباسم العروبة—سياسة ثابتة للنظامَيْن السعودي والإماراتي. لكن عندما ظهرت ابنة أبو أرز على برنامج «الليل المفتوح» لم تعترض إدارة المحطة، ولم تحذف (ص. 442). قال له أسعد المقدّم بعد أن كبر الصراع بين إدارة المحطة وطلال، صاحب أنجح برنامج على المحطة، إن الذين يديرون المحطة هم «رهط من الفاشلين والوصوليّين والنصّابين» (ص. 461). وتسبّب نجاح طلال في إثارة غيرة مسؤولي المحطة، وواحد منه حاول أن يسرق منه، قانونيّاً، اسم وفكرة البرنامج كي يبيعهما باسمه (ص. 465). أطلق طلال عليه وصف «اللص». ألغت المحطة حلقة مع أنسي الحاج بحجّة أنه غير معروف، وساله مسؤول في المحطة عن «نور الهدى»، ظناً منه أنه رجل متقاعد. لكن طلال يعترف أنه لا يكره تلفزيون «المستقبل» بالرغم من مرارة التجربة. كيف لا يدير طلال شتوي محطة تلفزيونية؟ هذا سؤال ساذج. أشكّ أن طلال شتوي سيجد عملاً بعد مشاهدة مقابلته وقراءة «بعدك على بالي».

حاول أن يعمل مع «إل.بي.سي» لكن التجربة لم تستمرّ طويلاً. فاوض محطة «الجديد» لكنه رفض شكل العلاقة التي أرادها أصحاب المحطة معه. أمّا «إم.تي.في» فقد طلب طلال منها مبلغ 20 ألف دولار شهرياً، نصف له والنصف الآخر لمخرجه رشيد كنج. «كاد ميشال المرّ يقع عن كرسيّه» (ص. 499). رفض عرضاً من تلفزيون دبي وآخر من «إي.ار.تي» وقبل عرضاً في دبي. تشارك في مطعم يقدّم المشاوي على مدار الساعة. من لا يحلم بلحم مشوي بعد منتصف الليل؟ (ويقول أسامة الرحباني إن منصور الرحباني كان يستيقظ من النوم في الليل ليأكل اللحم المشوي. ليالٍ طويلة من عسر الهضم). تلقّى من «دار الخليج» في دبيّ عرضاً لإدارة مجلّة «كل الأسرة». اسم المجلّة مُضجِر بحد ذاته لكن الشخصيّة المسلّية التي يملكها طلال شتوي والحسّ الروائي يتيحان له النجاح في تجربة أخرى. وهذه أوّل مرة أقرأ فيها عن تجربة إعلاميّة للبناني في دبي من دون انبهار أو تبجيل للحاكم والشيخ. لا تطبيل في رواية طلال شتوي. هو صريح بالنسبة إلى الإغراءات الماديّة ونوع المكاتب واتساعها، وعن إجازات مدفوعة في بانكول. لكن نمط العمل والتوجيهات والألاعيب من فوق تجعلك تتعجّب أن طلال لم يهجر التجربة قبل أن يصل إلى آخر رمقه. اشترط على أصحاب الدار شرطيْن فقط، وافقوا ثم أخلّوا بواحد منهما (أن يعيدوا النظر بالمرتّب بعد ثلاثة أشهر من العمل، ص. 510). كنتُ دائماً أتساءل عن قدرة الإعلاميّين العمل في الخليج. العمل في الطب أو الهندسة أمر مختلف—لكن ليس لي. قررتُ باكراً في حياتي أن العمل في الخليج ليس لي. الكثير من زملاء الدراسة باتوا هناك. زميلة أردنيّة في جامعة جورجتاون قبلت بعد الدكتوراه عرضاً للعمل في مركز أبحاث إماراتي تابع مباشرة لمحمد بن زايد ووزارة الدفاع. لم تستطع البقاء لأكثر من أشهر. قالت لي (في زمن الحواسيب ذات الأقراص المرنة فيها): لم يكن هناك قرص مرن في الحاسوب، وكان الحراس المراقبون يرافقونني بمجرد أن أنتقل من مكتب إلى آخر أو من مبنى إلى آخر. حدّثنا طلال عن تجربة دبي لكنني على قناعة أن هناك الكثير المزعج في التجربة لم يكتب عنه. حتماً، أفردت مجلة «كل الأسرة» صفحات وأعداداً في تبجيل الحاكم.

يكتب طلال بأسلوب خاص به. من غيره في وصف المعاناة السرطانيّة يقول إنه كان يمضّ عصير الفواكه وإنه حاول أن يمضّ أقراص الكبتة المشويّة» (ص. 570) وحتى في حمل الأحقاد، طلال خفيف على القلب وظريف. يحمل ضغائن من سنوات الدراسة، ويسمّي الأسماء من دون مواربة، المعلّمة الفرنسيّة جان ماري لاموش (ص. 57) باتت تمثّل للقارئ تاريخاً من الاستعمار الفرنسي. أشعر أنه علينا محاسبتها عن استعمار الجزائر بعد وصف شتوي. يقول عن المدرسة: «لا أحبّ أن تزعل مني مدرستي الأولى ولكن أجدني مضطراً إلى الإقرار بأن أجمل ذكرى أحملها لها هي: السينما» (ص. 73). أحببتُ ما رواه عن الفترة التي تولّى فيها بطرس حرب (ما غيره) وزارة التربية في عهد إلياس سركيس. كان يومها يطمح لمنصب الرئاسة (تعرف أنه أقلع عن هذا الطموح عندما ترى لحيته اليوم). اخترع «يوم العلم». كم كنتُ أمقتُ ذاك اليوم. طبعاً، في مدرستي لم نعر اليوم اهتماماً: الإدارة كانت منشغلة بالعلم الأميركي والتلاميذ انقسموا بين أعلام «فتح» و«الشعبيّة» والإكثرية اختارت أعلام اللامبالاة.

أشعر أن طلال شتوي حاز وداز في التيارات السياسيّة ونبذ التطرّف قبل أن يستقر على موقفه مع آل كرامي. يعترف أنه كان ينتقل من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين في الحديث الواحد. كان معادياً للاحتلال الإسرائيلي لكن مع «الشرعيّة» (يا لطيف). ومدهش أنه في موقفه الحالي مع الممانعة أنه لا يخشى غضبة النخبة الثقافيّة القاسية في أحكامها. من ليس معها—أو بالأحرى، من ليس مع رعاتها في الخليج—فهو إيراني ورجعي وخشبي). يقول لهم طلال: «أنا خشبي». يقول عن الديموقراطية: «أنا اليوم أجاهر بأن الديموقراطية، بتطبيقاتها الأميركية التي "مسحت" كل ما سبقها من تجارب وفرضت نمطها على الجميع في الغرب والشرق، هي نظام حكم مخادع لا ينتج سوى المزيد من التخلف الحضاري» (ص. 145).

طلال شتوي يقيم في طرابلس، على ما أظن. هل من يعيده إلى الإعلام بصورة عاجلة؟ يستطيع طلال شتوي بعودته أن يعيد لنا الأمل بالإعلام في لبنان. غُدْ، وفوراً، رجاءً.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

> هناك من عمل في «المستقبل» وكان معارضاً لرفيق الحريري (وأعرف بعضهم)، لكنهم لم يتحدّثوا نقداً علناً عن التجربة. هو وحده الذي شذّ عن تلك القاعدة
>
> في عصر التطبيع والتحالف الخليجي مع إسرائيل، هو من قلّة نادرة من الإعلاميّين الذين لا يزالون يتحدّثون جهاراً وبطلاقة عن رفض السلم مع إسرائيل

وفي الليلة الظلماء...

سعد الله مزرعاني *

حسناً فعلت عائلة الفقيد الكبير رئيس مجلس النواب السابق المغفور له السيد حسين الحسيني، حين وزّعت على المعزّين، الذين بدأ لافتاً عددهم وتنوعهم الميزان، نسخة عن الدستور اللبناني. وكان الفقيد قد سارع إلى طبع كراس بعنوان «وثيقة الوفاق الوطني اللبناني» فور ترحيل أبرز بنودها إلى الدستور اللبناني (بموجب القانون الدستوري رقم 18 تاريخ 1990/9/21) الذي عُرف مذّاك بـ«دستور الطائف». حرص الرئيس الراحل على تقديم ذلك الكراس إلى زائريه وضيوفه الكثر، من مختلف الطيف السياسي والروحي اللبناني. في السياق نفسه، كانت تلفت زائر الرئيس الحسيني، في مكتبه، لوحة لنص مقدمة الدستور، في صيغته الجديدة، وقد جرى وضعها في إطار يحتل مكاناً بارزاً في صدر صالون ذلك المكتب.

قلنا، حسناً فعلت العائلة بتوزيع نسخة عن «دستور الطائف». أمّا الأسباب فثلاثة، على الأقل. الأوّل، يتصل بالفقيد نفسه الذي كرَّس كل نشاطه السياسي في فترة ولايته رئيساً لمجلس النواب (1984- 1992)، من أجل التوصل إلى تسوية متكاملة للنزاع المتمادي والمدمر، تبدأ بالإصلاحات التي من شأنها أن تعالج الخلل الجوهري في النظام السياسي. الثاني، هو كفاحه المثابر من أجل تطبيق ما هو الأساسي من بنود تلك التسوية والذي ما لبث أن تعثّر منذ اللحظة الأولى! والثالث يتصل بتفاقم الكارثة المتمادية والطاحنة والمستعصية والراهنة. وهي كارثة مفتوحة على الأسوأ بسبب الفئوية والرعونة والإجرام الداخلي، والاستغلال الوقح والمشبوه والخطير الخارجي (الدور الأميركي خصوصاً)؛ وما هو قائم، واقعياً وموضوعياً، من ربط بين الأزمة الكارثية الراهنة وعدم تطبيق كامل تسوية «الطائف» وعدم احترام دستورها!

في سرديته لـ«قصة الطائف»، كان «السيد» يروي، بتركيز ودقة، تفاصيل التحضيرات والتجاذبات والحوارات المتنوعة والمتشابكة ما بين الداخل والخارج. كان شغفه لا يخفى، وحرصه على الإنصاف لا يهتز، وعزمه على السعي لإحياء تلك التسوية، لا يتزعزع. ذلك أنه كان يجد فيها فرصة لبنان الثمينة لكي لا ينجرف إلى الاحتراب أو التفكك أو الانقسام أو السقوط، مجدداً، في القبضة الإسرائيلية.

كانت رواية «السيد» لـ«قصة الطائف» تبدأ بالتعهد الأميركي بالضغط على العدو الصهيوني لتنفيذ قرار مجلس الأمن 425 وسحب كامل قواته من لبنان (زارت «تروبكا» السلطة، آنذاك، واشنطن والتقت الرئيس الأميركي بوش الأب لمتابعة التعهد المذكور لكن...عبثاً). ثم هو يتوقف عند حواراته العربية وخصوصاً السورية والسعودية، وصولاً إلى القوى السياسية والدينية اللبنانية، وخصوصاً مع البطريرك الماروني الراحل نصرالله صفير.

لم يكن صعباً الاستنتاج أن عدم وفاء واشنطن بتعهدها قد شكّل المسمار الأول في نعش التسوية المتكاملة التي كان يعوّل عليها الحسيني وفريقه. لقد ترتّب على استمرار الاحتلال الإسرائيلي للشريط الحدودي تقديم سبب (ذريعة) للقيادة السورية من أجل عدم تطبيق الشق المتعلق بها والقاضي بإعادة تجميع قواتها بعد سنتين في منطقة «المديرج»، تمهيداً لانسحاب شامل: بعد أن تكون قوى الأمن والجيش اللبنانية قد أصبحت جاهزة للقيام بدورها الداخلي وعلى الحدود. أمّا الضحية المباشرة لهذا الإخلال الذي بدأ أميركياً، ومن ثم سورياً ولبنانياً وسعودياً (شراكة السين-سين)، فكان عنصر التوازن الداخلي في التسوية. كذلك الأمر بالنسبة إلى البنود الإصلاحية التي جرى تعطيلها أو تجاهلها (أو حتى مقايضتها بعدم الانسحاب السوري) حتى... اليوم! ثم إنه كان «طبيعياً»، في التوجه والعلاقات والأدوار، أن «فريق الطائف» اللبناني، بقيادة الرئيس حسين الحسيني، قد ذهب هو الآخر ضحية هذا الانحراف في التطبيق: فكان اغتيال الرئيس رينيه معوض، وسريعاً أيضاً إبعاد الرئيس حسين الحسيني عن رئاسة المجلس بتقديم الانتخابات وزيادة عدد النواب (خارج الاتفاق) وإرساء أسس التسوية الداخلية على الأمن السياسي السوري والتوجه الاقتصادي السعودي الذي جسّده آنذاك الرئيس رفيق الحريري. حصل ذلك، طبعاً، برعاية واشنطن، فهي كانت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بالتزامن مع انطلاق التسوية في لبنان، تعد لشرق أوسط جديد. وهو مشروع انطلق، بضغط أميركي، في مفاوضات موحّدة، بين إسرائيل وعدد من الدول العربية في مدريد أواخر عام 1991. ثم ما لبثت أن تحولت إلى ثنائية. وقد نجم عنها اتفاقية «وادي عربة» مع الأردن، واتفاق «أوسلو» مع المفاوض الفلسطيني، فيما تعثر المسار السوري، وكذلك اللبناني بسبب عدم تنفيذ القرار 425. تحضيراً لذلك، لم تكن واشنطن مستعدة أبداً لإضعاف موقف إسرائيل التفاوضي، وهي التي دعمتها (ولا تزال) لتحقيق مكاسب سياسية وجغرافية بواسطة العدوان والاحتلال!

التعثّر وسوء التطبيق المبكران دفعا الرئيس الحسيني للانتقال إلى المعارضة بعد انتخابات عام 1992. حاول أن يذكّر بما تجاهله التعاون السعودي السوري لجهة التوازن وإقامة دولة المؤسسات وتطبيق الإصلاحات واستقلالية القضاء... قدّم من أجل ذلك مشاريع قوانين ذهبت أدراج الرياح. حاول بلورة ذلك في نهج وإطار متكاملين. صاغ النهج في مواقف و«مخاطبات» سياسية-إعلامية محتجّة ومحذّرة تضمّنها لاحقاً كتاب بعنوان «مبادئ المعارضة اللبنانية». أمّا الإطار فتجسد في عدد من الصيغ السياسية التي بقيت محدودة التأثير في مواجهة أطراف السلطة اللبنانية، القدماء والجدد، ورعاتهم الخارجيين الإقليميين والدوليين. أمعن هؤلاء في تقاسم الدولة، وتجويف وتطييف مؤسساتها، ونهب مواردها..وصولاً إلى الانهيار! كان يأمل الكثير من انتفاضة 2019. دعم ونصح بأن تُنظم صفوفها بوصفها «شرعية شعبية» بعد أن فقدت السلطة شرعيتها من خلال اللصوصية والنهب والفشل والعجز..لم تسر الأمور على هذا النحو لأن قادة الانتفاضة كانت تعوزهم الخبرة والاستقلالية، ولأن واشنطن وفريقها كانا حاضرين، منذ البدايات، للاستغلال وفق أهداف مغايرة!

سجّلت الوفود، الفريدة التنوع، التي جاءت للتعزية، تقديرها للرجل. بعضها ربما على شيء من الندم وكثير من المخاوف، ما زال الأمل يراوده بقادمٍ أفضل. لم يكن يعني ذلك، بشكل واضح وأكيد، استخلاص العبر والدروس رغم أن الخسائر مدمّرة والمخاطر مخيفة.

رغم الإضعاف والإبعاد، لم يتخلّ الرئيس الحسيني عن الكفاح من أجل بناء دولة مواطنة وقانون ومؤسسات، عبر التوازن والإصلاح وتحرير الإدارة من التسلط التحاصصي الطائفي وتحرير الأراضي المحتلة من قبل العدو الصهيوني وإقامة علاقات سليمة ومتكافئة مع الشقيقة سورياً... فعل ذلك قبل استقالته من مجلس النواب محتجّاً عام 2008، وواصل نضاله السياسي بعدها، وحتى لحظاته الأخيرة.

هل ذهبت بغيابه كما في تغييبه فرصة إنقاذ لبنان؟ السؤال برسم الحريصين: للاستفادة من العبر، وللحؤول دون تبديد الإنجازات، ولمنع سقوط لبنان وشعبه في الأخطر والأسوأ.

* كاتب وسياسي لبناني

> صاغ النهج في مواقف و«مخاطبات» سياسية-إعلامية محتجّة ومحذّرة تضمّنها لاحقاً كتاب بعنوان «مبادئ المعارضة اللبنانية»

(هيثم الموسوي)

الحدث

طُغمة السودان تشطب «اللاءات»: نريد إسرائيل... ولا شيء سواها

منذ اجتماع عبد الفتاح البرهان مع بنيامين نتنياهو في عنتيبي الأوغندية في شباط 2020، بدا واضحاً أن السودان بدأ شقّ طريقه نحو تطبيع العلاقات مع العدو الإسرائيلي، والذي يُفترض أن «يتوَّج» العام الجاري بتوقيع «اتفاقية السلام» على غِرار تلك المبرَمة حديثاً مع الإمارات والبحرين. اتّفاقيةٌ يَظهر جليّاً، من الآن، أنها ستكون أقرب إلى «عقْد إذعان»، يوافق الطرف المُذعِن بموجبه، أي الخرطوم، على إرادة الطرف الآخر المذعَن إليه، أي تل أبيب، بلا منازعة أو تسويات. ذلك أن الحُكم العسكري القائم اليوم في السودان، يكاد لا يهمّه من كلّ عملية التطبيع إلّا الحصول على «درع حماية» يُنيله رضى واشنطن، ويَقيه الأخطار التي استطاع إلى الآن تجاوُز الكثير منها، ويُعفيه من عبء المطالبات بتقاسُم السلطة مع المدنيين. وفي المقابل، تجد إسرائيل في مجرّد إزاحة هذا البلد من مربّع «العداء» ربحاً عظيماً لها، فيما يبدو «مربط الفرس» لدى الولايات المتحدة، التي يمكن التكهّن، على ضوء إعادة تحريك ملفّ التطبيع، بأنها باتت أقرب إلى الاعتراف بمكانة العسكر وأوّليتهم في المشهد السوداني

(أف ب)

الخرطوم ــ مي علي

استقبل رئيس «مجلس السيادة» السوداني، القائد الأعلى للجيش عبد الفتاح البرهان، وزير خارجية دولة الاحتلال الإسرائيلي، إيلي كوهين، في الخرطوم، أوّل من أمس، حيث بحث الطرفان تطبيع علاقاتهما، في خطوة مفاجئة واستباقية لنهاية العملية السياسية التي كان من المفترض، نظرياً، أن تؤدّي إلى تسليم السلطة للمدنيين. وأعلنت وزارة الخارجية السودانية، في أعقاب اللقاء، أنه جرى الاتّفاق على المُضيّ قُدُماً في ملفّ التطبيع، مضيفةً، في بيان، إن المحادثات تطرّقت إلى «تطوير التعاون في مجالات الزراعة والطاقة والصحّة والمياه والتعليم». وتنبئ هذه الزيارة، وما أُعلن خلالها من خطوات ستتّخذ على طريق توقيع «اتّفاقية سلام» مع العدوّ، باستمرار مساعي البرهان لضمان بقائه في المشهد السياسي في المرحلة المقبلة، وخاصة بعدما وقّع على «الاتفاق الإطاري» الذي يرمي، أقلّه على الورق، إلى إبعاد الجيش عن السلطة وإعادته إلى مهامّه الأساسية المتمثّلة في حماية الدولة. كذلك، يُثبت لقاء البرهان - كوهين صحّة التقديرات بعدم جدّية الأوّل في تعهّداته بالانسحاب من العملية السياسية وترْكها للمدنيين، وخصوصاً أنه سبق اللقاء تواطؤٌ ضمني من قِبَله مع المساعي المصرية الرامية إلى إلغاء «الإطاري» الذي وُقّع مطلع كانون الأوّل بين «قوى الحرية والتغيير» والمكوّن العسكري، عبر تبنّي القاهرة مبادرة جديدة من شأنها أن تضْمن استمرار الأخير في السلطة. ومن هنا، لا يَستبعد مراقبون دوراً مصرياً في إعادة تحريك ملفّ التطبيع مع العدو في هذا التوقيت بالذات، في محاولة لتأمين درع حماية للعسكر في مواجهة أيّ محاولة لإزاحته، وتحقيق المصالح الإسرائيلية بالطبع، وقطعاً المصرية.

بدا لافتاً عدم اجتماع الوفد الإسرائيلي بقائد «الدعم السريع» الذي تَربطه علاقات وثيقة بدولة الاحتلال

ولم تتأخّر إسرائيل في التقاط «كرت» التطبيع الذي رمى به البرهان، مسارعةً إلى إرسال وفد عالي المستوى إلى الخرطوم لتسريع إجراءات إبرام اتّفاقية على غِرار «أبراهام» المعقودة مع المنامة وأبو ظبي، ولا سيما أن البرهان كان أوّل مسؤول سوداني رفيع يلتقي رئيس وزراء الاحتلال، بنيامين نتنياهو، في شباط 2020 في عنتيبي الأوغندية، وتحدّث يومها عن إمكانية التطبيع بين السودان وإسرائيل. ولم يعترض رئيس الوزراء المدني (المُطاح به) وقتذاك، عبد الله حمدوك، على مبدأ إقامة علاقات مع الدولة العبرية، لكنه رهَن هذا الملفّ بتشكيل سلطة تشريعية (برلمان منتخَب)، على اعتبار أن هذه القضية لا يمكن أن تَبتّها حكومة انتقالية غير منتخَبة. لكن، على ما يبدو، فإن قائد الجيش ماضٍ اليوم في فرْض رؤيته وإرادته حسْم ملفّ التطبيع منفرداً، على الأطراف كافّة، إثر انقلابه على الحكومة الانتقالية في تشرين الأوّل 2021. وفي هذا الإطار، يرى الكاتب الصحافي، عبد الحميد أحمد، أن «البرهان يعتقد أن الإسرائيليين قادرون على أن يكونوا عاملاً فاصلاً في الصراع المحموم على السلطة السودانية». ويضيف أحمد، في تصريح إلى «الأخبار»، إن «قائد الجيش يأمل أن يؤدّي اللوبي الصهيوني دوراً في إقناع الإدارة الأميركية بتأجيل ملفّ الانتقال الديموقراطي، وغضّ الطرف عن قيم الحرية وحقوق الإنسان»، عادّاً استقبال رئيس «السيادي» وزير الخارجية الإسرائيلي، دليلاً على «تراجُع الأيديولوجيا الوطنية نتيجة صعود نخبة سياسية غير مؤتمَنة من المدنيين والعسكريين انسلخت عن الثوابت الوطنية».

وعلى رغم مرور أكثر من 24 ساعة على لقاء البرهان - كوهين، إلّا أن «ائتلاف الحرية والتغيير»، الطرف المدني المُوقّع على «الاتفاق الإطاري»، ظلّ ملتزماً الصمت إزاء ذلك، ولم يَخرج عنه أيّ تعليق رسمي يستنكر اتّخاذ رئيس «السيادي» خطوات ليست من ضمن صلاحياته، أو يتبرّأ من مسألة دفْع عجلة التطبيع مع العدو، أو يوضح ما إذا كان هناك تنسيق مسبَق بشأنها بين الطرفَين. في المقابل، أعلنت قوى سياسية معارضة رفْضها زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي للخرطوم؛ إذ أكد «حزب المؤتمر الشعبي» أن «الحكومة الانتقالية الراهنة، بكلّ مؤسّساتها، لا يحقّ لها اتّخاذ أيّ موقف في القضايا الأساسية والمصيرية»، معتبراً، في بيان، أن «الغرض من المحاولات المحمومة للتطبيع هو أن يظلّ السودان تحت حُكم العسكر بدعم من إسرائيل وحلفائها»، داعياً القوى السياسية إلى «الاصطفاف ضدّ أيّ محاولات لتزوير إرادة الشعب وتجاوُز خياراته».

على أن ما بدا لافتاً، هو إحجام الوفد الإسرائيلي عن مقابلة مَن يمكن وصْفه بـ«رجل إسرائيل في السودان»، قائد ميليشيات «الدعم السريع» ونائب رئيس «مجلس السيادة»، محمد حمدان دقلو (حميدتي)، الذي نفى، في بيان، علمه بزيارة كوهين، مؤكداً أنه لم يلتق الأخير. وأثار ذلك الكثير من علامات الاستفهام، ولا سيما أن «حميدتي» تَربطه علاقات اقتصادية قوية مع دولة الاحتلال، وهو ما قد ينبئ بوجود خلافات غير معلنة بينه وبين قائد الجيش، كانت قد بدأت بالظهور بالفعل بعد إعلان الأوّل، في أكثر من مناسبة، دعْمه الكامل للعملية السياسية واستعداده لدمج قوّاته في الجيش. وظلّ الرجلان، حتى وقت قريب، تَجمعهما مصالح مشتركة في تأمين موقفهما، وضمان توفير الحماية والإفلات من العقاب لهما، وخاصة في ملفّ فضّ الاعتصام وقتْل المتظاهرين.

تل أبيب ترتقب «حليفًا» جديدًا: سنُخضع الخرطوم... بموافقة واشنطن

يحيى دبوق

لا يشابه مسار التطبيع، الذي يعاد تسليط الضوء عليه من حين إلى آخر، بين النظام السوداني وإسرائيل، أيّاً من المسارات المماثلة مع دول عربية أخرى طبّعت أخيراً علاقاتها بالعدو الإسرائيلي. ذلك أن السياق هنا، كما الشكل والمضمون والإرادة الابتدائية والأهداف، تبدو كلّها أكثر تعقيداً وتداخلاً، وبعيدةً عن المعادلة التي حكمت عمليّات التطبيع الأخرى لناحية تلقّي الأطراف العربية أثماناً لقاء قراراتها؛ إذ إن على الطرف العربي هذه المرّة أن يَدفع هو ثمن انفتاحه على إسرائيل. وللتذكير، فإن السودان لم ينضمّ بالكامل إلى اتّفاقات التطبيع الخليجية - الإسرائيلية لدى إعلانها في أيلول 2020؛ حيث اقتصر الأمر حينذاك على اتّصال هاتفي ثُلاثي جَمع رئيس «مجلس السيادة» السوداني عبد الفتاح البرهان، ورئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو، والرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، أُعلن في أعقابه الاتّجاه إلى إبرامه اتفاقية بين الخرطوم وتل أبيب، على غِرار «اتّفاقيات أبراهام» التي جمعت الأخيرة بأبو ظبي والمنامة.

على أن إسرائيل لم تكن هي التي أجّلت توقيع الاتفاقية المنشودة؛ إذ ليست ثمّة أثمان مطلوبة منها لقاء التطبيع مع السودان، فضلاً عن أن مجرّد إزاحة الأخير من مربّع «العداء» أو «الحياد»، يُعدّ فائدة معتدّاً بها بالنسبة إليها، قياساً إلى ما يمكن أن تجنيه من «اتّفاقيات السلام» الجديدة المبرَمة إلى الآن. أمّا الحُكم العسكري السوداني، فهو مستعدّ لتطبيع كامل «غبّ الطلب» مع دولة الاحتلال، من دون أيّ مطالب أو بحث عن تسويات، فيما جلّ ما يتطلّع إليه هو نيْل الرضى الأميركي عن نظامه، والكفّ عن مطالبته بتغييرات في غير مصلحته مِن مِثل نقْل السلطة كاملة إلى المدنيين، أي بتعبير آخر، تقبُّل الوضع كما هو، تماماً مثلما تتقبّل أميركا أيّ نظام عربي ديكتاتوري آخر. «مربط الفرس»، إذاً، في هذا المسار، إنّما يتمثّل في الطرف الأميركي، الذي كانت لديه سلّة أثمان يريد تدفيع الخرطوم إيّاها قبل أن يسمح لها بالارتماء في الحضن الإسرائيلي، وهو ما حاول العسكر السوداني تجنُّب دفْعه، الأمر الذي أدّى بالنتيجة إلى اقتصار مسار التطبيع، طوال الأشهر الماضية، على إعلان النيّات، من دون التوقيع الفعلي على أيّ اتفاق.

إلّا أنه، وفقاً لوزير الخارجية الإسرائيلي، إيلي كوهين، الذي زار الخرطوم، أوّل من أمس، والتقى البرهان وكبار المسؤولين في النظام العسكري الحاكم، يُفترض التوقيع على اتّفاق التطبيع بين الجانبَين خلال أشهر، وقبل نهاية العام الحالي. فهل هذا يعني أن الجانب الأميركي أعاد تقدير موقفه، وأن مسار التطبيع السوداني - الإسرائيلي بات سالكاً؟ لا إجابات يقينية إلى الآن، إنّما الأرجح أن يكون ذلك صحيحاً، وفقاً لِما يَجري تداوله من تصريحات ومواقف وتسريبات. حتى الأمس القريب، كان الموقف الأميركي من النظام السوداني مبنيّاً على ضرورة التريّث قبل القبول النهائي به، حتى لو أبدى الأخير استعداده للانقياد الطوعي والتامّ للمشيئة الأميركية، لقاء بقائه في الحُكم. والتريّث هذا مبنيّ، في حقيقته، على عدّة عوامل، أبرزها: هشاشة الوضع في السودان وعدم استقرار الحُكم الحالي فيه، وإمكانية تَغيُّره وفقاً لعوامل ونزاعات داخلية مبنيّة على المصالح الشخصية والتسابق للاستفراد بالسلطة، وإنْ كان المقدَّر أن يكون السلف كما الخلَف، منساقاً بدوره للإرادة الأميركية.

ليست ثمة أثمان مطلوبة من إسرائيل لقاء التطبيع مع السودان (أف ب)

بيد أن التطوّرات الداخلية في السودان، راهناً، تنبئ بإمكانية الاتّجاه نحو استقرار نسبي، قياساً بما كانت عليه الأوضاع لدى الإعلان عن المكالمة الهاتفية الثُلاثية بين البرهان ونتنياهو وترامب، عام 2020. إذ أنهى الحكّام العسكريون ثُنائية الحُكم مع المدنيين، وأفرغوا عملياً أيّ وعود أو استحقاقات من مضمونها في كلّ ما يتعلّق بانتقال السلطة إلى المدنيين، والذي يمثّل المطلب الأميركي والغربي المعلَن من الخرطوم. بتعبير آخر، فإن المؤقّت السوداني بات دائماً، تماماً كما هي الحال في دول أخرى تدور في الفلَك الأميركي، من دون وجود أيّ أفق للديموقراطية فيها. وعلى هذه الخلفية، قد يمكن فهْم ما بدأ يَظهر من تغيير في موقف واشنطن من الخرطوم، لناحية السماح للأخيرة باستئناف مسار التطبيع مع تل أبيب، مع ما يشير إليه ذلك من «قبول» أميركي بالنظام العسكري، وإنْ كانت نغمة تسليمه السلطة إلى المدنيين لا تزال قائمة في العلن.

على أيّ حال، بدا لافتاً في المؤتمر الصحافي لوزير الخارجية الإسرائيلي، والذي بادر إلى عقْده فوْر وصوله إلى تل أبيب، إعلانه أن المعادلة التي تَحكم الاتفاق المنوي التوقيع عليه مع السودان، هي «السلام مقابل السلام»، ما يعني، وفق الأدبيّات العبرية، أن إسرائيل ستتلقّى فوائد التطبيع مع الجانب السوداني، من دون أيّ مُقابل من جانبها. كذلك، برز حديث كوهين عن أنه عرَض نصّ الاتّفاق على السودانيين، واستحصل منهم على الموافقة عليه، الأمر الذي ينبئ بأن الصفقة المنتظَرة هي مجرّد «عقْد إذعان»، يوافق الطرف المُذعِن بموجبه على إرادة الطرف الآخر المذعَن إليه، بلا منازعة أو تسويات.

تقرير

بن غفير يستعجل تسليح المستوطِنين
«دولة الميليشيات» المُوازية تتمدّد

لا يكاد يمرّ يومٌ إلّا ويَخرج فيه إيتمار بن غفير بتحفة جديدة من بنات أفكاره الفاشية، في إطار مسار «انقلابي» بدأه منذ صعوده إلى وزارة «الأمن القومي» الإسرائيلي. تتمثّل آخر محطّاته في تسهيل «ترخيص أدوات إطلاق النار» لصالح المستوطِنين. وعلى الرغم من أن جمعيات إسرائيلية بدأت تُعلي أصواتها من مغبّة أن يفضي ذلك المسار إلى «نتائج كارثية»، فإن بن غفير لا يبدي أيّ تهاوُن فيه، منظّراً لخطواته بأهمّيتها في درء العمليّات الفدائية الفلسطينية، ومضيفاً بهذا لبِنة جديدة على طريق قيام «دولة ميليشيَويّة» مُوازية للشرطة، كانت «سريّة برئيل» التي أسّسها زعيم حزب «قوّة يهودية» نفسه في النقب، باكورتها الأولى

بيروت حمود

لا يتوقّف وزير «الأمن القومي» الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، عن «إدهاش» العالم بجنونه، بعدما دأب، طيلة السنوات السابقة لصعوده إلى السلطة، على التصرّف وكأنه «بطل» في أحد أفلام «الأكشن»، كاشفاً عن الوجه الحقيقي لدولته، والذي تجلّى جانب منه في إشهار بن غفير مسدّسه مرّات عديدة في حيّ الشيخ جراح في القدس المحتلّة، وفي وجه حرّاس مَرْأب فلسطينيين في تل أبيب. يوم الأربعاء، عَقد زعيم حزب «قوّة يهودية» اجتماعاً مع مسؤولي دائرة منْح تراخيص الأسلحة، بحسب ما أفادت به «القناة 12» الإسرائيلية، مهدِّداً هؤلاء بأنه في حال عدم إيجادهم حلّاً لمعضلة عشرات الآلاف من الرُّخص المعلَّقة في غضون يوم واحد، فـ«سيقوم بإغلاق الدائرة»، علماً أنه كان، في اليوم نفسه، أمَر، لدى «اكتشافه» حقيقة قيام الأسرى الفلسطينيين بصُنع الخبز الطازج بأنفسهم خلْف قضبان معتقَلاتهم، بإغلاق تلك الأفران التي عدّها بن غفير «مصيبة وجنوناً». ولم تكد تمرّ ساعات على هذه الخطوات، حتى أعلن الوزير الفاشي، الخميس، سلسلة إجراءات دراماتيكية في دائرة منْح التراخيص، من بينها تعزيز قِواها البشرية بمزيد من الموظّفين، الذين سيسهّلون عملية منْح رُخص حمْل الأسلحة النارية لآلاف الإسرائيليين شهرياً. وطبقاً لِما ذكره موقع «كول حاي» العبري، فقد أقرّ بن غفير مضاعفة عدد الموظفين الحالي، وزيادة عدد ساعات وأيّام العمل، وتكثيف المقابلات الوجاهية التي تُجرى مع مُقدِّمي الطلبات كلّ ساعة. أمّا الإجراء الأخطر، فتَمثّل في إعفاء كلّ عناصر الأجهزة الأمنية والعسكرية من المقابلات، ومنْحهم التراخيص مباشرةً، بما يشمل جنود الجيش، وعناصر «حرس الحدود» والشرطة، وعناصر «الموساد» و«الشاباك» و«مصلحة السجون»، ورجال الدفاع المدني (الإطفاء).

وإذ كان 17 ألف إسرائيلي قد قدّموا طلبات للحصول على تراخيص لحمل السلاح، بحسب «كول حاي»، الذي أفاد بأن ملفّات هؤلاء لا تزال قيْد المعالجة في القسم، فقد وضع بن غفير «ديد لاين» (موعداً نهائياً) للبتّ بما بين 5 آلاف و8 آلاف طلب في الشهر، وصولاً إلى تخليص جميع الملفّات العالقة، والتفرّغ للطلبات الجديدة التي ستُقدَّم تِباعاً. وعبّر وزير «الأمن القومي» عن «سعادته العظيمة» لأن «موظّفي القسم يتعاضدون معاً من أجل تمكين مُواطني إسرائيل من الدفاع عن أنفسهم»، مُدافعاً عن خطواته، وفق ما نَقل عنه الموقع نفسه، بـ«(أنّنا) أمام واقعتَين أليمتَين حدثتا نهاية الأسبوع الماضي، أثبتتا الفرق بين أن يكون المواطنون مسلّحين أو غير مسلّحين؛ ففي نافيه يعكوف، لأسفنا الشديد، قُتل سبعة يهود (في العملية التي نفّذها الشهيد خيري علقم)، أمّا في عير ديفيد، التي يتجوّل فيها الإسرائيليون بسلاحهم، فقد تمكّن أحد المسلّحين اليهود من تحييد منفّذ عملية إطلاق النار (الطفل محمد عليوات). هذا مثال حيّ على أهمّية تسليح المواطنين، وهو يلقي علينا مسؤولية تسريع إجراءات حمْل السلاح وترخيصه، وإلغاء البيروقراطية القائمة اليوم. هذا من أجل أطفالنا ومن أجل حياتنا جميعاً».

على المقلب الآخر، حذّرت جمعيات إسرائيلية تنشط في مجال مكافحة العنف وانتشار السلاح، من تَبعات القرارات الأخيرة، وفي مقدّمتها القرار الذي أصدره المجلس المصغّر للشؤون الأمنية والسياسية (الكابينت) عقب عمليّتَي القدس، ومَنح بموجبه تسهيلات جديدة لترخيص حمْل الأسلحة الشخصية للمستوطِنين؛ إذ رأت أن نتيجة ذلك «ستكون كارثية، وستفضي إلى بكاء الأجيال». وفي الاتّجاه نفسه، ذكّرت مديرة برنامج «هاإكداح عل شولحان همطباخ - المسدس على طاولة المطبخ -»، ريلا مازالي، بأن «حكومة سابقة بقيادة بنيامين نتنياهو اتّخذت قرارات لتسهيل تراخيص حمْل السلاح في سنة 2018، وبالنتيجة ارتفعت حوادث العنف والقتل خصوصاً داخل العائلات الإسرائيلية، وضدّ النساء». ولفتت مازالي، وهي رئيسة البرنامج الذي تنضوي في إطاره جمعيات ومراكز عديدة تُعنى بمكافحة العنف وانتشار السلاح، إلى أن «معطيات وزارة الأمن الداخلي الإسرائيلي، لعام 2021، تشير إلى أن 12 شخصاً انتحروا بواسطة سلاح مرخَّص، إلى جانب 16 حالة وفاة إثر انفلات رصاصة من سلاح شخصي مرخَّص، فضلاً عن مقتل 14 امرأة بإطلاق نار، بينهنّ ثلاث نساء يهوديات قُتلن بسلاح من النوع ذاته». وفي الإطار نفسه، نشرت صحيفة «هآرتس»، قبل أيّام، معطيات حول اتّساع رقعة انتشار السلاح الشخصي، أظهرت أن 86% من مستوطَنات الضفة، تُعدّ نسبة حاملي هذا السلاح فيها «مرتفعة»؛ إذ تُظهر البيانات أنه في بعض المستوطنات، سواء تلك التي في الضفة الغربية أو في الأراضي المحتلّة عام 48، يساوي عدد قِطع السلاح المرخَّص ثُلث عدد سكّانها. وفي المقابل، وعلى الرغم من انتشار مئات آلاف القطع بأيدي فلسطينيّي الـ48، حيث تُستخدم غالبيّتها في مجالات الجريمة الجنائية، إلّا أنه طبقاً لأرقام رسمية صدرت عن لجان في «الكنيست»، فإن «نسبة حاملي السلاح المرخَّص في صفوف هؤلاء متدنّية جدّاً».

17 ألف إسرائيلي تقدّموا سابقاً بطلبات للحصول على تراخيص لحمل السلاح

بالنتيجة، تبدو قرارات بن غفير وكأنها دعوة إلى الإسرائيليين لـ«أخذ القانون بأيديهم»، مع تعبيد الطريق أمامهم إلى ذلك وتسهيل قوننته من دون الاكتراث بالنتائج المحتمَلة لخطواته. والواقع أن الحضّ على نشْر الأسلحة المرخّصة في صفوف المستوطِنين، ليس إلّا حلقة من سلسلة مخطّطات لتوسيع الدوائر «الميليشيويّة» وتنظيمها، وفق نموذج «ميليشيا برئيل» التي قادها وأسّسها بن غفير في مدينة بئر السبع في النقب، إذ إنه في أعقاب «هَبّة أيار»، فرّخت العديد من الأطر الشبيهة بـ«برئيل»، ولكنها لا تزال شعبية وغير منظّمة أو مقوننة أو تابعة لوزارة الأمن القومي. وعلى هذا الأساس، فإن تسهيل إصدار تراخيص حمْل الأسلحة بذريعة العمليات الفلسطينية، يَظهر كمقدّمة لتنظيم الأجسام الأمنية المحلّية الموازية للشرطة، التي طالما رأى فيها بن غفير جهازاً عاجزاً عن القيام بدوره في الدفاع عن الإسرائيليين.

جانب اعضاء نقابة
اصحاب شركات النقل الدولي في بيروت

دعوة لانتخابات عامة لكامل اعضاء المجلس التنفيذي
لنقابة اصحاب شركات النقل الدولي في بيروت

بتاريخ ٢٠٢٣/١/٢٥ انعقد المجلس التنفيذي لنقابة اصحاب شركات النقل الدولي في بيروت وتقرر اجراء انتخابات عامة لكامل اعضاء المجلس التنفيذي وقد حدد المجلس التنفيذي موعد الانتخاب يوم الاربعاء الواقع في ٢٠٢٣/٢/٢٢ على ان تبدأ العملية الانتخابية في مركز النقابة الساعة الواحدة من بعد الظهر وتنتهي الساعة الثانية من بعد الظهر.

لذلك، فان المجلس التنفيذي يدعو اعضاء الجمعية العمومية المسددين اشتراكاتهم لانتخاب كامل اعضاء المجلس في المكان والموعد المحددين اعلاه كما يدعو المرشحين الى التقدم بطلب الترشيح الى امانة سر النقابة مصحوبين بسجل عدلي لا يعود تاريخه الى اكثر من شهر، علماً بان باب الترشيح يقفل يوم الجمعة الواقع فيه ٢٠٢٣/٢/١٧ في تمام الساعة الثالثة من بعد الظهر، اي ثلاثة ايام قبل موعد الانتخاب، علماً ايضاً بان النصاب القانوني لاجراء الانتخاب هو نصف اعضاء الجمعية العمومية زائد واحد في الدورة الاولى وفي حال عدم اكتمال النصاب تؤجل الانتخابات الى يوم الاربعاء في ٢٠٢٣/٣/١ بنفس التوقيت ونفس المكان وتكون الدورة الثانية قانونية في حال حضور ثلث الاعضاء ولا يفتح باب الترشيح مجدداً.

الرئيس

تقرير

على رُعد مئة يوم من الانتخابات الرئاسية التركية، يتصاعد التوتّر بين أنقرة والعواصم الغربية، التي لا تفتأ تستدعي المزيد من أسباب الخلاف مع تركيا، عاصدةً، في الأيام الأخيرة، إلى إغلاق عدد من قنصلياتها تباعاً في إسطنبول. بدعوى وجود «تحذيرات أمنية» من هجمات «إرهابية». وإذ قابلت أنقرة تلك الخطوات بالتهوين من شأن الحديث عن «المخاطر»، وإدراج القرارات الغربية في سياق «حملة دولية» على تركيا التي لا تزال على موقفها الرافض تسهيل انضمام السويد إلى حلف «الناتو»، فإن الرغبة الغربية باتت جليّة في إلحاق أكبر أذى سياسي ومعنوي بالرئيس رجب طيب إردوغان، أملاً بخروجه من رئاسيات 2023 مهزوماً

بدء العدّ العكسي للانتخابات التركية

الغرب يصرّح برغبته: لا نريد إردوغان

محمد نور الدين

إلى ما قبْل قرار ثماني دول أوروبية، إضافة إلى الولايات المتحدة، إغلاق قنصليّاتها في مدينة إسطنبول التركية، لم يكن في الأفق ما يشير إلى تطوّرات تستدعي تصعيداً من هذا النوع. ولذلك ربّما، وصف وزير الداخلية التركي، سليمان صويلو، القرار بأنه «حرب نفسية» ضدّ تركيا، تأتي في إطار «عملية دولية». وبرّرت الدول التسع، وهي: إيطاليا، إسبانيا، السويد، هولندا، ألمانيا، فرنسا، بريطانيا، الدانمرك والولايات المتحدة، خطوتها بوجود «تحذيرات أمنية» من وقوع هجمات «إرهابية» ضدّ سفاراتها وقنصليّاتها، كما ضدّ مراكز عبادة مسيحية ويهودية، وأماكن تسكنها جاليات غربية في إسطنبول. وإلى أبعد من ذلك، ذهبت القنصلية الأميركية، بتحديدها في بيانها الصادر في 27 كانون الثاني، أماكن بعينها «مهدَّدة» في المدينة التركية، من مثل تقسيم وباي أوغلو واستقلال وغلطة، قبل أن تحذو حذوها البلدان المذكورة الأخرى، ولا سيما فرنسا التي أغلقت أيضاً مؤسّسات تربوية تابعة لها كـ«ثانوية بيار لوتي» في باي أوغلو.

في المقابل، استنكرت الخارجية التركية حالة الذعر التي يحاول بعض الغرب خلْقها في تركيا، معتبرةً أن ما تفعله تلك القنصليات «لا يخدم سوى الإرهاب بعينه». وأكّدت الوزارة، بعد استدعائها سفراء الدول التسع، أن «تركيا تقوم بكامل التزاماتها لجهة حماية المؤسّسات الأجنبية»، فيما وصف الناطق باسم «حزب العدالة والتنمية» الحاكم، عمر تشيليك، التحذير من «مخاطر أمنية» بأنه «عمل غير مسؤول لا يمكن قبولُه»، قائلاً إن «مصدر المخاطر ليس تركيا، بل الحركات السياسية المعادية للإسلام في أوروبا وعمليات حرْق الكتاب المقدّس للمسلمين»، مؤكداً أن «تركيا ترفض كلّ محاولات اتّهامها وتشويه صورتها». وربط وزير الداخلية، سليمان صويلو، بدوره، قرارات الإغلاق التي تتابعت في الأيام الأخيرة من الشهر المنصرم، بـ«حملة غربية على تركيا لا تريد لها أن تكون مستقلّة وحرّة»، لافتاً إلى أن تلك الحملة «كان لها شقّ قانوني يتعلّق بطلب الإفراج عن بعض المعتقلين السياسيين، وخصوصاً المؤيّدين للغرب، وعندما فشلت هذه الدول في ذلك، انتقلت إلى التحذير من زيارة تركيا»، التي زارها في عام 2022 أكثر من 51 مليون سائح، مُحقّقين لها مدخولاً لا يقلّ عن 46 مليار دولار. وتساءل صويلو مستنكراً: «إذا كانت الدول الغربية المعنيّة على اطّلاع مسبق على احتمال قيام عمليات إرهابية ضدّها، فلماذا لم تتوقّع قيام حزب «العمال الكردستاني» بعملية شارع الاستقلال قبل فترة؟ ولماذا لم تتبادل المعلومات مع السلطات التركية؟».

وإذ يذكر الكاتب مراد يتكين أن مصادر دبلوماسية غربية أبلغتْه أن قرار إغلاق القنصليات جاء بناءً على «معلومات موثوقة» تعمل تركيا على دراستها، فإن معظم المحلّلين يربطون بين القرار والتوتّر السائد على خطّ أنقرة - استوكهولم، على خلفيّة قيام كلّ من المتطرّفَين: راسموس بالودان في السويد، وإدوين واغنسفيلد في هولندا، بإحراق نسخ من القرآن الكريم، وفتْح المدّعي العام لأنقرة تحقيقاً في ذلك. مع هذا، تنقل محطّة «خلق» التلفزيونية المعارضة عن بيدروس شيرين أوغلو، رئيس «اتّحاد الأوقاف الأرمنية» في تركيا، قوله إنه بناءً على معلومات، أرسل إلى مسؤولي الجماعة الأرمنية رسالة عبر هواتفهم جاء فيها: «لا أريد أن أزعج مزاجكم، لكنّني مضطرّ

> **يربط معظم المحلّلين بين قرار إغلاق القنصليات والتوتر السائد على خطّ أنقرة - استوكهولم**

لأنقل إليكم أن ثلاثة من عناصر داعش المدرَّبين عسكرياً قد دخلوا البلاد». كما تنقل عنه أن هدف هؤلاء هو محاولة اغتيال بعض الزعماء الدينيين والمدنيين، وأنه أوعز إلى «الجماعة» باتّخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة في النشاطات العامّة والمدارس، وتجميد النشاطات من شهرَين إلى ثلاثة أشهر، وإلغاء كلّ الاجتماعات المخطَّط لها، وهو أبلغ السلطات التركية بالأمر، لتعْمد الأخيرة إلى مضاعفة إجراءات الحماية. وعلى رغم ما تقدّم، يعتقد شيرين أوغلو أنه «لا داعي للذعر»، لافتاً إلى أنه نُصح رؤساء «الأرمنية» بتبرير الإجراءات الجديدة بـ«إنفلونزا الخنازير».

من جهته، يرى الكاتب صولي أوزيل، في حوار تلفزيوني، أن مبرّرات إغلاق القنصليات هي بالفعل المعلومات الاستخبارية الموثوقة حول وجود تهديدات، لافتاً إلى أن «العديد من عناصر داعش دخلوا أخيراً إلى تركيا من سوريا، بعدما قُتل بعض قياداتهم في إدلب»، وأن هؤلاء «ربّما يسعون إلى الانتقام». على أن نهاد أولوداغ، وهو مدير الأخبار في تلفزيون «سي أن أن تورك»، يعتقد بأن حجّة الدول الغربية ليست في محلّها؛ إذ إن «السلطات الأمنية التركية نفّذت بنجاح عمليات أمنية، واعتقلت قبل أيام 15 عنصراً من داعش، أودعَ ستّة منهم السجن»، مضيفاً إن «هذه العملية لم تكن جديدة، بل هي استمرار لمكافحة تركيا تنظيم داعش، حيث نفّذت 1042 عملية ضدّه في عام 2022، واعتقلت 1981 عنصراً تابعين لها»، مضيفاً إن «كلّ أوروبا لم تعتقل هذا القدْر من الإرهابيين لأن تركيا هي التي تقوم بمحاربة داعش بشكل جدّي». من هنا، يرى أولوداغ أن إغلاق القنصليات جاء بهدف إظهار تركيا «أنها بلد غير آمن»، بعدما أعلن محافظ إسطنبول أن 36 في المئة من السائحين الأجانب، أي حوالي 16 مليوناً و18 ألفاً و726 سائحاً، كانت وُجهتهم مدينة إسطنبول تحديداً، مبيّناً أن هؤلاء يأتون من روسيا وألمانيا وإيران والولايات المتحدة وإنكلترا، ويقصدون إسطنبول «لأنها منطقة آمنة وليس فيها أيّ مخاطر جدّية». ويتابع أن «إغلاق القنصليات هدفه نشر الخوف ومنع مجيء السائحين»، وخصوصاً أن تركيا تنتظر موجة كبيرة منهم في عام 2023، لافتاً إلى أن «السلطات الأمنية تعرف كيف يجري تسريب معلومات استخبارية إلى عناصر أجنبية، واتّخاذها ذريعة لقرار الإغلاق وتشويه سمعة تركيا». ويُذكّر الإعلامي التركي بأن بلاده «تخوض حروباً استخبارية على أرضها؛ فهي فكّكت خليّة إيرانية كانت تريد استهداف معارضين إيرانيين، وأخرى للموساد الإسرائيلي كانت تستهدف فلسطينيين في تركيا، ومن ثمّ شبكة تجسّس يونانية»، متابعاً أنهم «يريدون تحويل تركيا إلى مركز للعملاء والجواسيس».

لجأت بعض العواصم الأوروبية إلى إغلاق عدد من قنصلياتها تباعاً في إسطنبول (أ ف ب)

وتأتي التطوّرات المتعلّقة بإغلاق القنصليات في سياق حملات متوالية في الأوساط الغربية ضدّ تركيا، ولا سيما بعد اعتراض الأخيرة على انضمام السويد إلى حلف «الناتو». وفي هذا الإطار، يحمّل الكاتب جورج موناستيرياكوس، في صحيفة «كاتيميرني اليونانية»، أنقرة، مسؤولية تأخير الانضمام، داعياً إلى طرْدها من الحلف، ومعتبراً أنه «حان الوقت لنقول لها كفى». كذلك، صنّف «تقرير الديموقراطية في العالم»، الذي أصدرتْه مجلّة «الإيكومونيست»، تركيا في المرتبة 103 من أصل 164 دولة، وفي خانة «الهجينة» التي تسبق خانة «الأنظمة الاستبدادية»، وتلي خانتَي «ديموقراطية كاملة» و«ديموقراطية ناقصة». وكان تقرير سابق قد صدر عن الاتحاد الأوروبي، انتقد «وضْع الديموقراطية» في تركيا بسبب الاعتقالات في صفوف المعارضين، وإقالات رؤساء البلديات الأكراد، وتماهي الأداء القضائي مع توجّهات السلطة السياسية. ويجيء كلّ ما تقدّم على بُعد مئة يوم تقريباً من الانتخابات الرئاسية التي ستجرى في 14 أيار المقبل، والتي لا يخفي الغرب، بمسؤوليه ووسائل إعلامه، رغبته القوية في أن يخرج الرئيس رجب طيب إردوغان منها خاسراً.

تونس

سعيد يضيف بـ«اتّحاد الشغل»: نحو المعركة... بأيّ ثمن

تونس ـ الأخبار

فرَغ الرئيس التونسي، قيس سعيد، من انتخاباته التشريعية التي لم يَسوّه ضعف المشاركة فيها، بل واستثمره لصالح مُحاججته بأنه كان على صواب حينما عمد إلى تقليص دور المؤسّسة النيابية عبر تعديل الدستور والقوانين الانتخابية، كوْن تلك المؤسّسة لم تَعُد محطّ اهتمام التونسيين، الذين لا يرغبون في وجودها أصلاً، بحسبه. ويستثمر سعيد، في تعاطيه البارد ذاك، في غياب أيّ موقف إقليمي أو دولي جادّ مناهِض لانتخاباته، بما يشمل الولايات المتحدة التي اكتفت وزارة خارجيتها بدعوة الرئاسة التونسية إلى مزيد من التشاركية في المرحلة المقبلة، ما يعني اعترافاً مبطناً بـ«شرعيّة» الاقتراع الأخير. والظاهر أن الإدارة الأميركية، التي شهدت الفترةُ الأخيرة تحرّكاتٍ مكثّفة للقائمة بأعمالها في تونس، تعتقد أن لا بديل في الوقت الحالي من الوضع القائم، وأن الحلّ الجذري ليس في متناول اليدَين. أمّا على المستوى الداخلي، فإن تحرّكات «جبهة الخلاص الوطني» وبقيّة أطياف المعارضة ظلّت محدودة التأثير والفاعلية، فيما بدا «الاتحاد العام التونسي للشغل» الوحيد القادر على استفزاز سعيد، وإخراجه عن طوْعه، إلى حدّ الظهور من ثكنة الحرس الوطني في العاصمة لإطلاق تهديدات ضدّ المنظّمة النقابية. تهديدات بدت أقرب إلى تصريح بنيّة الرئيس نقْل الصراع إلى مربّع جديد، عنوانه استخدام المؤسّسات الأمنية والعسكرية بمواجهة مُعارضيه، وهو ما أنبأ به أيضاً إيقافُ قيادي نقابي بعد خطاب الرئيس بساعات.

وجاء تحرّك سعيد الأخير ضدّ «اتحاد الشغل»، ليستكمل سلسلة خطوات كان الرئيس اتّخذها على طريق تهميش المنظّمة، وسحْب الامتيازات التاريخية منها، من مثْل الاعتراف بمنظّمات نقابية منافسة وموازية لها، وإلغاء الاقتطاع الحصري من رواتب الموظفين لفائدة ميزانيتها بما يُفقدها مصدر تمويلها الأساسي. ومع ذلك، حرصت قيادات «الاتحاد» على عدم الدخول في صِدام مع سعيد ورئيسة حكومته نجلاء بودن، توازياً مع تكثيفها اتّصالاتها داخلياً وخارجياً من أجل إنجاح مبادرتها للحلّ، بل وأبدت رغبتها في العمل المشترك مع الرئيس. إلّا أن كلّ تلك المرونة لم تُعفِ أعرق منظّمات البلاد وأكثرها جماهيرية، من بدء الرئيس «حربا» عليها، دشّنها باستعادة سلسلة مقولات دأبت جميع الأنظمة المتعاقبة قبل الانتفاضة وبعدها على سوْقها ضدّ «اتحاد الشغل» - من دون أن تفلح سوى في توسيع دائرة المدافعين عن الأخير -، بل واسترجاع الشعارات التي رفعتْها حركة «النهضة» لدى تسلّمها السلطة أواخر عام 2011، والقائمة على اتّهام النقابات بتعطيل عجلة الاقتصاد، والفساد والإثراء على حساب المال العام.

يتغاضى سعيد، في معركته تلك، عن جملة مميّزات حالت سابقاً، وستظلّ تحول، دون إقصاء «اتحاد الشغل» من المشهد. فـ«الاتحاد» يُعدّ سليل الحركة الوطنية، وهو ذو مكانة اعتبارية في نفوس التونسيين، بعدما ارتبط اسم مؤسّسيه الأوّلين بحرب الاستقلال ونيله. وفي وجدانهم أيضاً، اقترنت قيادات المنظّمة، بعد الاستقلال، بمعارضة خيارات الرئيس الأوّل للبلاد، الحبيب بورقيبة، وفشل الأخير في احتوائها، إلى حين اندلاع «انتفاضة الخبز»، وإصدار بورقيبة أحكاماً بالإعدام ضدّ تلك القيادات، قبل أن يتراجع عنها تحت الضغط المحلّي والدولي، لينظهر - وهو الملقّب آنذاك بـ«حبيب الأمّة ومجاهدها الأكبر» - كمَن كُسرت شوكته أمام الأمين العام لـ«الاتحاد» حينها، الحبيب عاشور. وحتى الرئيس الأسبق، زين العابدين بن علي، الذي نجح نسبياً في احتواء قيادات المنظّمة، فقد أخفق في ترويض النقابات المتفرّعة عنها، والتي ظلّت كابوساً بالنسبة إليه، وتولّت تأطير الحركة في انتفاضة 2011 التي انتهت بإطاحته. أمّا في ما تلا ذلك، فقد سُجّل لـ«الاتحاد» دور في الحوار الوطني الذي أزاح «النهضة» وحلفاءها من الحُكم سنة 2014. كذلك، لم تَغِب المنظّمة عن أيّ احتجاج عمّالي، وسعت إلى ضمان حقوق فئات متنوّعة، وشكّلت ملجأ للجهات المحرومة والمقموعة، كما اشتغلت على انتزاع زيادة في الأجور للموظّفين العموميين، بما يتناسب مع التضخّم والغلاء وانهيار المقدرة الشرائية، وهو ما يشكّل أحد عناوين الصِّدام الكبرى بينها وبين سعيد.

> **يتغاضى سعيد عن جملة مميّزات حالت سابقاً، وستظلّ تحول، دون إقصاء «اتحاد الشغل» من المشهد**

على رغم كلّ تلك المعطيات، لم يرتدع سعيد عن إطلاق مسار التضييق على «منظّمة الشغيلة»، عامِداً إلى تعيين الأمين العام المساعد السابق لـ«الاتحاد»، محمد علي البوغديري، على رأس وزارة التربية، في ما بدا محاولة للاستثمار في الخلاف الحادّ الذي نشب إبّان المؤتمر الأخير للمنظّمة بين البوغديري وأمينها العام الحالي، نور الدين الطبوبي، علماً أن الأوّل مُوالٍ للرئيس ومجاهِرٌ بذلك، وهو من مؤسِّسي مبادرة «لينتصر الشعب» التي خاضت الانتخابات التشريعية الأخيرة، وحصلت على عدد لا بأس به من المقاعد فيها. في المقابل، وبينما استغلّت المعارضة الموقف لتصعيد هجومها على سعيد، معتبرةً ما قام به «تهديداً إضافياً للديموقراطية وعبثاً بها»، حذّر «اتحاد الشغل»، على لسان الطبوبي، من «ضرْب العمل النقابي»، مؤكّداً «عدم تراجُع المنظمة عن القيام بدورها التاريخي في إنقاذ البلاد من أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية خانقة». ولوّح المكتب التنفيذي لـ«الاتحاد»، بدوره، في بيان، بخوض جميع أشكال النضال السلمية ضدّ استهداف النقابيين، ما يعني أن البلاد ستكون مقبلةً على موجة إضرابات، هي آخر ما تتمنّاه حكومة بدون العاجزة عن توفير موارد لميزانيتها.

(أ ف ب)

وفيات

ببالغ الحزن والأسى تنعى إليكم لجنة حقوق المرأة اللبنانية فقيدتها المناضلة الرائدة
ليندا مطر بانجاريان
يحتفل بالصلاة لراحة نفسها الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم السبت الواقع فيه 4 شباط 2023 في كنيسة مدافن الأرمن الأرثوذكس، برج حمود.
تقبل التعازي غداً الأحد الواقع فيه 5 شباط 2023 من الساعة الحادية عشرة صباحاً ولغاية السادسة مساءً في نادي خريجي الجامعة الأميركية، الحمرا.
الآسفون: لجنة حقوق المرأة اللبنانية

ذكرى

بسم الله الرحمن الرحيم
(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) صدق الله العظيم.
إنّا لله وإنّا إليه راجعون
يصادف غداً الأحد الواقع فيه 5 شباط 2023 ذكرى مرور أسبوع على وفاة فقيد الشباب الغالي المرحوم
الدكتور احمد محمد حسون
والده: المرحوم الحاج محمد حسون
والدته: المرحومة الحاجّة سهيلا غدار
ولداه: رامي ورايا.
شقيقه: الحاج حسين، زوجته الحاجّة ندى قاووق
شقيقاته: بتول، ليلى، زوجة محمد حلاوي، إيمان، زوجة المرحوم سمير صفي الدين
المرحومة لبنى، زوجة أحمد فرج وسوسن.
وبهذه المناسبة ستُتلى آيات من الذكر الحكيم عن روحه الطاهرة، من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى الساعة السادسة مساءً في مركز «جمعية التخصّص والتوجيه العلمي»، الجناح، الرملة البيضاء، قرب خطيب وعلمي.
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب.
الآسفون: آل حسون، آل غدار، آل قاووق، آل حلاوي، آل صفي الدين، آل فرج وعموم أهالي بلدة الغازية.

مبوب

مطلوب

مطلوب سيدة أو آنسة تجيد الطباعة (عربي وإنكليزي) وخبرة محاسبة.
مار الياس هاتف:
03/880080 - 01/506861

استراحة

كلمات متقاطعة 4237

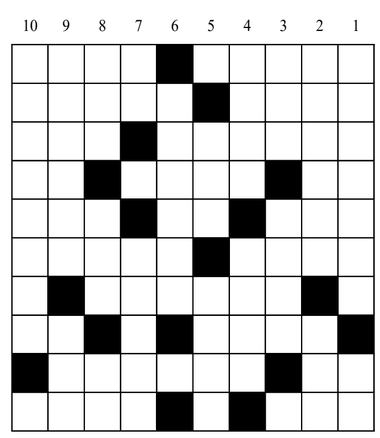

أفقيا

1- مرآة – عاصمة أوروبية – 2- حمام بري – مشقوق الشفة – 3- نساء متجولات في الشوارع يمتهنّ الرقص والعزف وقراءة البخت – غني – 4- ثغر – متحف فرنسي – واحد بالأجنبية – 5- من أسماء الخمر – زلق وسقط – ما يعبده الوثني – 6- متحف تركي – سوتشي مبعثرة – 7- جريدة لبنانية محتجبة – 8- حائط – صواب – 9- إحسان – بحيرة أوروبية – 10- من الحيوانات – ممثلة مصرية معتزلة

عمودياً

1- خط دفاع ألماني خلال الحرب العالمية الثانية – نشر الخبر – 2- مدينة عراقية – صغير الكلب – 3- من عناصر الطبيعة – إحدى المهن – 4- حسن الوجه – بياض البيض – 5- نهر انكليزي – فرح – 6- المدعّي بالعلم والكل يعرف حقيقة جهله – 7- نثر الماء – جزيرة سعودية – 8- حصل على المال بعد موت أبيه – مدينة لبنانية – عاصفة بحرية – 9- عاصمة جزر القمر – من الأشجار – 10- شاعر لبناني راحل له

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- عتّ – ينازلهم – 2- رشيد ايوب – 3- جرن – قد – 4- حمورابي – 5- دوام – صور – 6- ابناء – لا – 7- ليتر – هملر – 8- لح – آنسة – 9- اللبن – غم – 10- نهر ابراهيم

عمودياً

1- عرج – دال – شن – 2- تشرنوبيل – 3- ين – انتحار – 4- يد – حمار – لا – 5- ناعم – الب – 6- اي – وز – هنبر – 7- زوّار – لمسنا – 8- لب – اصالة – 9- قبو – غي – 10- ماديرا – قمم

sudoku 4237

5	9		2		8			6
		2		3		7		4
		3	1		5			
		8			1			3
3				9	2			
		9	7	8			4	
	3			5			6	2
					7	5		
8	1		3			4		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4236

5	8	6	9	7	1	2	3	4
4	1	3	6	2	8	5	9	7
9	2	7	4	5	3	8	1	6
3	4	2	1	9	5	6	7	8
7	9	8	2	6	4	3	5	1
6	5	1	3	8	7	9	4	2
8	3	9	7	4	6	1	2	5
1	6	4	5	3	2	7	8	9
2	7	5	8	1	9	4	6	3

مشاهير 4237

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11

لاعب كرة قدم هولندي سابق. اشتهر بتسريحة شعره ذات الضفائر الطويلة مع نظارته الشمسية

5+7+2+4+3+1 = مدينة مغربية ■ 9+10+11+5 = يدفع ■ 6+8 = آلة موسيقية

حل الشبكة الماضية: **جميلة بوحيرد**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

نبض الضفة

ثورة ديمومة، أم مقاومة آنيّة؟

وليد عبد الرحيم

استفتاءُ التاريخ من زاوية ما، هو امتحانٌ للعقل التقييمي المُنشغل تارةً بارتياب الخوض في المصطلح والمقولة، وأخرى بالجدوى وأدواتها المُثلى، فإنْ كان ذلك يخُصُّ المستقبل الإنساني تُمسي الإجابةُ المنقوصة ضرباً من انتهاك البشرية لذاتها وخلاصة تجربتها التحررية، وهي انْعطافةٌ خطيرةٌ للإنسانيّة المنخورة ببطش التخلف ومُفرزات مخلفات العنصرية وسِعة انتشار مفرداتها الإعلامية والدبلوماسية، إنه اختلاطُ التباس عجيب بين المُقتضيات التحررية وشكل الرغبة الاستعمارية في طريقة وحدود البحث عن الحرية، والمشفوعة بمفردات القيم الإنسانية النبيلة كغطاءٍ ناجح لِوَقْع ومجريات تغطية الجريمة.

ما الذي سوف يحدث في حال نجاح خلط الثورة بالإرهاب مثلاً؟ أو مزج صيغة الإرهاب على كل مقاومة ضد الظلم والاحتلال والدكتاتورية وانتهاكات جسد وروح الإنسانية؟ الاستمرارية في الثورة، ومن ضمنها جنحةُ إشغال الطاغية ومقاومته المستمرة بالأدوات الممكنة، بغضّ النظر عن لَحظتَي قوته أو هزالته، فعاليته على الأرض أو نكوصها، هو ما يعطيها مشروعيتها، بحيث تجلب التراكميةُ الكمّيةُ تلقائياً مشروعيةَ الفعل المُتصدي، الذي يُطوّر بالتالي أدواته باستمرار، ما ينعكس على التجربة - الخبرة وتطوُّرها المستدام، كما يكبح جزئياً ثم كلياً افتراسَ القوة لبراءة السكونية والضعف، وهو بذلك أيضاً ينسج تدريجياً تكريس فكر الثورة والمقاومة بحكم التوالي زمنياً، ويوسع من رحابة نتائجها المقبلة، ولا سيما في بلدٍ كفلسطين، التي يمكن بسهولة وجلاء ملاحظة أن فترات الهدوء والاستكانة فيها تشهد دائماً جرائم أكثر وقاحة وأشد عنفاً وازدراءً للقوانين والأعراف الإنسانية، حتى إنه يمكن من حيث التوثيق التاريخي ملاحظة أنه كلما تقدمت العمليات الفدائية ونبضتْ الروحُ الثورية بتجلياتها العنفية، وحتى الاحتجاجات التعبيرية السلمية، ارتبك العدو أكثر وتراجع عن وحشيته ولو قليلاً، أو على أقل تقدير تراه قد تربّتْ مُرغماً!

لحظةُ الفعل النضالي بمختلف أدواته، يختفي المستوطنون في الملاجئ، داخل المستوطنات التي تُعدّ حصوناً عسكرية، سكانها مدججون بكل أسلحة الفتك ومقوّمات الصمود، ويصعب على المُقاتلين اختراقها أثناء تلك الفترات، لكنها تكون على الأقل قد لجمت جنون التوسع بالجريمة وحُمّى الممارسات النازية الإرهابية، فالانكفاء خلف الأسوار يحتم اتخاذ مواقع دفاعية، وهكذا يكفّ المعتدي عن نسبة ما من نسب اعتداءاته الاعتيادية.

الفكرة لا تنحصر في لحظة مواجهة آنية ما، بل ترسم جوهر إيقاع عملية الصراع مع المغتصب المتغطرس إلى حد كبير، إلى جانب أن الاستمرارية في شتى أنواع الكفاح - العنفي والسلمي - تعدّ أهم عامل في شحذ الخبرة وتطوير الذات والأدوات، ما يمكن تسميته مع التراكمية اليومية بنضوج التجربة، كما في ممارسة الطب والفن والأدب أو أية مهنة أخرى.

لا يلاحظ العديدون بأن الصهيونية منذ نشأتها حافظت على الديمومة الفعلية، يمكن توضيحها بوصفها «حالة عدم التوقف»، وهذا أحد أهم أسباب تحقيقها لنجاحات على أصعُد عدة، لقد بدأت بالفكرة، ثم استجلاب المجموعات البشرية، ثم تدريبها وتسليحها، ثم خلق المنظمات الإرهابية مختلفة العناوين، وضمّها في جيش نظامي بعد إنشاء الكيان الفرانكشتايني وهكذا، فكانت كل مرحلة مقدمة للأخرى، والأخرى مكملة لما سبق.

> **يمكن من حيث التوثيق التاريخي ملاحظة أنه كلّما تقدّمت العمليات الفدائية ونبضتْ الروحُ الثورية بتجلّياتها العنفية، وحتى الاحتجاجات التعبيرية السلمية، ارتبك العدوّ أكثر وتراجع**

ما سبق من تحقيقه صهيونياً لم يحدث عند الفلسطينيين، فكانت كل ثورة أو مقاومة تبدأ من ذاتها وتنتهي بذاتها، وهو ما سبّب الانقطاعات الزمنية المتوالية، تنتهي الثورة، ثم بعدها تكون فترة سكون وارتباك تطول أو تقصر، لتُولد أخرى بلا قراءة تُذكر لسبب فشل السابقة أو شحّ نتائجها وهكذا...

ما جرى بالتالي عبر قرن خلا أن المقاومة والثورة خسرتْ التواصل والتراكمية، فلا هي استفادت من سابقتها ولا أسست بعمق للاحقتها.

يبدو اليوم أن هناك من التقط الفكرة المُنتجة للفعل الثوري، وتحديداً في الضفة الغربية والمناطق المحتلة عام 1948 ربما كتعويض عن سُكونية الخارج وتكلّس غزة بحسب رغبة الفئة المهيمنة وعلاقاتها الإقليمية واستحقاقاتها الدولية. لذا، وبما أن مخابرات الاحتلال تعمل بشكل دائم على تفكيك شبكات المقاومة الفدائية داخل الضفة ومدن الداخل، وقد نجحت في ذلك مراراً، فإن المسألة بسيطة تتلخّص في ألّا يكون هناك مجموعات تقليدية أو تنتمي إلى فصائل علنية، هنا برزت الفكرة المبدعة: فليكن التركيز على الجهد والعمل الفردي، ويمكن ملاحظة نجاحات ذلك النمط الذي ينبت في بقاع لا يمكن التكهن بها ويمارس نضالاته من غير مكان وفي غير مكان، وعلى يد أفراد لا أحد يعلم عنهم شيئاً، كل ذلك لم يكن متوقعاً. في هذه الحال، يبدو الرد على إرهاب الاحتلال أكثر ديناميكة وأرحبَ من حيث حرية اختيار الزمان والمكان، وهو لا يحتاج إلى قرار سياسي واجتماعات حزبية فصائلية، فبعد جريمة كجريمة اقتحام مخيم جنين التي تم حشد أكثر من كتيبتين من قبل جيش الاحتلال لتنفيذها، والتباهي بعدها في ذلك لرفع رصيد حكومة التشكيلة اليمينية الإرهابية العنصرية برئاسة نتنياهو، تاصلتْ فكرة الرد مسبقاً فجاء الرد خلال ساعات وكانت المعادلة المثيرة: جيش بكامل تسليحه يقتل عشرة، فدائي واحد يردُّ بأكثر!

بكل بساطة، بإمكانك ارتداء زيّ مُضلّل للشاباك والعملاء، ودخول مستوطنة ما وفتح النار فجأة على تجمعات الإرهابيين، هذا ما فعله خيري علقم وحده داخل العاصمة الفلسطينية رداً على الجريمة الطازجة للاحتلال في جنين.

تبدأ الثورة - المقاومة الدائمة من الفكر، من الثقافة، لا من قعقعة السلاح، فالمسألة من حيث تكوينها بحاجة إلى فلسفة رؤيوية ذات علاقة بالفكر الإنساني وطموحاته وأوجاعه، ومن بؤرة فهم قيمة الكرامة والتوق إلى الحرية، ومع اكتمال أسس ومكونات الرؤية تنتج النظرية، ثم المقولة، وتنضج الفكرة ليندلع بعدها أتون الثورة. لذا فإن حالة المقاومة البطولية المجردة من الفكرة - الثورة تبدو بلا جدوى إلا من حيث التجربة العملياتية لا أكثر، يجب أن يكون الهدف انتزاع حرية أو تحرير بلاد بالكامل، وهو الأمر الذي توليه الثورة الحقيقية أولى اهتماماتها، مبتعدة عن مصطلحات متخلفة قبلية مثل «ثأر.. انتقام.» ذلك أنها تنطلق من الفكرة - النظرية، وهذا اللبس بين الحالتين - الثورة والمقاومة - وقعت فيه خيرة المناضلين، وحتى الفدائيون الذين رسموا ملامح بطولة وفداء راقية، ذلك أنهم لم يكونوا ضمن دائرة إدراك فحوى الثورة الحقيقية، هذه الدائرة التي لا تعني أبداً فصيلاً أو حزباً بعينه، وإنما ما يجمع أقواسها هو الفكرة والهدف، بمعنى أكثر وضوحاً، فإن على الفلسطينيين اليوم رسم استراتيجيتهم بناءً على إدراك الثورة لا مجرد فعل المقاومة، فالثورة فعل يسبقه ما هو فكري كما أسلفنا، أمّا المقاومة فهي رد فعل على هجوم ما، وبالتالي يمكن استخلاص ما يأتي: الثورة تتضمن المقاومة، إلا أن المقاومة لا تتضمن الثورة بالضرورة، الثورة تضع برنامجاً واستراتيجية ونهجاً، المقاومة جهد تصدٍّ آني، الثورة مبادرةٌ - فعلٌ والمقاومة ردة فعل.

تلك الحقيقة القديمة التي لا تزال سائدة حتى اليوم، وقد عبّر عنها علي بن أبي طالب ذات قرن ما بقوله: «ما غُزِيَ قومٌ في عقر دارهم إلا ذَلّوا».

(جنين.. تحدي الاحتلال» - مأمون الشايب)

ترابط «فتح» و«الجهاد»: جنين البداية!

زاهر أبو حمدة

ولد محمد غنيم في بلدة صفورية قضاء الناصرة. تهجّرت العائلة نحو لبنان، وسكنت الخيام في مخيم نهر البارد. نجله سامي انتمى إلى حركة «فتح» وعاد مع العائدين إلى الوطن بعد «اتفاق أوسلو»، وأصبح ضابطاً في الأمن الوطني الفلسطيني. هذا العقيد اعتقل خمسة أعوام في زنازين الاحتلال، وأفرج عنه عام 2008، بتهمة مساعدة المقاومين في مخيم جنين. لم يكن عنده مشكلة بانتماء أبنائه الثلاثة أحمد (31 عاماً)، محمد (28 عاماً)، نور الدين (25 عاماً) إلى «سرايا القدس»، الجناح العسكري لحركة «الجهاد الإسلامي». استشهد محمد ونور الدين، وأحمد يصارع الموت جريحاً في المستشفى. وفي المعلومات أن الأشقاء الثلاثة، ومعهم الشهيد محمد صبح، شكلوا الخليّة الأولى لـ«كتيبة برقين». وعند مطاردتهم لأكثر من شهر ونصف شهر، لجأوا إلى مخيم جنين حيث كانت المجزرة الشهر الماضي.

هذه العلاقة بين العقيد الأب مع تنظيم آخر ليست جديدة، فالقائد فتحي خازم انتمى ابنه إلى السرايا. وهناك شواهد كثيرة في الانتفاضة الثانية حول علاقة التنظيمين العائلية. وهذا له دلائل على أن «فتح» باعتبارها لا تملك فكراً معيناً، يربي أبناء «الفتحاويين» في بيئة غير إقصائية أيديولوجياً، ولهم الحرية في الاختيار والقرار بالانتماء السياسي والفكري طالما أن الفكرة الأساسية هي النضال ضد الاحتلال.

■■■

عام 1994، انطلق من مخيم الرشيدية جنوب لبنان، إلى حيث أتى عام 1981، أي الأردن؛ ومن هناك دخل إلى فلسطين حاملاً معه شظايا سكنت جسده خلال الاجتياح الإسرائيلي عام 1982. أطلق القائد يوسف ريحان (أبو جندل) النار على جنود الاحتلال عند مدخل مدينة بيت لحم بعد منعهم الفلسطينيين من المرور، وبعدما أصاب جندياً منهم بات مطلوباً. ضغط الاحتلال على السلطة الفلسطينية لتسليمه، فانتقل إلى جنين، حيث مسقط رأسه في يعبد عام 1965. في ذاك الموقف قال عبارته الشهيرة: «إذا أطلق الاحتلال طلقة واحدة، يجب أن نردّ عليها بمئة طلقة».

اندلعت انتفاضة الأقصى، فشكل أبو جندل أكثر من وحدة عسكرية لشن عمليات ضد الاحتلال. وضمت الوحدات العسكرية والأمنية أفراداً ينتمون إلى حركة «الجهاد الإسلامي». وفي ملحمة مخيم جنين عام 2002 قاد أبو جندل الفتحاوي مع محمود طوالبة الجهادي المعركة، بعد تأسيس غرفة عمليات مشتركة للدفاع عن المخيم. تعاونت «كتائب شهداء الأقصى» و«سرايا القدس» في عمليات نوعية كثيرة، وصدرت بيانات مشتركة. وتمكّن الفدائيون من تنسيق خطوط الدفاع وخطط الهجوم، وكذلك في الدعم المالي والتسليحي. كانت فترة واضحة المعالم فسجّلها التاريخ عنواناً للوحدة الوطنية.

■■■

حضر مسؤول كبير في «فتح» إلى بيروت في خريف العام الماضي. التقى قيادة «الجهاد الإسلامي» واتفقوا على آليات العمل في جنين، ولا سيما بعد تشكيل «كتيبة جنين» تيمّناً بوصف الأمين العام للجهاد الإسلامي زياد النخالة، للأسرى الستّة بعد انتزاعهم حريّتهم من سجن جلبوع عام 2021.

خمسة أسرى من جنين ينتمون إلى «الجهاد الإسلامي» ومعهم القائد في حركة «فتح» زكريا الزبيدي، هي لحظة مفصلية كان ما بعدها انطلاقة واسعة للعمل الميداني المسلح في شمال الضفة الغربية. وربما نهضة الجناح الثوري في «أمّ الجماهير» استطاع بناء مروحة كبيرة من التنسيق، ولا سيما مع أبناء «الراية السمراء». أنتج ذلك غرفة عمليات مشتركة بين التنظيمين. فليس مفاجئاً رؤية صاحب الابتسامة الساحرة ابن جهاز الشرطة الفلسطينية عز الدين صلاحات يستشهد مع ثلّة من مقاتلي «كتيبة جنين». هنا أصبح «لواء الشهداء - كتائب شهداء الأقصى» داخل المخيم مع «كتيبة جنين» توأماً سياسيّاً لا يمكن فصلهما عائلياً وميدانياً.

■■■

يمكن وصف العلاقة بين «فتح» و«الجهاد» بالأخوية المتساوية. كل طرف يعرف ماذا يريد من الآخر، من دون التدخل في الخيارات السياسية، علماً أن «الجهاد» ترفض مسار المفاوضات كلياً، وتحترم «فتح» هذا الموقف، ولا سيما أن «الجهاديين» لا يتطلّعون إلى منافسة «الفتحاويين» على مؤسسات الحكم، ويطمحون إلى المشاركة في القرار العام. في المقابل، يبني كل طرف علاقاته الخارجية وارتباطاته الإقليمية، وهذا لا يؤثر على قاعدة الطرفين، وهذا كان واضحاً في معركة «وحدة الساحات».

وربما البُعد التاريخي لتأسيس الحركتين يؤدي دوراً في توحيد صفوفهما، فجزء من المؤسسين الأوائل لـ«فتح» تمرّدوا ضد جماعة «الإخوان المسلمون» بعدما رفضت القتال في فلسطين، وهكذا حصل مع مؤسّسي «الجهاد الإسلامي». أمّا بالنسبة إلى مستقبل العلاقة، فيمكن تطويرها وفقاً لخطة ميدانية بعيداً عن البرنامج السياسي.

(أبطال معركة مخيم جنين 2002)

جنين.. مقاومة على الأشواك

موسى جرادات

بعد الحضور الفعّال الذي عبّرت عنه كتيبة جنين، منذ أن أعلنت عن نفسها، في أيلول عام 2021، حاول الاحتلال، بشتى الطرق، أن يتخلّص منها، عبر سلسلة من عمليات الاغتيال، تواصلت على مدار الأشهر الأخيرة، وتصاعدت حدّتها لتبلغ ذروتها يوم الخميس في 26 من الشهر الماضي. هاجمت الوحدات الخاصة التابعة لقوات الاحتلال مخيم جنين، فطوّقت أحد المنازل، طالبة من الشبان داخله تسليم أنفسهم، وبعدما رفض الشبّان أمر التسليم، اندلعت اشتباكات مسلحة عنيفة، بين الشبان المتحصّنين في المنزل وبين القوات المتسلّلة إلى عمق المخيم، الأمر الذي دفع عناصر المقاومة في المخيم إلى مباغتة القوة الخاصة، ومحاصرتها من كل الاتجاهات، بعد تفجير عبوة ناسفة بشاحنة الألبان التي استخدمت للتخفّي أثناء التسلل إلى المخيم.

استمرت المعركة ثلاث ساعات، استقدمت خلالها قوات الاحتلال تعزيزات عسكرية كبيرة؛ عشرات السيارات العسكرية المصفحة، وعدداً كبيراً من الجرافات التي أزالت الحواجز التي نصبتها المقاومة على مداخل المخيم. حتى هذا الوقت، كانت كل التوقعات منصبّة على اعتقال بعض المقاومين، لكن بعد انسحاب القوات المهاجمة من المخيم، انقشع غبار المعركة، وتبيّن أن جيش الاحتلال ارتكب مجزرة، ارتقى فيها عشرة شهداء، بينهم سيدة مسنّة، وعشرات الجرحى.

أهداف المجزرة

من الواضح أن الاحتلال في هذه الهجمة استخدم غزارة نيران غير مسبوقة، وزجّ بالأسلحة الصاروخية في هذه المعركة، وبرّر الأمر، عبر وسائل الإعلام الصهيونية، بالحاجة التكتيكية الملحّة التي أملت عليه ذلك، ويقصد بها تعرض القوات الخاصة داخل المخيم لخطر الإبادة من قبل رجال المقاومة الذين حاصروا تلك القوة. ومهما كانت تلك الذريعة واهية، ففي دلالاتها أن المقاومة تمكنت هذه المرة من إبراز قوة نارية كبيرة، جعلت من القوات الخاصة المهاجمة في محل الدفاع، بعدما دخلت المخيم مهاجمة، ففقدت قدرتها على التحكم بزمام المبادرة.

خلفيات الهجوم

سبق الهجوم على منزل المقاومين، الذين يتبعون لكتيبة برقين، رسائل من قبل الأجهزة الأمنية الفلسطينية، ممثلة بجهاز الأمن الوقائي في المحافظة، حيث عمل الجهاز على محاولة إجبار المقاومين من كتيبة برقين، على تسليم أنفسهم لجهاز الأمن الفلسطيني، مقابل إصدار عفو عنهم خلال 15 يوماً من تسليم أنفسهم، لكن عناصر الكتيبة رفضوا هذا العرض، واختاروا التحصّن داخل المخيم، نظراً إلى وجود مساحة آمنة نسبياً.

> **الواضح أن تراكم الخبرات لدى «كتيبة جنين»، لم يكتمل بعد، ولم يصل إلى الحدّ الذي يمكن أن يحصّن رجال المقاومة من الوقوع في شراك العدو وغدره**

وأشارت بعض المصادر المطّلعة على حيثيات العرض، إلى أن من جرى التواصل معه، هو قائد الخلية الشهيد محمد صبح والشهيد نور وشقيقه محمد غنيم، وأن العرض قدّم لهم قبل أيام قليلة من وقوع الهجوم.

وفي كل الأحوال، فإن الأجهزة الأمنية الفلسطينية ليست بعيدة عن خطوات كهذه، فهناك سوابق عديدة لها، والأمر غير مستبعد عنها. ففي الأشهر الأخيرة، أقرّت الأجهزة الأمنية بوجود عروض للمقاومين، وبالتحديد تلك التي قدّمتها قبل أشهر لعناصر «عرين الأسود» في نابلس، وبررت في حينها أن هدفها حماية المقاومين من الاغتيال. ومع هذا، فإنّ مقاومي نابلس تعرّضوا للاغتيال بعد تلقّي تلك العروض.

وبلا شك، فإن السلطة، منذ نشوء كتائب المقاومة المسلحة، على اختلاف ألوانها، تقوم بمحاولات لاستعادة زمام المبادرة في أيديها، بعدما أصبح العديد من مناطق شمال الضفة الغربية المحتلة تحت سيطرة كتائب المقاومة، التي أوجدت لنفسها حضوراً ثابتاً، في ظلّ وجود حاضنة شعبية كبيرة وداعمة، وخاصة بعدما تمكّن رجال المقاومة في السنة الماضية من تحقيق نجاحات كبرى، على صعيد إدامة الاشتباك مع قوات الاحتلال، إضافة إلى عشرات الهجمات على المستوطنات والحواجز العسكرية للاحتلال.

بعد المجزرة

في قراءة تداعيات المجزرة التي ارتكبت في جنين، يمكن الانتباه إلى سرعة الردّ الذي تمثل في عملية القدس التي نفذها الشهيد خيري علقم في قلب ضاحية استيطانية داخل القدس المحتلة، والنتائج التي خلفها علقم، بعد تمكنه من إيقاع خسائر بشرية عدة، سبعة قتلى وأكثر من ستة جرحى في صفوف المستوطنين، فقد طوت صفحة الرد السريع إمكانيات الاحتلال في التعامل مع المقاومة، باعتبارها لحظية ومناطقية محددة. ففي عملية «النبي يعقوب» رسالة واضحة أن المقاومة في فلسطين ممتدة، وقادرة ومقتدرة، على إيقاع الخسائر البشرية في صفوف العدو.

على صعيد السلطة

بعد المجزرة مباشرة، أعلنت السلطة، على لسان نبيل أبو ردينة، وقف التنسيق الأمني مع الاحتلال، لكن هذا الإعلان مشكوك في صحته، لأسباب كثيرة، منها أن السلطة أعلنت مثل هذا الإعلان أكثر من 64 مرة، وفي كل مرة كانت السلطة تعود للتنسيق الأمني، فهو بالنسبة إليها «مقدّس» حسب قول رئيسها محمود عباس في عام 2014، وبالتالي فإنه كما يبدو يمثّل جوهر وجودها، وفعلها وحركتها، فمن خلاله تضمن السلطة ربما بقاءها.

على صعيد المقاومة

من الواضح أن تراكم الخبرات لدى «كتيبة جنين» لم يكتمل بعد، ولم يصل إلى الحدّ الذي يمكن أن يحصّن رجال المقاومة من الوقوع في شراك العدوّ وغدره، وذلك لأسباب متعددة، منها الإمكانيات التسليحية المحدودة التي تمتلكها، إضافة إلى ذلك فإن المقاومة في جنين تحاول أن تبتكر الوسائل الجديدة للمواجهة، فأعلنت بعد وقوع المجزرة مباشرة عن سلسلة من الإجراءات الاحترازية، تمثّلت بمنع كل الشاحنات المغلقة من دخول المخيم، لتغلق الباب على أيّ إمكانية مباغتة من قبل قوات الاحتلال، بعدما كانت قد أضافت إلى جعبتها الإنذار المبكر، الذي يمكّن عناصر المقاومة الفلسطينية من معرفة مكان وجود قوات الاحتلال قبل وصولها إلى المخيم.

البلاد

أوراق النكبة

«وعد كامبون»
«بلفور الفرنسي» يسبق نظيره البريطاني بستة أشهر

لماذا منحت بريطانيا الحركة الصهيونية وعد بلفور؟ ما هي العلاقة بينه وبين اتفاقية سايكس-بيكو؟ هل كانت تلك الاتفاقية خطوة في سلسلة خطوات من خطة محكمة للحركة الصهيونية؟ كيف وجد هذا الوعد طريقه إلى صك الانتداب على فلسطين؟ أسئلة لا تزال بحاجة إلى جواب. ذلك أننا إذا لم نفهم العلاقات السياسية التي نسجت ذلك الوعد، لن نفهم العلاقات السياسية التي لا تزال تحمي المآسي التي خلّفها. نأمل أن يقدّم هذا النص بعضاً من الأجوبة المطلوبة

أسامة عجاج المهتار

في الرابع من حزيران سنة 1917، يسلّم جول كامبون (Jules Cambon)، الناظر العام لوزارة الخارجية الفرنسية، رسالة إلى ناحوم سوكولوف، الأمين العام للكونغرس الصهيوني العالمي، يقول فيها: «لقد تفضّلتم بتقديم المشروع الذي تكرّسون جهودكم من أجله، والذي يهدف إلى تنمية الاستيطان اليهودي في فلسطين. أنتم تعتبرون أنه، إذا سمحت الظروف بذلك، ومع الحفاظ على استقلال الأماكن المقدسة من ناحية أخرى، سيكون عملاً عادلاً وتعويضاً مستحقاً أن نساعد، ومن خلال حماية دول الحلفاء، على نهضة القومية اليهودية في تلك الأرض التي نُفي منها شعب إسرائيل منذ قرون عديدة.

إن الحكومة الفرنسية، التي دخلت هذه الحرب الحالية للدفاع عن شعب تعرّض لهجوم ظالم، والتي تواصل النضال لتأكيد انتصار الحق على القوة، لا يسعها إلا أن تشعر بالتعاطف مع قضيتكم، التي يرتبط انتصارها بانتصار الحلفاء. إنه ليسعدني أن أقدم لكم طياً مثل هذا التأكيد».

هذه الرسالة تسبق رسالة (وعد) آرثر بلفور بستة أشهر.

ما هي قيمة هذا الخبر التاريخي ولماذا لم يأخذ هذا التأكيد مداه الإعلامي مثل وعد بلفور، مع أنه يفوقه تشدداً ووضوحاً لناحية «القومية اليهودية» وارتباطها بأرض فلسطين؟ لنبدأ من السؤال الثاني؛ من المرجّح أن الخبر لم يلقَ الاهتمام، لأن الفرنسيين تعمّدوا طمسه، خاصة بعد أن أدركوا أنهم كانوا ضحية خدعة بريطانية-صهيونية. لكن السؤال الأول هو المهم، خاصة لأولئك المهتمين بدراسة المنظمات التاريخية والعوامل الفاصلة في نجاحها. لنعد إلى البداية.

في مئوية ذكرى وعد بلفور، نشرت مجلة «موزاييك»، مقالاً مارتن كرايمر عنوانه «الحقيقة المنسيّة عن وعد بلفور» (The Forgotten Truth About the Balfour Declaration). بالمختصر الشديد، يقدم هذا المقال صورة تفصيلية عن المفاوضات المتعددة الجبهات التي قادها سوكولوف مع البريطانيين والفرنسيين والفاتيكان والطليان والأميركيين، من أجل أن يحظى وعد بلفور، الذي كانت بريطانيا بصدد إعلانه، بدعم من جميع الحلفاء المعنيين. في هذا الصدد تتركّب أمامنا صورة معقّدة يجب تفكيكها.

«الأسطورة اليهودية العظيمة»

يقول المقال، إن الصورة النمطية للسبب الذي من أجله قررت بريطانيا منح وعد بلفور، هو حاجتها أن يبقى اثنان من الحلفاء في الحرب، وهما روسيا والولايات المتحدة. بنظر البريطانيين، كان النفوذ اليهودي في هذين البلدين ضرورياً، فقرروا أن يوظفوه. ويعلق كاتب المقال بالقول: «إن الكلام يبدو لنا اليوم كتضخيم لقوة اليهود في ذلك الوقت. ولكنّ الساسة البريطانيين كانوا يعتقدون بما سمّاه المؤرخ الصهيوني البريطاني، هاري ساخر (Harry Sacher) «الأسطورة اليهودية العظيمة». هذه الأسطورة، حسب ساخر، «تجد مثالها الأغنى والأكثر فظاظة في بروتوكولات حكماء صهيون. ولكنّ عدداً من الأشخاص، بمن فيهم أولئك الذين يرفضون هذه الكذبة والتزوير، لديهم بقايا من اعتقاد بهذه القوة وبوحدة اليهود. إننا نعاني من هذا الأمر، لكنه ليس بالكلية من غير مردود. إنه واحد من الأمور التي لا يمكن إدراك كنهها في السياسة، لكنها تلعب، عن وعي أو عن غير وعي، دورها في حسابات وقرارات رجالات الدول».

إضافة إلى هذا السبب النمطي، يعدد المقال عدداً من الأسباب التي اعتمدها المؤرخون، والتي تتمحور حول بريطانية الوعد، لكنه يخلص إلى القول: «حين ندرك القصة كاملة، سوف يظهر وعد بلفور بشكل مختلف تماماً عما نعرفه. إنه لا يبقى استيلاء إمبريالياً بريطانياً، بل نتيجة توافق دولي مبني بعناية من قبل الديموقراطيات الكبرى في ذلك الوقت».

ليست بريطانيا وحدها

ولفهم الموضوع بشكل أوضح، يشرح الكاتب أنه بما يخص فلسطين، لم يكن بإمكان بريطانيا العمل بشكل منفرد، إذ كانت عضواً في تحالف يضم كلاً من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا والولايات المتحدة، فكان لا بد من تنسيق الخطوات في ما بينهم. بالتالي لم يكن بإمكان بريطانيا منفردة أن تتعهد علناً بما يخص مستقبل إقليم تهدف إلى كسبه بالحرب من دون موافقة حلفائها، خاصة أولئك الذين كانت لديهم مصالح في فلسطين. ويضيف الكاتب أن هذه الحقيقة تبدو مشوّشة بسبب صيغة وعد بلفور. فالوعد صادر عن حكومة «جلالة الملك»، ولا أحد سواها. وهو موقّع من قبل وزير خارجية بريطانيا ولا أحد سواه. لكن، في الحقيقة، إن هذا الوعد كان يعبّر عن توافق عريض بين الحلفاء حتى ليمكن مقارنته بقرارات صادرة عن مجلس الأمن اليوم.

يعطي كاتب المقال، سوكولوف حصة الأسد من التقدير في الحصول، ليس فقط على وعد بلفور، بل على موافقة كل من فرنسا وإيطاليا والفاتيكان والولايات المتحدة على هذا الوعد.

فمن هو سوكولوف؟

ناحوم سوكولوف، ولد في منتصف القرن التاسع عشر في وسط بولندا، وحصل على دراسة حاخامية، لكنه لم يكتف بذلك، بل انغمس في الدراسات العلمانية، فأصبح متمكناً من عدد من اللغات والمواضيع، بما فيها تمكّنه من العبرية، التي أصبح من أهم الصحافيين والكتاب بها. حضر المؤتمر الصهيوني الأول سنة 1897، إذ وقع تحت سحر ثيودور هرتزل، وأصبح من كبار دعاة الصهيونية. سافر إلى مناطق مختلفة من الإمبراطورية العثمانية وأوروبا والولايات المتحدة. في سنة 1911، انتُخب في الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية، ومع اندلاع الحرب انتقل إلى بريطانيا ليعمل جنباً إلى جنب مع حاييم وايزمن للحصول على اعتراف بأهداف الصهيونية من البريطانيين. مع دخول الحرب سنة 1917، كان للصهاينة هدفان، أن يربح الحلفاء الحرب وأن يضعوا فلسطين تحت حماية بريطانية خالصة. ففي بريطانيا وحدها كان لهم من الدعم والصداقات ما يؤهلهم لمواجهة المعارضة القاسية التي كانوا يواجهونها من أكثر من جهة في أوروبا، بما فيه عدد من كبار الشخصيات اليهودية الفاعلة. غير أن الصهاينة كانوا في مواجهة عقبتين كبيرتين، الأولى أن البريطانيين سبق أن وعدوا بتقاسم فلسطين مع حلفائهم، والثانية أن الصهاينة لم يكونوا على معرفة بهذا الأمر.

جول كامبون

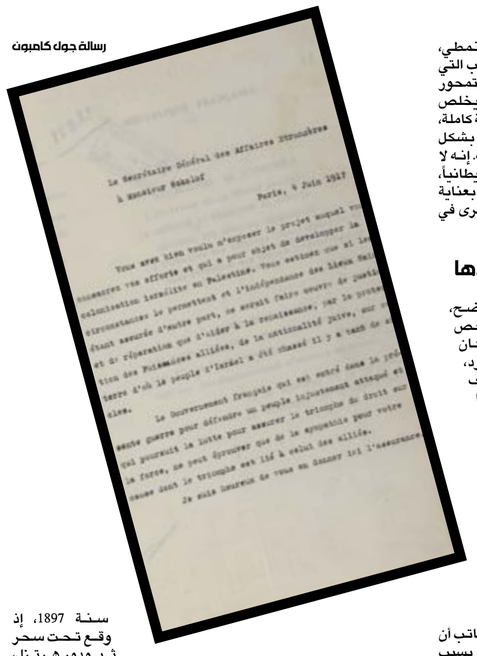

رسالة جول كامبون

اتفاقية سايكس - بيكو

سنة 1916، تم الاتفاق الثلاثي بين بريطانيا وروسيا وفرنسا على تقسيم تركة الإمبراطورية العثمانية وفق «اتفاق آسيا الصغرى» أو الاسم الأكثر شيوعاً، اتفاقية «سايكس-بيكو». في هذا الاتفاق، كان هناك عدد من المصالح المحمية للفرنسيين في فلسطين. فالجليل الأعلى كان لهم، والقدس تحت وصاية دولية، لا يتم تقرير مصيرها من دون التشاور مع باقي الحلفاء. لقد كان هذا الأمر يشكل خطراً كبيراً على الهدف الصهيوني، بحيث وصفه وايزمن لاحقاً، بأنه كان من الممكن أن يكون «قاتلاً لنا».

في السنة نفسها، يصل دافيد لويد جورج إلى سدة رئاسة الوزارة، ومن حسن حظ الصهاينة أنه كان يشعر في قرارة نفسه أن اتفاقية «سايكس-بيكو» تعطي الفرنسيين أكثر بكثير مما يستحقون، خاصة أن البريطانيين هم الذين يقاتلون ويقتلون في سيناء وفلسطين. هنا كلّف رئيس الوزراء لويد جورج، مارك سايكس، أحد طرفي المفاوضات مع الفرنسيين، بإعادة توزيع حصص فلسطين، بما يضمن للإنكليز حصة الأسد. حاول سايكس ذلك مع نظيره بيكو، الذي رفض الموضوع رفضاً قاطعاً، وأصرّ على أن تبقى حصة الفرنسيين مساوية لحصة الإنكليز في فلسطين.

حين اكتشف مارك سايكس الصهيونية

هنا، حسب المقال، «يكتشف» مارك سايكس الصهيونية. يقول سوكولوف لاحقاً: «إنها تبدو، لأول وهلة، قصة صعبة التصديق. ذات يوم ظهر شخص يُدعى سايكس، قام ببعض الاستفسارات، ثم أظهر رغبة بلقاء قادة الحركة الصهيونية». عُقد اللقاء في السابع من شهر شباط من سنة 1917، في أحد المنازل في لندن. وقد حضره كل من سوكولوف، وايزمن، اللورد والتر روتشيلد، جايمس دو روتشيلد وهربرت صموئيل. أي حضره، إضافة إلى مسؤولي الحركة، ممثلون عن فرعي عائلة روتشيلد في كل من فرنسا وبريطانيا، إضافة إلى هربرت صموئيل، أول وزير يهودي في حكومة بريطانية، ومن عتاة الصهاينة، والذي سيصبح لاحقاً أول مندوب سام بريطاني على فلسطين بعد الانتداب. في ذلك اللقاء يلوّح سايكس باحتمال أن تمنح بريطانيا الحركة الصهيونية نوعاً من الاعتراف، ولكن...

> **يقول سوكولوف لاحقاً: «إنها تبدو، لأول وهلة، قصة صعبة التصديق، ذات يوم ظهر شخص يُدعى سايكس، قام ببعض الاستفسارات، ثم أظهر رغبة بلقاء قادة الحركة الصهيونية»**

ناحوم سوكولوف

العقبة الفرنسية

«الفرنسيون يشكلون عقبة كبيرة. إنهم يريدون كل سوريا، ومشاركة في القرارات المتعلقة بفلسطين». هذا ما قاله سايكس للحضور، حاضّاً إياهم على التواصل مع الفرنسيين «لوضع وجهة نظر اليهود أمامهم، وإقناعهم». بعد نقاش، كُلف سوكولوف بهذه المهمة.

سوف نتجاوز بعض التفاصيل التي يذكرها المقال لنركز على ناحية مهمة. قابل سوكولوف جورج بيكو (المفاوض الفرنسي في اتفاقية «سايكس - بيكو») عدداً من المرات. في المرة الأولى، طرح وجهة نظره بأن تكون بريطانيا وحدها هي «الحامية» في فلسطين، لكن بيكو رفض ذلك. من هنا، حين قابل سوكولوف في ما بعد، رئيس الوزراء الفرنسي، ألكسندر ريبو، وجول كامبون، الذي قابله ثلاث مرات، لم يأت على ذكر بريطانيا، بل ركّز على «جدوى المشروع الصهيوني، وعلى كونه محركاً حيوياً للرأي العام اليهودي في كل من روسيا والولايات المتحدة». اكتفى الفرنسيون بالتعبير عن تأييد للمشروع بشكل عام. لكن سوكولوف لم يكتفِ بهذا، بل كانت لديه الجرأة لطلب هذه الموافقة خطياً، وحصل عليها بالفعل في الرسالة التي عرضناها في مقدمة هذا البحث، والتي يقول المؤرخون عنها، إنها كانت، بالشكل والمضمون، أكثر ملاءمة للمشروع الصهيوني من وعد بلفور ذي اللغة المخفّفة. لقد ربط الفرنسيون موقفهم بما سموه «العدالة» و«التعويض» واعترفوا بـ«الرابط التاريخي» بين اليهود وفلسطين. كما أن الرسالة ربطت الصهيونية بقضية الحلفاء، ولم تأت على أي ذكر لحقوق من هم من غير اليهود.

لقد تفوّق سوكولوف على وزارة الخارجية الفرنسية بدهائه مهارة وحسماً. لقد حصل منهم على تعهد خطي بدعم مشروعه، فيما لم يأخذوا منه أي تعهد على الإطلاق. «لقد تم تخطي العقبة الفرنسية»، هكذا وصف المؤرخان كريستوفر أندرو وأس كانيا فورستنر نتيجة جهد سوكولوف في فرنسا، كما يرد في المقال.

«سوف نكون جيراناً طيبين»

بهذه الكلمات لخّص البابا بندكتوس الخامس عشر لسوكولوف موقف الفاتيكان من الهدف الصهيوني. هذا الموقف كان عكس موقف البابا السابق بيوس العاشر الذي قال لهرتزل في سنة 1904، وبكلام لا يعرف المواربة، «لقد رفض اليهود الاعتراف بربّنا، لهذا لا يمكن لنا الاعتراف بالشعب اليهودي». هذه الزيارة لروما كانت بتشجيع من الفرنسيين وبتسهيل من البريطاني سايكس. ومثل البابا، قامت الحكومة الإيطالية بالتأكيد لوسوكولوف عن حسن نيتها تجاه المشروع الصهيوني وتعاطفها معه.

لم يبقَ سوى الأميركان

هنا أيضاً، ظهرت لمسة سوكولوف الذي كان قد جذب القاضي الشهير لويس برانداي (Louis) Brandeis، الذي عيّنه الرئيس الأميركي ولسن قاضياً في المحكمة العليا، والذي أقنع ولسن بدعم الحركة الصهيونية. بعد ذلك كرّت السبحة بإصدار كل من اليابان وإيطاليا وهما الدولتان اللتان سوف تشاركان في مؤتمر السلام في فرساي، وتصبحان من الدول الدائمة العضوية في «مجلس عصبة الأمم». بعد كل هذا أصبح إدخال نص وعد بلفور في صك الانتداب البريطاني على فلسطين من تحصيل الحاصل.

إيُنشر هذا النص بالتزامن مع مجلة «الفينيق»]

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 شباط 2023 العدد 4842

صورة وخبر

ترك فنّ عصور ما قبل التاريخ «المكتشَف» في القرن العشرين، من لوحات جدارية تمثل حيوانات وعظاماً محفورة وتماثيل صغيرة، أثراً واضحاً على عدد من أعمال بابلو بيكاسو (1881ـ 1973)، يتمحور عليه معرض يُفتتح الأربعاء المقبل في «متحف الإنسان» في باريس. يضم معرض «بيكاسو وما قبل التاريخ» أكثر من 40 عملاً وقطعة للفنان الإسباني الراحل، بالإضافة إلى قطع من عصور ما قبل التاريخ، تتيح اكتشاف علاقة بيكاسو بفن هذه الحقبة. وأوضحت مؤرّخة الفن والقيّمة على المعرض، سيسيل غودفروا، للصحافيين أوّل من أمس الخميس أنّ هذا الحدث الذي يعود بالزمن إلى العصر الحجري القديم يُظهر أنّ فنّ ما قبل التاريخ في أعمال بيكاسو يعبّر عن «فضول ورغبة في اكتشاف الآخر»، وفق «فرانس برس». صحيح أنّه تمّ التأكّد من صحّة كون بعض الرسوم والقطع المكتشفة عائدة إلى عصور ما قبل التاريخ في مطلع القرن العشرين، إلا أنّ بيكاسو الذي كان أصبح آنذاك رساماً معروفاً اكتشف أسطورة الفنان الأوّل بين الحربَيْن العالميتَيْن، وبدأ بتناولها من خلال أعماله. وتبدو أوجه التشابه بين بيكاسو وعصور ما قبل التاريخ لزائر المعرض من خلال الأعمال المعروضة، ومنها مثلاً عشرات الوجوه المنقوشة على الحصى تشبّهاً بالعظام المنقوشة قبل 17 ألف عام، والأيدي المرسومة على جدران الكهوف. يندرج هذا المعرض في إطار أنشطة الذكرى الخمسين لرائد التكعيبية، ويستمر حتى 12 حزيران (يونيو) 2023.

المفكرة

رسالة إلى «أبي الأمير»

■ لغاية السابع من شباط (فبراير) الحالي، تتيح سفارة النمسا في بيروت وثائقي «أبي الأمير» (2022 ـ 79 د ـ إخراج ليلا شفارتسينبرغ ولوكاس شتورم) للمشاهدة إلكترونياً. تصوّر ليلا حياة أبيها كارل (الصورة) المولود في عام 1937 في مدينة براغ في جمهورية تشيكوسلوفاكيا، وهو سياسي وعضو من عائلة شفارتسينبرغ التي كانت من العائلات الحاكمة في إمبراطورية هابسبورغ. ما يربط الأب بابنته هو التاريخ العائلي أكثر من العلاقة العائلية الحميمة بين أب وابنته. وبمرافقته لأكثر من خمس سنوات، تجد ليلا نفسها في رحلة مليئة بالمشاعر تعود بها إلى جذورها. وبسبب نشأتها في أجواء عائلية يطغى عليها الرجال والأمراء، تقترب إلى شخصية الأب الذي لم تتمكّن أبداً من فهمه في السابق.

عرض فيلم «أبي الأمير»: إلى الثلاثاء 7 شباط 2023 ـ رابط المشاهدة متوافر على موقعنا.
للاستعلام: alina.brandstaetter@bmeia.gv.at

جولة على «أزهار ملاعب»

■ تدعو «غاليري جانين ربيز»، يوم الأربعاء المقبل إلى جولة إرشادية في معرض «أزهار ملاعب» لجميل ملاعب (1948 - الصورة) برفقة الفنان الذي يُعدّ أحد أكثر التشكيليين اللبنانيين المعاصرين غزارة في الإنتاج والعرض. في معرضه الجديد المستمرّ حتى 25 شباط (فبراير) الحالي، يسلّط ملاعب الضوء على «الزهرة». ويؤكّد في تعريفه للحدث أنّها «هدية الأرض. هدية الربيع لبداية جديدة. أقحوانة من حديقتنا، صديقة قديمة لمنازلنا المتواضعة، علامة على العودة إلى الوطن». ويضيف: «اللون، والشكل، والرائحة، والإيقاع، وفرحة الأرض، والاحتفال بالحياة، أزهار أجمعها لأنسجها في عملي، وأكتبها في كتاب الزمن، بالألوان والأشكال على قماش. أزهار أحلم بالاحتفال والانتماء إليها بلمسة لا تموت. أصورها برؤية جديدة، وأتوق إلى تحريرها من الزوال، بلغة خالية من الكلمات». ويؤكد ابن بلدة بيصور أنّه يركّز حالياً على الزهرة التي تبلغ من خلالها «تطلعاتي ذروتها... أدرسها بصبر، وأكشف أسرارها الدقيقة. لا يسعني إلا أن أطمح إلى محاكاة جوهر جمالها. من الزهور أستوعب نقاء اللون، وأسعى إلى الألوهية في وجودنا».

جولة إرشادية في معرض «أزهار ملاعب»: الأربعاء 8 شباط 2023 ـ الساعة الواحدة عصراً ـ «غاليري جانين ربيز» (الروشة ـ بيروت) ـ الدخول مجاني والأماكن محدودة.
للاستعلام: 01/868290

مارتا بوبيفودا في «ساحات المقاومة»

■ تنظّم «قافلة بين سينمائيات»، في التاسع من شباط (فبراير) الحالي جلسة حوار وأسئلة مع صانعة الأفلام وفنانة فيديو والباحثة مارتا بوبيفودا، (الصورة) تديرها المخرجة الإسبانية كونشا باركيرو. يأتي النشاط في اليوم الأخير لعرض فيلم بوبيفودا التسجيلي «ساحات المقاومة» (2021 ـ 95 د) المتمحور حول «سونيا»، المقاتلة المناهضة للفاشية ذات الـ 95 عاماً. تروي هذه المسنّة حكاياتها، متجوّلةً في ساحات ماضيها الثوري، بينما تبدأ ذكرياتها في التداخل مع المواجهة الحالية للقائمين على الفيلم ضدّ الفاشية المتصاعدة في أوروبا اليوم.

جلسة حوار وأسئلة مع مارتا بوبيفودا: الخميس 9 شباط 2023 ـ على موقع «قافلة بين سينمائيات»
(www.womencaravan.online)

وفي سياق خارج عن اليومي والموقت، يجيء ملحق إنما كبؤرة لكتابة أسبوعية اسميناها مناورات: إنما للنقد، والتفكيك، والسرد والتأويل

يضم «حرف ناقص»، العدد الاول من ملحق «إنما»، المقالات التالية المنشورة على صفحة «إنما» على الموقع الإلكتروني:

فهرس

- الافتتاحية
- فينومينولوجيا المسوّدة
- (ازمة) الجملة الاولى
- الكتابة كعملية عصيبة
- يوميات مترددة
- لغة الكتابة
- سيجون سوزوكي — الذي يصنع افلاماً لا معنى لها
- «بكتب اسمك يا حبيبي»: — حكاية البطل الصامت
- جيك غريغوري سامسا
- الكتابة بحسب المزاج — مع رامبو حساوي
- كتوب كتوب

إنما
مناورات كتابية أسبوعية

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور
■ المدير الفني
صلاح الموسى
■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews
■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
03 / 828381 ـ 01 /666314 ـ 15
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 4 شباط 2023
العدد 4842 السنة السابعة عشرة
Samedi 4 Mars 2022 nº 4842 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

طفلُ الحرب يا صغيري
أين الطريقْ؟
شرقٌ أم غربٌ
أين في هذا العالم
تجدُ الصديقْ؟
■■■
طفلُ الحرب يا صغيري
ما الأنسبَ لك في هذي الحياةْ
غطاءٌ ممزقٌ
كَفَنٌ من لوحٍ
أمْ سترةُ نجاةْ
■■■
طفلُ الحرب يا صغيري
أين تحبُّ أن تُسلّمَ الروحْ
تحتَ القنابلِ
أم في بحرٍ مفتوحْ
■■■
طفلُ الحرب يا صغيري
قلْ أي وجهةٍ تريد؟
اخترْ لكَ ما شئتَ ولكنْ
دعنا لا نراك أبداً من جديدْ

* قصيدة أهداها الشاعر الدنماركي هنريك نوردبراندت إلى الطفل ايلان الكوردي (ص. 2-3)

(CultureRupture)

رحيل

شاعر قلق وحسّاس مسكون بأشباحه الكثيرة
هنريك نوردبراندت... «وُلد بصدمـة قذيفة»

رحل قبل أيام هنريك نوردبراندت (1945-2023) الذي يبدو مجهولاً ربما للقارئ العربي، رغم أنّ بعضهم وصفه بأنّه المستشرق الأول في الأدب الدنماركي، وبعض قصائده تُرجم إلى العربية (مركز الحضارة العربية للنشر والدراسات، 2005). شذّ صاحب «رعشةُ اليد في نوفمبر» عن جيل الشعراء السبعينيين من أقرانِه الذين أبدَوا اهتماماً بالإعلام والظهور. اختار حياة الترحال من مكان إلى آخر، وفي يده كتاب قواعد اللغة العربية. قصائده دارت حول المكان، وأجواؤها كانت شديدة القتامة لكنّها لا تخلو من الخفّة، المناكفة والبهجة. ما تكشّف في شعره في النهاية أنّ الجمال غلب على اليأس والقسوة

ترجمة وتقديم **دنى غالي**

لا تَبحَثْ عن حقيقةٍ هنا. هذه القصائد مِن صُنعِ اليد. كلما حضرتُ له قراءة، فكرَتُ أن جسده لم يستطع أن يخذلَ صاحبه ويعدِلَ عن قراره بالحضور، فاضطر منصاعاً إلى الاكتفاء بمطلب واحد: البقاء على مبعدة منه. كلما لمحته مصادفة في الشارع، أشعر أن هذا الرجل يجب أن يُمنَح مسافة كافية للتحرك بين المارّة. كان يبدو مُنرفَزاً محافِظاً، وحتى في محاولاته فرد أسارير وجهه عند التحية. سوف لن تنخدع بتلك الألعاب أشباحه التي رافقته منذ ولادته، فقد وُلد ساعتين قبل القصف الشهير الذي تعرّضت له كوبنهاغن في عام 1945، وبابتسامة يقول الشاعر الذي غادرَنا للتوّ: «عندما يسألني الناس عن سبب توتري الشديد على الدوام، أجيبُ: ذلك لأنّي ولدتُ بصدمة قذيفة». الشاعر صار ظاهرة بعد عمر أفناه في الشعر وللشعر، هروبه الدائم من اللغة هو في الوقت عينه استسلام لها، إذ لا مخرج، كما قال الشاعر الدنماركي توماس بوبيرغ. والحصيلة التي كانت في متناول القارئ لا تخلو بمجملها من متناقضات، والشيء ينطوي على متناقضاته وفق هيغل، ينتج ما لا نهاية من التنوّع والقراء. وما تكشّف في شعره في النهاية أنّ الجمال غلب على اليأس والقسوة. ولنصوصه البسيطة والمعقّدة في آن معاً، يتساءل الناقد إريك سكيوم نيلسن بشأن اعتبار هنريك نوردبراندت شاعر الشعراء، في الوقت الذي تمكّن فيه من الوصول إلى أوسع شريحة من القراء. قصائده دارت حول المكان، في الوقت الذي كان الشاعر يعدّ نفسه هائماً، الإحساس الذي رافقه منذ تفتّح وعيه على الحياة. كما أنّ أجواء شعره نكاد نقول شديدة القتامة ولكننا، بالرغم من ذلك، نلمس الخفّة، المناكفة والبهجة في أصوات القصائد. وقصيدته أيضاً وفق الناقد سكيوم نيلسن، صورية بينما نجد أنها تخلو في الغالب من المجاز بشكل غريب!

رعشة اليد في «نوفمبر» صارت «تصبيرة» شعبية تعين على احتمال ثقل الساعات الطويلة وأسر الروح المنقبضة وبرد العظام

أشباح هذا الشاعر عديدة، أولها شبح الحرب الذي سكن البيت وهو يصف ردة فعله بالحادة والمرضية في يومه العادي حيال الانفجارات والضجيج بأشكاله، وحتى الألعاب النارية ليلة رأس السنة التي يستهجنها كطقس احتفالي مفزع. وقد قضى أغلب طفولته عليلاً شتاءً، وما إن يأتي شهر نوفمبر حتى يحتلّ روح الشاعر، فـ«العام له 16 شهراً».

منذ ولادتها عام 1986من ديوانه الشهير «رعشة اليد في نوفمبر»، بدت القصيدة كأنها الضوء البديل لدى الدنماركيين لعتمة الطقس الدنماركي الرمادي الماطر والكئيب. يردّدون مطلعها مع كل آهة وتأفف، والقصيدة كما في مباغتة انبثاقها، صارت «تصبيرة» شعبية تعين على احتمال ثقل الساعات الطويلة وأسر الروح المنقبضة وبرد العظام. وما إن أعلن عن خبر وفاة هنريك نوردبراندت حتى تسابقت المحطات والصحف والمواقع الإلكترونية في نعيه المُستهَل بتلك القصيدة. مفارقة أن يغادرنا في صباح الأجواء عينها التي كتب عنها، كما لو أنها عجّلت في قراره المغادرة: ريح عاصفة وعتمة ومطر ناعم تَخلّله البَرَد! لكنّ الاحتجاج قائم بالطبع لدى كثيرين ضد الشعبية التي تقود إلى أن يُختزَل نتاجه الأدبي كلّه في ترديد هذه القصيدة البسيطة على الدوام.

والدته الحقوقية رغم ذكائها كانت تقرأ كتب علم النفس الأميركية الخاصة بتربية الأطفال، التي تنصح للغرابة بعدم لمس الأطفال قدر الإمكان حينها. وفي طفولته، تعرّض أيضاً للتنمّر حتى سن الثالثة عشرة، ما قاد إلى عدم انضباطه في الدوام المدرسي. يذكر نوردبراندت تينك النقطتين لما لهما من أثر في حياته لاحقاً، بما فيها معاناته من الأنوركسيا في مرحلة المراهقة. (كان قد شاهد في عمر الـ 16عاماً فيلماً وثائقياً في إحدى دور السينما حول معسكرات الاعتقال. هاله ما يمكن أن يقدم عليه الإنسان وجعله لفرط حساسيته يمتنع عن الأكل، ولولا طبيبه النفسي الذي أعانَه في اجتياز أزمته لأقدَمَ على الانتحار). الأمر الآخر الذي يتكرر ذكره على لسانه كان كرهه للحروف الذي اقترن بكرهه للمدرسة. شدّة حساسيته هذه لما حوله، وتأثّره المبكر بنتائج الحرب، أصابا صميم روحه وإلى الأبد. تفاعله عبر الشعر انبثق من حاجته إلى الإحساس بوجوده، وقد أفزَعَته مصائر البشر بعبورها البحر طلباً لملاذ، فكتب «تنويمة» أهداها إلى الطفل إيلان الكوردي في أيلول (سبتمبر) 2015؛ ولكن هي ليست العتمة وحدها كعتمة، فالشاعر عانى من الهلع والخوف والاكتئاب لفترات طويلة في حياته، شعوره باغترابه وبحربه الوجودية أبقاه في الشعر كمنقذ.

شعر على الدوام أنّه مشرّد، تتنازعه رغبة اللاإقامة في مكان. ولطالما تذمّر من الطقس الدنماركي وجغرافية الدنمارك المنبسطة وانتقد النزعة الشوفينية لدى الدنماركيين، كما كتب أشعاراً سياسية تعلن عن رأيه حيال قرارات ومواقف تخصّ بلده وتدين العالم، كذلك الأديان والإيديولوجيات. وجهته كانت نحو الشمس، حوض المتوسط، فأقام لسنوات طويلة في إسبانيا، واليونان، وتركيا والبرتغال. أحبّ الشاعر الكلاسيكي التركي يونس أمره، واليوناني كفافيس، وتنقّل من مكان إلى آخر، وفي يده كتاب قواعد اللغة العربية. ترحاله من مكان إلى آخر كان يهوّن عليه فكرة افتقاد البيت ويبررها، فهو غريب، والحال سيكون أصعب بكثير لو كان بلا بيت في شارع يتحدّث لغته.

كان نوردبرانت كائناً قلقاً سئماً مُبَلبلاً، حين نتتبّع حياته ومنذ بداياته، نجد أنّ إبداعه كَمَن في خروجه عن السرب، لذا شذّ عن جيل الشعراء السبعينيين والفنانين من أقرانِه الذين أبدَوا اهتماماً بالإعلام والظهور بينما اختار هو أن ينسحب: «ليس لي أصدقاء كُثُر، ولكنني في المقابل ثري بحياتي الداخلية». لم يمض من الوقت الكثير حتى غادَر، ولم يتأثّر الشباب بشِعْره فحسب، بل قلّدوه في طريقة حياته، فترى من بينهم من يحمل مثله دواوين الشاعر والاس ستيفينز أينما ذهب. كان نوردبرانت ملهِماً، وسبباً مباشراً في اندفاعة الشباب نحو السفر، واتباع محطات الرحلة ذاتها التي كتبها في ديوانه «رسائل من عثماني». قلّدوه باقتحام ثقافات كانت تُعدّ بعيدة وغريبة لم يكن كثير فضول تجاهها. كانت الثقافة الأميركية هِي المؤثر والملهم الأول السائد حينها، بينما عدّه بعضهم في توجهه نحو الشرق بأنه المستشرق الأول في الأدب الدنماركي. لكن يجدر القول بأنّه كان أبعد ما يكون عن مفهوم الاستشراق: كان شاعراً له قلبٌ دافئ محبّ تتحسّسه خلف الكلمات وموسيقاها. روحه طلقة تكره القيود بأشكالها ولم يحبّ كوبنهاغن يوماً، ولجوؤه بعد عودته كان دوماً نحو الغابة، والبحر والقرى البعيدة التي تذكّره بطفولته. وفي قراءات حافلة بالجمهور، كان بالإمكان أن يتّقد ويجذل بالشعر وأن يغني أيضاً. لا تبدو القصيدة لدى هذا الشاعر متكلفة بصنعة المثاقفة، فقد صرّح في أكثر من مناسبة أنه لا يشعر أنه يجتهد لاجتراحها، وحين شاهد يوماً مقابلة مع Tarjei Vesaas، أحد أهم كتّاب النروج وقد سُئِل فيما لو كان يجهد في القراءة والكتابة، فأجاب بأنه «في الغالب يجلس محدّقاً في الهواء!» أسعدَه ذلك كثيراً، فذلك هو تحديداً ما كان يشعر به أيضاً: «أجلسُ لأكتبَ فقط حين يكون لديّ ما أكتبه. لا أستطيع العمل بأمر. بطبعي مناهض للسلطة، حتى لو كان الأمر صادراً مني»، وهو يعبّر عن ذلك في ديوانه «رعشةُ اليد في نوفمبر»، حيث القصيدة تنطلق من تلقاء ذاتها كالمانفيستو.

«شاعر الشعراء» تمكّن من الوصول إلى أوسع شريحة من القراء

سيرة في سطور

ولد هنريك نوردبراندت (1945-2023) في كوبنهاغن لأب كان يعمل في سلك الشرطة. درس الصينية، والتركية والعربية في «جامعة كوبنهاغن» وخارج الدنمارك لاحقاً. أقام لسنوات طويلة في كل من تركيا والأندلس في إسبانيا والبرتغال واليونان، كما تنقّل بين العديد من الدول العربية. صدر له أول ديوان في عام 1966. كتب في الصحافة، وفي الشأن السياسي والعام وأصدر دواوين تجاوز عددها الأربعين، بالإضافة إلى رواية بوليسية، وكتاب يوميات وكتاب مذكّرات، وكتاب طبخ تركي. في سنواته الأخيرة، أصابه ضعف في البصر وفَقَد قدرته على القراءة، ما اضطره إلى حفظ قصائده عن ظهر قلب لتلاوتها في أمسياته الشعرية. حاز العديد من الجوائز أهمها «جائزة مجلس دول الشمال للأدب» عن مجموعته «جسور الحلم»، وقد رفَض تسلّم الوسام الملكي الذي مُنِحَ له. صدرت ترجمة لبعض قصائد نوردبراندت إلى العربية في الأنطولوجيا التي أصدرها زهير شليبة (مركز الحضارة العربية للنشر والدراسات، 2005) وضمّت كوكبة من الشعراء الدنماركيين المميزين، أمثال بيني اندرسن الذي تميز بانتقاداته اللاذعة للمجتمع الدنماركي وتضامنه مع المهاجرين القادمين إلى البلاد الإسكندنافية، والشاعرة الرمزية إنجر كريستينسين، وأوفه هاردر أحد رواد الحداثة الشعرية والنضال من أجل السلام، والشاعر اليساري إيفان ماليونوفسكي، والشاعر الرمزي الراديكالي كلاوس ريفبيه وأسماء أخرى أمثال سيمون جروتريان وكيرستين هامان ولينه هنينجسن وبيا يول وسورين تومسن وميكيل سترونجه.

أريدُ الابتعادَ عَن نفسي

يَحدثُ أنْ يأتي أحدُنا على قولِ أنا
ليندَمَ طيلة السنوات التي تَليها
لو استبدَلنا صوتَ الكلمةِ أنا
بصوتِ ذبابةٍ مَقلوبة على ظهرِها
عندَ سُدّةِ النافذة
سنحصلُ على صورةٍ أدقّ للحقيقة

■■■

الحبّ منطقيٌّ جِداً
كلُّ المتناقضات تصيرُ مَحض افتراض
والجُمَلُ تسبقُ
المنطق: أنا أحبّكِ، لأنّ الأمرَ هو هكذا
الحُبّ يشبه الجُزُر
الحُبّ يشبه الجُزُر:
لا يكون هو كما هو تماماً
قبل الفجر مثلهُم
ولا يتبيّن موقعَه
إلاّ على صوتِ البحر
صوب الشواطئ التي يُسافِرُ منها

■■■

والِداكَ
صارا والدَيْن
لآخرينَ
وإخوتِكَ، جيرانِك.
جيرانُك
صاروا جيراناً لآخرين
والآخرون يقيمون
في مُدنٍ أخرى.
في مُدنٍ أخرى هم يعودون
تماماً مثلَكَ.
وهم يجدونكَ
القليل
الذي تَجِدُهم فيه.

■■■

أشتري ورداً حتى الفِلس الأخير، قد
تهتُ في الأزرق
إنْ لم أركِ غداً سأموت
وأستلقي محاذاة الشاطئ تحت
سماء آذار الشاحبة
مثل سفينة أشباح قد أبحرتْ من
دون حَيزومها
وخلّفت صورةً لها في كل الشبابيك
بوردةٍ جورية في يد واليد الأخرى
مفتوحة ممتدّة

■■■

العام له 16 شهراً: نوفمبر،
ديسمبر، يناير، فبراير، مارس، أبريل،
ماي، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر،
أكتوبر، نوفمبر، نوفمبر، نوفمبر، نوفمبر

■■■

طفلُ الحرب يا صغيري

طفلُ الحرب يا صغيري أين الطريق؟
شرقٌ أم غربٌ
أين في هذا العالم
تجِدُ الصديقَ؟
طفلُ الحرب يا صغيري ما الأنسب لك في هذه الحياة
غطاءٌ ممزقٌ
كَفَنٌ من لوح
أمْ سترةُ نجّاة

طفلُ الحرب يا صغيري أين تحبُّ أن تُسلّمَ الروح
تحتَ القنابلِ
أم في بحرٍ مفتوح

طفلُ الحرب يا صغيري قلْ أي وجهةٍ تريد؟
اخترْ لكَ ما شئتَ ولكنْ
دعنا لا نراك أبداً من جديد

أينما سافَرنا

أينما سافَرنا، نَصِلُ على الدوام مُتأخرين
إلى الذي يوماً كنا قد غادَرْنا مِن أجلِ العُثور عليه
وفي أي مدينةٍ سَنُقيم
هناك تلك البيوت التي تأخّر وقتُ العَودة إلى
حدائقِها التي تأخّر الوقتُ من أجلِ قضاء ليلةٍ مُقمِرةٍ فيها
وتلك النساء اللواتي تأخّرَ الوقتُ لنعشق
اللواتي يُعَذِّبْنَنا بِقُرْبِهِنَ المحسوس

وكلّ الشوارع التي سَنَظنّ أننا نعرفها
تحرِفُنا عن حدائقِ الورد التي نبحثُ عنها
والتي يشذو عَبَقُها الثقيل في الحي.
وكلّ البيوت التي سَنعودُ إليها
نصلُ متأخرين ليلاً ليتمّ التعرّف علينا.
وكلّ الأنهار التي سَنَتَمَرأى على سطحِها
سوف لن نرى أنفسَنا فيها إلا بعدَ أنْ نُديرَ لها ظهورَنا

الصينيّ

تظهرُ له الشمسُ عبرَ ورقةٍ خضراء سقطت في الكوب.
الكوب الذي أصبحَ ما يحتويه الآن صافياً تماماً.

الانتقام الأميركي الأعظم
كان أنا، مَن اخترعَ العنوان
يوماً، حين انقطعَ النت
هكذا فزتُ. كنتُ على حق.
مرةً ثانية
لم تُخيّبني قدرَتي على الحكم
قد اخترتُ كما قلتُ بنفسي العنوان.
بهذه الكلمات
لا يمكنني رؤيةَ وجهي في المرآة
مِن دون لعب كل أدوار «الويسترن» القديمة
كلّها على بعضها دفعةً واحدة
لكي أرى نفسي.
انظرْ بنفسكَ. انظرْ إلى وجهي:
إنه قاسٍ مثل جدار الصين
ومَرِنٌ مثل أخطبوط.
أحبّ وجهي، كما تُحبّه أميركا
وأنا أحبّ تلك الـ أميركا
التي ترى نفسَها وعظمتَها في وجهي.
كنتُ أنا
مَن اخترتُ نفسي.
كنتُ أنا، الذي اخترعَ العنوان
الانتقام الأميركي الأعظم
لذا فسُحقاً للكتاب.

إبحار

بعد فعلِ الحُبّ نستلقي لصقَ بعضنا
وعلى مسافةٍ من بعضنا في الوقت ذاته
مثل سفينتين شِراعيتين مُلْتَذّتين
بشقّ مسارَين لهُما في المياه الداكنة
أيما لذّة حدّ أن جَسدَيْهما
يوشكان أن ينفتحا من النقاء وظلّ النعيم
بينما يبحران، سباقٌ في اللاشيء
تحت الشراع الذي تملؤه الريحُ الليلية
هواء بعِطرِ الزّهر وضوء القمر
- مِنْ دونَ أنْ يَسعى أحدُهما في لحظة
أن يخلّف الآخرَ وراءه
مِنْ دون أدنى زيادةٍ أو قلّةٍ
في المسافةِ ما بينهما
ولكنْ هناك ليالٍ أخرى، حيث نمخر
مثل باخرتين بادْخَتَيْن مُضيئتين متأهّبَتَيْن
جنباً إلى جنب
حيث المكائن مُطفأة، تحت سماءٍ
غريبة مرصّعة بالنجوم
مِن دون ركّاب:
وعلى كل سطحٍ تُعزَف أوركسترا كمان
على شَرفِ الأمواج الألِقة
والبحر ممتلئ بسُفنٍ قديمة متعبة
أغرقناها في محاولتنا الوصول إلى بعضنا

■■■

لا تبحثْ عَن حقيقةٍ هنا. هذه
القصائد مِنْ صُنع اليد
التي تحرّكت بِضعةَ أيام في نوفمبر،
أو ارتعشتْ
تحت تأثير مزاج صاحبِها، القهوة،
السجائر، النبيذ
الغيوم أعلى الوادي، موت أصدقاء
وإعلان حروب

حين يموتُ الإنسان

تبقى مِنْ بعدِه بيئتُه:
الجبالُ في البعيد
منازلُ الحي.
والطريقُ الذي يسير أيام الآحاد
فوق جِسرٍ خشبي
قبل أنْ يقوّدَ إلى خارج المدينة
وأشعة شمس الربيع
كما نُزهةٌ ما بعد الظهر
حين رفٌّ مِن كتبٍ
ودورياتٍ كانت مِنْ دون شك
جديدةً يوماً.
ليس هذا بغريب.
ومع ذلك
غالباً ما يثيرُ هذا تساؤلي.

حُلْمٌ يائس

غطّتِ الشمسَ غيمةٌ مُغبرّة
وأناخَ مشتى
على سفحِ الجبل
لحبيبتي
وعشيقِها.
جسرٌ ارتجّ تحت قدمي
لكن خطواتي
ليس لها وجهة.
كانت المسافةُ فوق الجسر
ذات الطول حين جئتُ مِن طفولتي.
لذا لا بد وأن يكون الموتُ
في مكانٍ ما
بيني وبين الأعمدة الرمادية على الضفة المقابلة.
استغرقَ الأمرُ بما فيه أقلَّ مِن دقيقةٍ
لكن بقية ما في العالم.

فصول من رواية

وردة كاشان (*)

محمد كجك

1. تسجيلاتٌ مفاجئةٌ

كان هذا الصباحُ كتمثالٍ خشبيٍّ، صامتاً، وبارداً، ووحيداً جداً. استيقظتُ في ساعةٍ مبكرةٍ جداً، بين هذه الجدرانِ الأربعةِ الشاهقة. أستطيع أن أشمَّ رائحةَ زيتِ الزيتون مفروكاً بورقِ الصنوبر، تملأ المنزلَ. هذا هو الشّيءُ الوحيدُ الذي دفعني إلى القيامِ من سريري وتحمّلِ الصداع. صداعٌ فظيعٌ. مشيتُ في أروقةِ المنزلِ بصعوبةٍ. كأنّني لم أمشِ منذُ زمنٍ طويلٍ جداً. هناك رائحةٌ جميلةٌ تطوفُ في الأرجاء، دخلَت إلى قلبي، وجعلتني أشعر بالجوعِ وبالحاجةِ إلى الدّفء معاً. المنزل فارغٌ. بالكاد تذكّرت الطريقَ إلى المطبخ. هناك الكثير من الأمور قد تغيّرت في المنزل. كأنّه قد أعيد ترميمه من جديد! حسناً، لا بدَّ من الاعتراف إذاً أنَّ من قام بترميمه صاحبُ ذوق رفيع جداً. أعجبتني سجادةٌ عجميةٌ متوسّطةُ الحجم، موضوعةٌ في الرّدهة بين غرفةِ النوم والصالون. لكن، جدّتي لم تكن تملكُ هذه السجّادة أبداً، وأيضاً طقم السرفيس التبريزي المرتّب بعناية في الخزانة الزجاجية في آخر الردهة قبل الوصول إلى المطبخ. مطرّزة حوافيه بوردٍ زهريٍّ رقيقٍ جداً، كأنّه مرسوم بأيدي الملائكة. خطفت قلبي تلكَ الورودُ الصغيرةُ المنمنمةُ، فأخذتُ نفساً عميقاً ووصلت إلى المطبخ. أنا والخشبُ، حكايةُ حبٍّ قديمةٍ منذُ صغري. كانت آخر هديّةٍ من أبي، قبل أن يفقدَ عينيه، علبةً من خشبِ الصنوبرِ الأحمرِ اليوغسلافي. كان شكلُها مستطيلاً، وفيها أخاديدُ طويلةٌ، تناسب أشكالاً متنوّعة من فرشِ الرسمِ، ومكاناً محفوراً خاصّاً لصورةٍ لي وله ولأمّي، ملصوقةٍ أسفلَ بلورةٍ زجاجية صغيرةٍ محدّبةٍ. قال لي حينها، هذه الهديّةُ صمّمتُها بنفسي، ونفّذها نجّارٌ أرمنيٌّ في برج حمّود، هو الذي نصحني بالبلّورة الزجاجيّة هذه!
كيف تذكّرت هذه العلبة أصلاً! غريب. تعود بعض الذكريات دونَ إذنٍ، كأنّها تريدُ فتحَ بابٍ بالقوّة. طاولةُ المطبخِ مرتّبةٌ، كل شيء موضوعٌ في مكانِه. الفطورُ في مكانه، لا يزال الخبزُ دافئاً، وجبنةُ الحلّوم التي أحبّها مع الجوز في صحنٍ خاصٍّ، والزبدةُ البلدية مع مربّى الفريز الذي كنّا نشتريه كلَّ سنةٍ من مشغرةَ. وصينيّةُ الخضار الطّازجةِ مع صحنِ البيض. ومزهريّةٌ صغيرةٌ فيها باقةٌ من الفلّ!
تناولت الطعام بشغفٍ، بجوع عتيقٍ، كما يأكل الفلّاح زوّادته عند السّاعةِ العاشرةِ صباحاً، بعدَ ساعاتٍ من العملِ قُبيل الشروق. ثمَّ، ارتاح بالي قليلاً. لا يمكن أن يكملَ المرءُ نهارَه بالجوعِ. وضعتُ خدّي على كفّي، وألصقتُها بالطاولة. أتأمّل صوتَ الهدوءِ في المنزل. أين جدّتي؟ ومن أعدّ الطعام؟ لاحظتُ ندبةً من جرحٍ طويلٍ يمتدُّ من ظاهرِ منتصفِ رسغِ يدي اليمنى إلى الإبهام. جرحٌ طويلٌ وعميقٌ! كأنَّ شيئاً حاداً مزّق يدي. لكن لحسن الحظّ، الجراحة التجميلية حسّنت شكله. طيّب، ما الذي أتى بالجرح من عالم الخيال إلى يدي؟
أمامي مباشرةً مزهريّة الفلّ. لاحظتُ شيئاً غريباً تحتَها.
هناك ورقةٌ رقيقةٌ مطويةٌ بعنايةٍ، لونها فيروزيٌّ. سحبتُها بلطفٍ وسرعةٍ، فتحتُها، هناك سطران مكتوبان بخطٍّ مألوف: «أتذكرين سرَّنا الصغيرَ؟ هناك، في العلبةِ الخشبيّةِ داخلَ خزانةِ الألبسة! ستسمعينَ كلَّ الحكاية».
حكايةُ ماذا بالضبط؟
هل أنا أشاهدُ حلماً غريباً ما، حلماً داخل حلم داخل حلم آخر مثلاً؟
سيكون أمراً مخيفاً أن أستيقظ!
ثمَّ، من أين أتت هذه الورقةُ؟ وأيُّ سرٍّ! عادَ وجعُ رأسي من جديد. وضعت يدي اليسرى على جبهتي. وقمت أمشي إلى غرفةِ النوم من جديد.
لاحت لي نافذةٌ في غرفةِ الصالون. شدّتني النوافذُ شغفي. هذه البيوتُ القديمةُ، مشغولةٌ بطريقةٍ بسيطةٍ، لكنّها واقعيّةٌ وحقيقيّةٌ وتشبهنا. لماذا؟ النافذة في بيت جدّتي، وبسبب الحجر الصخريّ الجزينيّ العريض، المستخدم في بناء البيوت القديمةِ في قريتنا، تمتلكُ حافّةً عريضةً يمكنُ لك حرفيّاً الجلوسَ عليها، وكأنّك تقعدُ في النّافذة وتمدُّ قدميك! فتحتُ النّافذة. فهبَّ عليَّ نسيمُ الصباح من حديقةِ جدّتي. شجرةُ الزيتونِ الكبيرةُ تحجب شيئاً من شعاعِ الشّمس. وحفيفُ أوراقِ شجرةِ الحورِ العظيمة، يمنح المكانَ جلالةً وقداسةً كالأساطير. ثمَّ، رأيتُ رأسَ شخصٍ يسير وراءَ سور المنزل، بسرعةٍ وخفّةٍ، كالقطِّ، ويدخل في سيارةٍ، صوتُ محرّكها ناعمٌ جداً، يكادُ لا يُسمع.
من كان هذا؟
ليتني صرختُ عليه! ربّما الصراخ يخفّفُ من وقعِ الوحدةِ هنا. لكنّي لم أفعل ذلك.
عدتُ إلى الخزانة. فتحتُ العلبةَ الخشبيّةَ. هناكَ، مسجّلُ صوتٍ حديث.
أشعرُ أنّي أعرفه من قبل. ملمسُه الناعمُ لا يزالُ في يدي. حملته. سبّب لي ذلك راحةً مفاجئةً في قلبي.
حسناً، يحتاج الأمرُ إذاً إلى إبريقٍ فاخرٍ من الشّاي، وحبّةِ دواءٍ لتسكينِ وجعِ الرأس المفاجئ.
سأستمعُ إلى كلِّ شيءٍ فيك... عسى أن أضعَ يدي على رأسِ الخيطِ لما يحصل.
ضغطتُ على الزرِّ المخصّص للبدء. صمتٌ يسير. ثم خرجَ صوتٌ دافئٌ كأنّه شوكولا ساخنة. «تسجيلها رقم 1».
ثم خرجَ صوتٌ. هذه أنا!

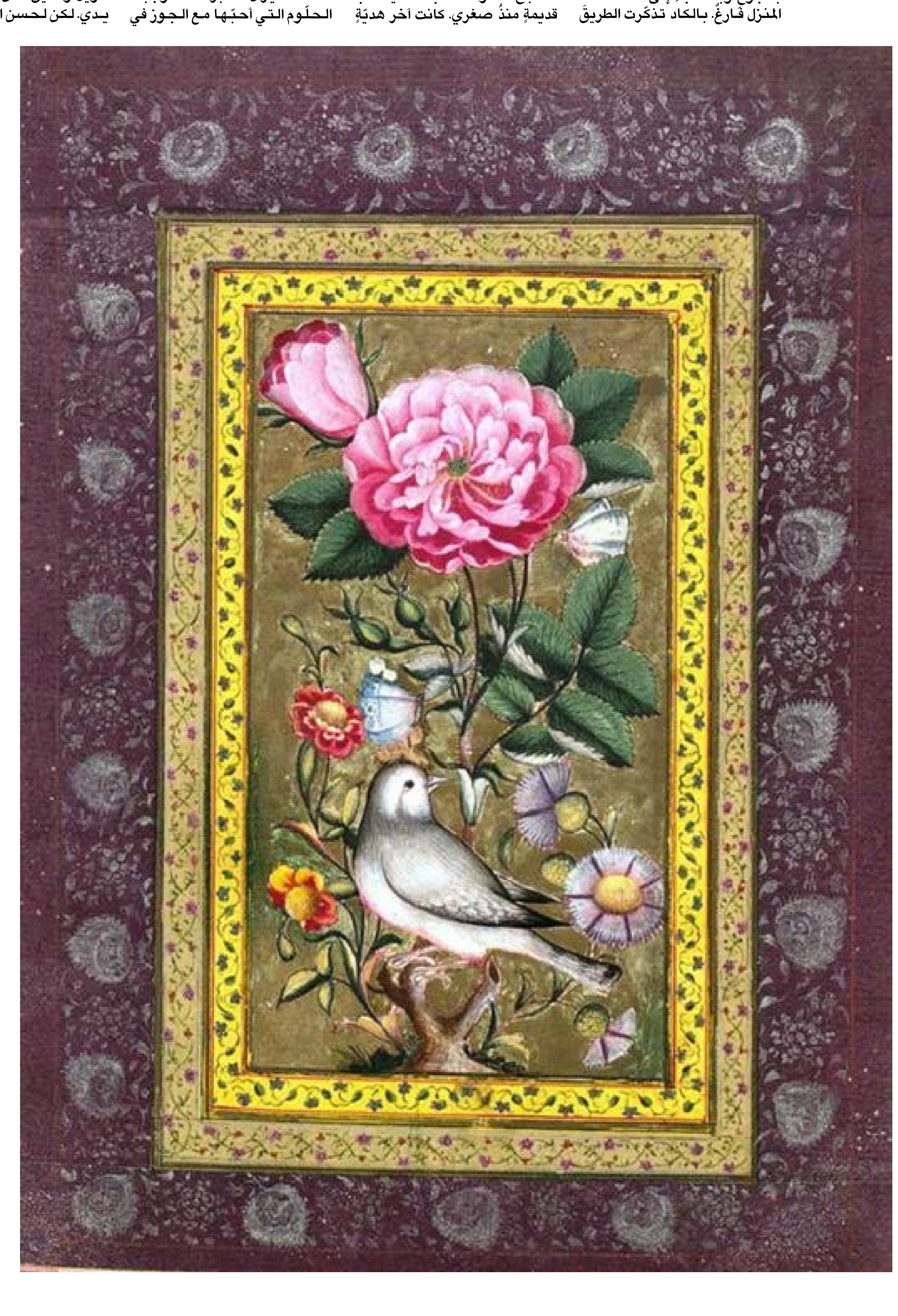

البلبل والوردة (منمنمة فارسية من الحقبة القاجارية، 1800-1850).

2- معراجُ الرُّوحِ وزهرةُ الشّاي

استيقظتُ ذلكَ اليوم، في إحدى شققِ «بحمدون»، كانَ رأسِي ثقيلاً كفايةً كي لا أتعجّلَ القيامَ من السّرير. الرّؤيةُ غيرُ واضحةٍ، فعيناي لا تَريانِ أيَّ شيءٍ بوضوحٍ، إلا بَعدَ تركيزٍ شديدٍ جدّاً. آخرُ ما أذكرُه، أنَّه كانَ إلى جنبي امرأةٌ تشبهُ ليلى، وجهُها لا أنساهُ.
في الغرفةِ رائحةُ الإهمالِ والهروب. وفي وسطِ الجدارِ المقابلِ، هناكَ لوحةٌ مرسومٌ فيها أحدُ أمراءِ آلِ شهاب. قلتُ له في نفسي: «ماذا تفعلُ في غرفتي؟ حضورُكَ وغيرُكَ منَ الأمراءِ يثيرُ في نفسي الغثيان».
لم يكنْ في ذهني، تلكَ الصّبيحة من شهرِ آذارَ، سوى أشكالٍ كثيرةٍ تخيّلتُها لمعنى السّامِ الممزوجِ بجرعاتٍ كثيرةٍ من الحزنِ، ربَّما تُسمّى الحسرة. أغلبُ الظنِّ، أنّني أسرفتُ البارحةَ في السّهر. أذكر أيضاً أنَّه كانَ هناكَ ازدحامٌ في هذهِ الغرفةِ. ماذا كانُوا يفعلونَ؟ لم أعدْ أذكر شيئاً غيرَ صوتٍ يقولُ لي: «الخمرةُ الجيّدةُ خلاصةُ عنقودٍ جيّدٍ».
اليومَ؛ بلغتُ الرّابعةَ والعشرين من عمري. وحيداً هنا على شرفةِ شقّةٍ في بحمدون لا أعرفُ لمن هي، لم أعدْ أذكر بالتحديد. الذاكرةُ المتعبةُ تحتفظُ بالأشياءِ على هيئةِ فقاقيعِ الصّابون. تخيّل أن تكون ذاكرتك صابونية!
سنة كاملة في هذه المنطقةِ المطلّةِ على بيروت. لمْ أشعرْ بالوحدةِ من قبلُ كما أشعرُ بها الآنَ. أشعرُ بها تدبُّ مثلَ الحزنِ في جلدي. لقدْ أمعنتُ في الهروبِ كلَّ هذهِ السّنواتِ الأخيرةِ. الهروبُ منْ كلِّ شيءٍ. كنتُ أريدُ أنْ أهربَ منَ الجنوبِ، من نفسي، من المشاهدِ المتكرِّرة، ومن كلِّ مكانٍ يحملُ ذكرى وجههَا دونَ أن تكونَ حاضرةً فيهِ.
الجنوبُ في السّنواتِ الأخيرةِ لم يكنْ مكاناً يستطيعُ المرءُ أنْ يعيشَ فيهِ، أنْ يتنفَّسَ، أنْ يركضَ في الحقولِ، وأنْ يعشقَ الفتياتِ، وأنْ يأكلَ على كورنيشِ البحرِ. كانَ صوتُ الطّيرانِ الحربيّ فوقَ السّماءِ وفوقَ أحلامِنا، يذكّرُنا يوميّاً كم أنَّ الجِلدَ عيشتُه صعبةٌ.
لا يشبهُ الصَّباحُ هناكَ؛ صباحَ بحمدون. النَّاسُ هنا، يستيقظُون صباحاً يبتسمونَ ويشربونَ القهوةَ على الشُّرفاتِ الواسعةِ.
كنتُ حينَها أعيشُ حالةَ اختناقٍ يوميّةً، والهواءُ لم يكنْ ليساعدَ. كانَ مُصادَراً غالباً، يتنفّسهُ رجالٌ غرباءُ على التّلالِ المشرفةِ، لديهمْ كلُّ ما يمكنُ أنْ يجعلَ الأملَ دودةً تلاحقُها دجاجةٌ مضطربةٌ نفسيّاً. كانتْ قريتُنا تحتَ رحمةِ تلّةٍ سوداءَ معاديةٍ. وكنتُ في إحدَى حاراتِها، أعيشُ العشقَ من طرفٍ واحدٍ تحتَ كرومِ العنبِ، وأحفرُ اسمي واسمَها على جذوعِ الدّوالي والزّيتون.
هناكَ؛ كانَت قصّةُ عشقيَ السّريَّة. كنتُ أحبُّ الصَّباحَ لأسلِّمَ عليها، والمساءَ لأودِّعَها، والنَّهارَ لنلعبَ معاً وبقيّةَ الفتية.
في يومٍ من تلكَ الأيَّامِ، استيقظتُ لأودِّعَها، فعلمتُ أنَّ جدَّتَها قد مرضتْ مرضاً خطيراً ولن تستطيعَ المشيَ. آخرُ مشهدٍ رأيتُها فيه، كانتْ تجرُّ العجوزَ على كرسيٍّ نقّالٍ كي تأخذَها إلى بيروتَ. كانت بيروتُ بالنّسبةِ إلينا، مكاناً يقعُ في منتصفِ كتابِ «ألفِ ليلةٍ وليلةٍ».
بعدَ رحيلِها، لم تعدِ القريةُ، بالنسبةِ إلي، ذاتَ قيمة.
الآنَ أذكرُ جيداً عينَيْ أمِّي وهيَ تقولُ لي ذاتَ ليلةٍ: «أعرفُ أنّكَ لنْ تبقَى هنا. لكنْ، أرجوكَ لا تجعلِ القريةَ تغادرُ قلبَكَ». هربتُ، وقتها، في سيَّارةِ تاكسي، جالساً في صندوقها الخلفي أنا وثلاثة فتيان، نسمع السائقَ يسعل سعالاً قوياً بسبب فرحته بالأجرة الباهظة التي اقتلعها منّا. لم يكنِ المعبرُ الحدوديُّ مغلقاً، فعبرتُ منْ دونِ تفتيشٍ. كان قلبي يدورُ معَ دولابِ السيَّارةِ. ولما وصلتُ إلى بيروتَ، كانَ قلبي قدْ أفرغَ كُلَّ مشاعره، في صندوقِ سيّارةِ التّاكسي. وعادت التاكسي إلى القرية، وأمّا أنا فبقيت مجرّداً من كلّ شيء. اللاشيء مؤلمٌ جداً، وهو اختبارٌ مرٌّ. نسيانُها كان بطعم اللاشيء.
عمِلْتُ في كلِّ شيءٍ يسدُّ الرّمقَ. لكنْ، صورتها «هي»، دفعتْني إلى الهروبِ من بيروتَ، إلى كلِّ مكانٍ غيرِ بيروت. إلى كلِّ مكانٍ ليسَ فيه تلالٌ سوداءُ.
دخلتُ الغرفةَ، وجلستُ على السَّرير. هلْ لهذا الهروبِ من نهايةٍ؟ لقدْ خسرتُ في هذا الهروبِ كلَّ شيءٍ. لم أجدْ في بيروتَ ولا هنا إلَّا الغُربة.
قلبي جبلٌ منَ القلقِ. وروحي فارغةٌ مثلَ كأسِ خمرٍ مكسورةٍ. وقد اشتقتُ أنْ أعشقَ امرأةً رائحةُ شعرِهَا مثلَ عنقودٍ منَ الرّيحِ. أزعجَني شعورُ الفراغِ الرُّوحيّ. الرُّوح الفارغةُ ناقوسٌ لا جرسَ له، لا يُسمعُ له إلا صوتُ الفراغِ. فراغٌ مقيتٌ، مثل قبرٍ موحشٍ.
ليسَ فراغاً، لا! كيف يكون فراغاً وقد فعلتُ أشياءَ قبيحةً؟ أكثرُها قبحاً شعورُ التحرُّرِ منَ الله لسنواتٍ، والتحلّلِ منْ كلِّ شيءٍ يفرضُ عليَّ ما أفعلُ. أنا شابٌّ حرٌّ، أحبُّ الحريةَ، ولأنّي أحبُّ الحريَّةَ؛ تركتُ كلَّ شيءٍ خلفي ومضيتُ إلى بيروتَ. لم أسحبْ معيَ شيئاً. قلتُ: فلتُعلّمني «بيروتُ»، ولتملأْ فراغي بكلِّ جميلٍ. كيف يمكن أن أملأَ روحي من دون أن أضطرَّ إلى دفعِ ثمنٍ كبيرٍ؟
حاولتْ بيروتُ أن تفعلَ ما بوسعِهَا، لكن لم يستطعْ زياد الرَّحباني أن يملأَ في روحِي فراغاً، ولا قهاوي بيروت أزالتْ حزني وغرستْ بدلاً عنه حوريَّاتِ البحرِ، ولا البحرُ غسلَ قلبي.
في بيروت ضجّةُ حياةٍ، تخدعك، أكثر منَ الحياةِ نفسِها.
رميتُ نفسيَ على السَّرير: فعلاً أنا ميِّتٌ. متروكٌ كي أسقطَ في هاويةٍ لا قرارَ لها، وأنا أسقطُ تناهى إلى سمعي خطاباتٌ سياسيّةٌ كثيرةٌ وأغانٍ وطنيّةٌ، ورُميَت عليَّ شراويلُ جبليَّةٌ، ومسحوقٌ ناعمٌ من الزَّجلِ والعتابا. كلُّ ذلك لم يُنقذْني من الهاويةِ.
أنا ميّتٌ، على سريرٍ في غرفةٍ في «بحمدون»، أنظرُ إلى السَّماءِ من الشّباكِ، وأعلمُ أنَّ كلَّ شيءٍ سماويٍّ قد أعطاني ظهرَه، وكلَّ شيءٍ أرضيٍّ ينظرُ إليَّ كما ينظرُ مديرُ شركةٍ إلى عاملٍ مهْمَلٍ ليسَت لديهِ واسطةٌ. هل جرّبَ أحدُ الإحساسَ بالموتِ والفراغِ والعجزِ وفقدانِ الأملِ معاً، هكذا؟
لا تتكلّمُ أمِّي عادةً، لكنّها إذا تكلّمتْ، كانَ كلامُها مصيباً مثلَ رميةِ جدّي الماعزَ بالأحجارِ.
ينبغي أنْ أبحثَ عن القريةِ في داخلي. هناكَ ما ينبغي أنْ يعيدَ فيَّ الحياة.
قفزتُ عنِ السّريرِ كالمجنونِ، ثمَّ ركضتُ إلى خزانتي، وأخرجتُ منها حقيبةً صغيرةً قديمةً. حملتُها وفتحتُ السّحَّابَ، ثمَّ قلبتُها رأساً على عقبٍ، فوقعتْ منها أغراضٌ كثيرةٌ. صُورةُ أمِّي، وأبي، وتحفةٌ صغيرةٌ بحجمِ السّبابةِ من المساميرِ على شكلِ سلاحٍ، وعقدةٍ من القصبِ على شكلِ سوسَنةٍ صنعَها عيسى منذُ زمنٍ بعيدٍ. قالَ لي وقتَها: «القلبُ مثْلُ هذهِ العقدةِ المحكَمةِ، مهمَا حاولتَ حلَّها لن تعرفَ، إلا إذا اهتديتَ إلى طرفِ العقدةِ، فتكرّ العقدةُ بسهولةٍ».
حملتُ عقدةَ القصبِ، ونشرتُ أغراضَ الحقيبةِ حولي. كانَ هناك كُتيِّبٌ صغيرٌ، اسمهُ «معراج الرُّوح»: «يااه!» أخذتُه، شممتُه، لا تزالُ بقايَا من رائحةِ الـ Tea Rose متشبّثةً بداخلِ الكتيّب. ما إنْ شممتُها حتّى بدأتْ دموعي تهطلُ بغزارةٍ، كنبعٍ عتيقٍ تفجَّرَ فجأةً.
سحبتْني ذاكرتي إلى خمسةَ عشرَ عاماً قبلُ. كنتُ حينَهَا ألعبُ أمامَ مسجدِ القريةِ. مرَّ شابٌ من أجملِ شبابِ القريةِ. في وجهه نورٌ غريبٌ، كلَّما نظرتُ إليهِ تغلغَلَ وجهُهُ إلى رئتي، وجعلَني أتنفَّسُ. كنتُ أسمِّيهِ «الحلو». أعطانِي مرّةً هذا الكتيّبَ، وقالَ لي: «المعراجُ يعني الطَّريقَ إلى فوقٍ، الأعلى». ثمَّ غابَ «الحلو» مرةً، ورأينَا من بعيدٍ كميةً كبيرةً من دمِهِ تُلوّنُ رأسَ تلّةٍ عاليةٍ جداً، تعانقُ قمّتها السّماءَ.

(*) فصول أولى من رواية بالعنوان نفسه صدرت أخيراً عن «دار البنان»، بيروت.

قصة قصيرة

مُرْضِعَةُ وَالِدِهَا

محمد بنميلود *

أخرجت البنت ثديها الكبير من فتحة صدر فستانها، ووضعته في فم أبيها. أبٌ عجوز، بلحية وقورة، لكنّه قويّ كحصان، بعضلات مفتولة، ورأس حليق، ولباس قديم، يشبه لباس سكّان روما القديمة في التّماثيل.
الأب يرضع، والبنت تراقب بوّابة الزّنزانة بارتعاب.
المفترض في القصّة هو أنّ الأب سجين محكوم بالإعدام، بالموت جوعاً، أن يبقى هناك دون طعام أو شراب، حتّى الموت. هذا هو حكم الآلهة.
بدا الحرّاس أقلّ قسوة من الآلهة، لم يمنعوا ابنته من زيارته ساعة في النّهار، فقط كانوا يفتّشونها جيّداً، قبل أن يتركوها تدخل الزّنزانة، مستغلّين الفرصة أثناء تفتيشها لتلمّس نهديها الكبيرين، كعميان. تظلّ صامتة ومبتسمة رغم ذلك ابتسامة متجمّدة كي يتركوها تمرّ.
حين يغلقون باب الزّنزانة عليهما، ويتوارون جنب الحائط كي يثرثروا، تخرج نهدها المتعب، وتضع حلمته الحمراء في فم الأب كأنّها أمّه. لكنّه كان يرضع أكثر ممّا يمكن أن يرضعه طفل، ويحسّ أحاسيس غامضة أثناء الرّضاعة، يقمع بعضها بسرعة؛ كأن يرى المرء في خياله صورة شيطان أثناء الصّلاة الخاشعة.
مرّت شهور وشهور، والآلهة تنتظر أن يموت العجوز جوعاً، والحرّاس ينتظرون أن يجدوه في الصّباح جثّة هامدة، يحملونها على خشبة، ويلقونها في حفرة في ساحة السّجن دون تابوت، ودون صلوات.
لكنّ العجوز لم يمت بعد شهر، ولا بعد شهرين، لم يمت أبداً! بل ظلّ قوياً كحصان، وعضلاته ظلّت مفتولة كدافعي العربات.
انتشر في السّجن عدد لا بأس به من الشّائعات: أنّ العجوز قدّيس حقيقيّ، وأنّ الملائكة المجنّحة تأتيه بطعام من السّماوات كلّ ليلة، وأنّ الآلهة ندمت ندماً كبيراً، فسامحته، ومنحته شرف المعجزات، وأنّ من يلحق به أذى أكثر فالشّياطين ستفسد عليه حياته وحياة عياله.
جاء الحرّاس بخشوع في ذلك الصّباح، فتحوا زنزانته فأحدث بابها صريراً عميقاً، ركعوا قرب قدميه، وطلبوا منه المغفرة بمهانة.
لم يفهم ما بهم! رجوه بخنوع وذلّ أن يغادر الزّنزانة والسّجن، فهو حرّ طليق، وذلك بأمر الآلهة كلّها.
في كوخه عند طرف الغابة، كانت البنت تُرضع طفلها على ضوء اللّمبة الشّحيح، كان هو حزيناً مغموماً طيلة المساءات، رغم نجاته، يراقبها بصمت.
حليبها الّذي سرى في عروقه وفي روحه حوّله من أب إلى طفل، أراد أن يرضع، أراد أن يلعب وأن تهدهده حتّى ينعس وينام، أن يمسك نهدها الإلهي اللّيّن بأصابعه المرتعشة، أن يلقمه، أن يعضّ حلمتها بفمه الخالي من الأسنان كفم رضيع ويلهو بها بلسانه الجافّ، ناظراً بشرود إلى السّقف، نصف نائم، ونصف مستيقظ.
أراد أن يبكي، أن يقول لها:
— يا أمّي... يا أمّي...
وكانت هي، بين الفينة والأخرى، تحيطه بنظرات مشفقة.

بارتولومي إستيبان موريو مُرِيُّو ــ «مَحبَّةٌ رُومانيّة» (زيت على قماش، 1670)

* قصة مستوحاة من قصة الشابة التي أرضعت والدها السجين المحكوم بالإعدام في سجون روما حتى أنقذت حياته، القصة التي ألهمت عدداً كبيراً من الرسامين والفنانين.
كنْلُو/ المغرب

نصوص

كثيراً ركض أبي خلف الطير الحرّ، حتى نبت له ريش

مروان علي *

1. الباز

إنه الطير الحر.
أعرفه من خبط الأجنحة؛ ومن استقامتها، حين يفردها ليثير لعاب الصيادين الكرد وفخاخهم، ينظرون إليه بحسرة بينما يحلّق منخفضاً فوق البيوت والأشجار والآمال القديمة والأحلام العالية.
إنه الطير الحر.
طيري الذي ينتظرني ويحرس الشمس في طريقها إلى جبال كردستان.

2. الفخاخ

في صناعته لفخاخه، يحرص أبي على شراء خيوط قطنية صافية ويقوم بدهنها بالشمع والعسل، فتصبح قوية وناعمة ويصنع شباكاً صغيرة من خيوط النايلون العريضة كي لا تجرح مخالب الطير الحر.
في المساء، يشعل لفافته ويحكي لنا حكايات عن طيره الحر الأبيض، عن الأحلام التي ظلّت بعيدة وعالية مثل الطير الحر الذي لن يأتي أبداً...
أحياناً كنت أجد ريشاً في سرير أبي. أحياناً كنت أسمع خبط أجنحة قوية في غرفة أبي. هل زاره الطير الحر في الليل؟ هل حاول أبي الطيران؟
ربما.

3. حجل

في سوق الطيور في المنامة، وجدت طائر الحجل وحيداً في قفص وقربه البائع الهندي. وقبل أن ألتفت نحو فريد رمضان، لأخبره عن العلاقة بين هذا الطائر والكرد، رأيت الطائر ينظر نحوي وكأنه يعرفني.
اشتريته وتركته يطير، حلّق عالياً نحو جبال كردستان.

4. حقل ألغام

حقل ألغام كان يفصل بيننا وبين الأهل الذين ظلوا في الطرف الآخر بعد اتفاقية سايكس بيكو.
وكان أحد الأقارب يعرف مكان الألغام (في السبعينيات) ويتسلى بفكّها وإزالتها وفتح الطريق أمام المهربين والمحرومين من جوازات السفر لرؤية أهلهم وزيارة عائلاتهم في نصيبين وماردين. وذات يوم انفجر لغم بين يديه، تناثر جسده: قسم ظل في الطرف التركي والقسم الآخر في الطرف السوري من الحدود.
حفرنا له قبراً عندنا ودفنّاه وحفروا له قبراً هناك ودفنوه.
في العيد كنّا نزور قبره ونلوح لأهلنا الذين يزورون قبره الثاني في الطرف الآخر... ولَم يكن يقطع نحيبنا غير مرور القطار التركي وتلويحات الركاب الذين كانوا غرباء مثلنا في بلادهم.

5. القصيدة الأولى

القصيدة الأولى كتبتها على جدار بيتنا الطيني في كرصور وقرأتها لأمي وأختي عيشانه وحقل القمح القريب وعصافير الدوري في باحة البيت...
أسراب القطار تحلق عالياً فوق كرصور في طريقها نحو الهضاب القريبة في بيرا بازن وكيستك.
أتأملها بحرقة مثل أم رأت ابنها الجندي في شاحنة روسية قديمة تنقل الجنود إلى الحرب.
أحب العصافير في سماء كرصور والأزهار بين حقول القمح في هضابها، والذين يعودون إليها من المدن البعيدة منهكين وحين يضعون رؤوسهم على حجارتها ينامون بسعادة.
أحب الرعاة في الهضاب القريبة والشمس في سماء كرصور.
أحب فارس باقي فراس والعشاق الذين يبكون خلف النوافذ البعيدة،
في كرباوي وسهرمكة ونيف.
أحب السيارات التي تتعطل دائماً في منتصف الطريق بين كرصور والقامشلي.
أحب الأطفال الذين يدخنون مثل الكبار في قدوربك وينفخون دخان سجائرهم في وجوه بعضهم ثم يسعلون بسعادة ويسحبون سكاكينهم عالياً دون أن يجرحوا الهواء.
تعلّمتُ الشعر من الحياة، من السير خلف أبي في هضاب قوجي، من الركض خلف أسراب الزرازير التي تقترب من الأرض ثم تحلق عالياً بين حقول القمح.
من البيوت الطينية والنوافذ الخشبية الكبيرة في كرصور، من الركاب الذين كانوا ينتظرون حسينو وسيارته (شيفروليه 1957) في القامشلي قرب بقالية عزتو. من الغبار الذي يتركه القطيع خلفه في براري بيرا بازن.
كتبت القصيدة الأولى على الجدران الطينية في كرصور تحت شمس أيلول. وتركتها هناك كي لا يقول لي أحد:
— لم تترك شيئاً خلفك لأهلك وذهبت بعيداً.

بازٌ ملكيٌّ (رسمة أنفوغرافية، ملكٌ مُشاع من النت)

6. كتب

حين سافرت إلى هولندا، تركت ورائي مكتبة صغيرة: مجموعات شعرية وترجمات من الشعر العالمي، استولى عليها جارنا بائع اللوز، كان يقطع صفحة من الكتاب ويضع اللوز الأخضر فوقها ويرش عليها الملح ويقدمها للعشاق الصغار في قدوربك.
شعر ولوز أخضر وآهات العشاق.
تركت كل ذلك خلفي ومضيت.

7. الغيوم

الغيوم تترك أولادها بين حقولنا في كرصور، وتمضي نحو الشمال لأنها تعرف جيداً أننا نحب الضيوف ونترك خناجرنا تحت وسائدهم.

* آسن/سوريا

سيرة المكان

زياد كاج حارس ذاكرة رأس بيروت

تهاني نصار

البشر مسكونون بالأماكن، سواء أحبوها أم هجروها بحثاً عن غيرها، فالجسد موجود بارتباطه بالمكان المادي قبل أيّ شيء. لكن ما الذي يجعل من مكان معيّن ذا أهمية أو معنى؟ في كتابه «ممارسة الحياة اليومية» (1980)، يشرح عالِم الأنثروبولوجيا والمؤرخ الفرنسي ميشال دو سيرتو عن أهمية تحليل ممارسات الأناس العاديين وأولئك المُهمَّشين، فالتنقل، والمشي، والتحدث، والسكن، والطبخ، وغيرها من ممارسات الحياة اليومية وسلوك الأفراد لها دلالات ثقافية وسياسية هامة. يميّز دو سيرتو بين المكان (Place) كموقع جغرافي جامد من فعل السلطة (سواء أكانت حكومة أم أي نوع آخر من الإدارة) والفضاء المكاني (Space) المرتبط بالحركة والفعل الذي عرّفه بـ «المكان المُمارَس/ المكان العملي» (التعبير الذي اشتهر فيه في الأوساط الأكاديمية). إذاً، يحوّل السكّان المكان إلى مساحة خاصة بهم، تعكس ثقافتهم ورؤيتهم للحيز المكاني الذي يعيشون فيه. تُعد ممارساتهم وتصرفاتهم بمثابة تكتيكات يقاومون من خلالها استراتيجية القوة المهيمنة ويستغلون الأحداث بتحويلها إلى فرص. لكنّ المكان أيضاً بحسب أستاذ الأدب الألماني والأدب المقارن في «جامعة كولومبيا» أندرياس هُويْسن هو «طـرْسٌ»؛ أي صحيفة أو مخطوطة طُمست كتابتها، فتُستعمل لكتابة نص جديد عليها. ما يميّز الطرس أنّ النص القديم مُحي لكنه لم يختفِ بالكامل، فهناك آثارٌ تبقى راسخة حتى عند إضافة طبقة جديدة، ما يعني أنّ المكان بحسب هويسن ليس لديه تاريخ واحد بل طبقات عدة، يحاول التاريخ الجديد طمس ما سبقه، لكنّ بعض آثار الماضي تعاند التغيير وتبقى شاهدة على ماضٍ كان حاضراً في السابق.

في «بناية تي. في. تاكسي، الصنوبرة، رأس بيروت» (دار نلسن ـ 2023)، يحاول الروائي اللبناني زياد كاج حفظ ذاكرة شارع الصنوبرة ومنطقة الحمراء، رأس بيروت، من خلال التركيز على تاريخ «بناية الزاهد» وسكانها المتنوّعين في انتماءاتهم الإثنية والطبقية والحزبية. بين دفتي الكتاب الممتد على 221 صفحة من القطع المتوسط، يعرض الكاتب 25 مقطعاً (يمكن اعتبارها فصولاً قصيرة مرقّمة لا عناوين لها) تختزل سيرة هذا الفضاء المكاني عبر حوالي خمسين عاماً من تاريخ لبنان السياسي والأمني. نتعرّف إلى بيروت وتبدّلات معالمها وسكانها وأحوالها عبر لسان الراوي، ابن ناطور البناية («أبو رياض»؛ المثقف الذي يقرأ جريدة «النهار» الذي استطاع كسب فرصة العمل ناطوراً في البناية بعد الاستقلال، بسبب حادثة سرقة أخيه لبارودة جندي فرنسي من ثكنة فردان.

ينقسم الكتاب في سيرة المكان الذي يرويه إلى ثلاث مراحل زمنية عاشها لبنان، يمكن مواكبتها من خلال تبدّل اسم العمارة ذات السبعة طوابق، من بناية «الزاهد» إلى «تي. في. تاكسي» (و«الـدبّـاغ»)، قبل أن تصبح اليوم معروفة باسم «بناية الزيتونة». هذه البناية (والمنطقة التي توجد فيها) هي طرسٌ بحسب هُويسن، مخطوطة دوّنت عليها طبقات من التاريخ والتغييرات التي تطمس حالها السابق، لكنّ معالمها وذكرياتها لا يمكن محوها بالكامل وإن تبدّلت بنسبةٍ مرتفعة. في الستينيات وصولاً إلى ما قبل الحرب الأهلية، امتدت «بناية الزاهد» على شكل زاوية إلى جوار بنايتَي «الصنوبرة» و«نيو صنوبرة»، في الشارع الذي اكتسب اسمه من شجرة صنوبر كبيرة معمِّرة في مكانها. احتوت العمارة بحسب الراوي، ساكنين من جنسيات وإثنيات وخلفيات دينية وطبقية مختلفة، فكان من بينهم الخياط أبو سامي من مغدوشة، والخواجة جان مايك من جماعة شهود يهوه، والنجار سليم، و«الجوهرجي» الأرمني وعائلته، وآل حداد وخادمتهم اليوغسلافية، وآل بورسالي الذين صادرت الدولة في مصر أراضيهم في الصعيد، ومدام طعمة العراقية المثقفة، ومدام سعادة التي انتحرت ابنتها. ومن الجيران في الحي آل غالي وعيتاني وصيداني وبعض الأشخاص المعروفين مثل المطرب والملحن السعودي طلال المداح. يسرد كاج تفاصيل تلك الفترة من وسائل التدفئة («الشوفاج») إلى ستنرال تحويل الاتصالات من غرفة الناطور إلى الشقق، والسيارات الأميركية الضخمة المركونة في الشارع، إلى معالم المنطقة بقوله: «كنّت أتكئ على الحافة وأنظر بوعي صبي يحاول فك أسرار المشهد المتنوع: علم الموحّدين الدروز بألوانه الخمسة يرفرف على مبنى دار الطائفة الضخم والأبيض اللون، مدرسة الطليان بملاعبها الكبيرة ومبناها العريق اختفت خلف الأبنية العالية المقابلة. إلى الشمال قليلاً، يظهر جزء من أوتيل البريستول العريق، ثم بناية البريستول، وقربها محطة الدمياطي للوقود».

يوضح زياد كاج أنّ حال الزاهد والصنوبرة وبيروت تبدّل في العاشر من نيسان (أبريل) عام 1973، حين قام العدو الإسرائيلي بعملية إنزال على شاطئ الرملة البيضاء واغتال القادة الفلسطينيين الثلاثة: كمال ناصر، كمال عدوان، وأبو يوسف النجار. في مطلع الحرب الأهلية، شهدت المنطقة «أوتيل هوليداي-إن» يحترق، وبعدها بفترة قصيرة، تحول ملعب مدرسة الطليان إلى بركة دماء إثر قصف العاصمة وحصارها. عانت الصنوبرة مثل معاناة المدينة من جوع وانقطاع في المياه والكهرباء، وافتُتح في الشارع مكتب عسكري لـ«حركة فتح» وآخر للخدمات الاجتماعية من قبل الحزب السوري القومي الاجتماعي. ومع دخول قوات الردع العربية، بيعت البناية لثري سوري يُدعى أكرم الدبّاغ الذي اقتطع من مساحة المدخل لبناء محالّ للاستثمار، كان من بينها مكتب «تي. في. تاكسي» للسفريات ونقل الركاب إلى سوريا والأردن. قَدِم سكان جدد إلى البناية «من الطبقة الوسطى من أساتذة جامعيين ومتعلّمين ومثقفين، من بينهم: الروائي رشيد الضعيف، والباحث شوقي الدويهي، والكاتب المسرحي أسامة العارف، والمهندس بهيج حاوي (شقيق جورج حاوي) والرسام هاني صالح الذي قتل على الهوية وهو يعبر من «الشرقية» إلى «الغربية».

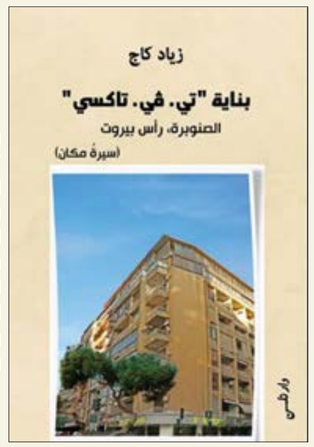

يركز على تاريخ «بناية الزاهد» وسكانها المتنوّعين في انتماءاتهم الإثنية والطبقية والحزبية

بعد ثلاث سنوات من تنفيذ عملية اغتيال «الأمير الأحمر» أبو حسن سلامة في عام 1979، أصيبت البناية بشظية كبيرة إثر اجتياح العدو الإسرائيلي للعاصمة ومحاصرتها وضربها، فغادرها سكانها. وفي عام 1984، «اغتيل المربي ميشال واكد والفيلسوف حسين مروة والدكتور مهدي عامل. فشهدت بناية «تي. في. تاكسي» هجرة عائلات ورموز يسارية خوفاً من بطش الميليشيات الطائفية الصاعدة». لكنّ المرحلة الزمنية الثالثة التي شهدت التبدّل الأبرز في حال الصنوبرة والعاصمة كانت في تسعينيات القرن الماضي مع قدوم رفيق الحريري وسكنه في القريطم، حينها «تحولت المنطقة إلى منطقة أمنية». يعلّق الكاتب على أثر تلك المرحلة بقوله إنّ «الظاهرة الحريرية» أدخلت «مفاهيم جديدة على المدينة وناسها: إثراء سريع، ميل إلى المظاهر والشكل وولع بالسيارات الفارهة والبزّات الرسمية».

يُنهي كاج في المقطع 25 والأخير من سيرة هذا المكان، بخبر بيع العمارة لأخوين من عائلة شاهين؛ فصار اسمها اليوم «بناية الزيتونة» وأزيلت عنها لافتة «تي. في. تاكسي». هجرها سكانها و«حلّ مكانَ هؤلاء سكان جدد لا لون لهم ولا طعم، بلا وجوه وبلا ماضٍ، يدفعون إيجارات خيالية»، فقانونُ الإيجارات الجديد أتى مجحفاً بحقّ المستأجرين القدامى وصبّ في مصلحة المالك. يختم الراوي حكايتَه بمقطع من قصيدة «اللعمة يامنة» للخال عبد الرحمن الأبنودي للتعبير عن حنينه إلى من رحلوا عن الصنوبرة والدنيا، واستيائه من الحاضر «دا زمن يوم ما يصدق كذاب».

في المحصّلة، هي سيرة مكان خطّها سكان منطقة الصنوبرة و«بناية الزاهد» بممارساتهم الحياتية اليومية، باختلافهم وتنوعهم وضحكاتهم ومساندتهم لبعضهم في أيام الحرب وبمقاومتهم للخوف والحصار والجوع، رواها أحد سكانها بلغة بسيطة إيفاءً لهذه البناية (والمنطقة) التي شكّلت وعيه وثقافته. يبقى سؤال يطرح نفسه عند غضبه واستيائه من تغيّر حال المنطقة، تظهر «زلات» أو بضع عبارات متفرقة تبدو غير لائقة (حتى لا نقول فيها شيئاً من العنصرية) يرميها الكاتب على من يرى أنّهم مشتركون في هذا الفعل، مثل حديثه عن عائلة وأولاد الناطور الجديد أبو علي الذي حلّ مكان والده «ينزلون الدرج ويصعدونه كأنهم في حقل في القرية»، ووصف أحد المقاتلين «يأتي على كتفه الكلاشينكوف» و«القضية»، فيدخل الفرن ثم يخرج بعد قليل حاملاً بوقاعة عدداً من الربطات، في الوقت الذي كان فيه الناس يقفون في طابور طويل للحصول على الخبز. وحين تحدّث عن جنود الحاجز السوري القريب من مركز «المرابطون»: «مرت لحظات متوترة وهم يحدقون فينا بشيء من السخرية والاستخراء»، وعن «أبو ناصر» الفلسطيني الذي قدم إلى البناية «لم تكن زوجته تأخذه على محمل الجد.. ابنه الأصغر المتهور... وقف يخبرنا عن فيلم سكس شاهده في سينما البافيّون... نظرنا إليه مصدومين صامتين وهو يتحدث بشيء من بلاهة الاكتشاف الأول». لربما قصد الكاتب من خلال كلامه أن يظهر رؤية المجتمع في تلك الفترة، لكنّ ذلك لم يكن واضحاً.

لمحات

محمد أركون

■ يعود المفكر الجزائري الراحل محمد أركون (1928 ـ 2010) من خلال صدور النسخة العربية من كتابه «التشكيل الإنساني للإسلام» (2012) عن «دار الساقي» (ترجمة هاشم صالح)، يرصد العمل بدايات رحلته الفكرية والشخصية، ويروي الباحث معركة حياته التي خاضها على جبهتين: جبهة نقد العقل الإسلامي، وجبهة نقد العقل الغربي من خلال مجموعة من المقابلات الجريئة أجراها معه رشيد بن الزين وجان لوي شليجيل. يدعو أركون لقراءة كل التجارب الدينية بانفتاح كما يؤكد على أهمية الانخراط المبكر في معرفة الأديان المختلفة بدل الانزواء في تصور ديني واحد، فهو يرى أن الجزء الكبير من مشاكل العالم الإسلامي مرهون بإعادة النظر في المناهج التعليمية الدينية وغير الدينية؛ ويدعو إلى تدريس الظاهرة الدينية بشكل مقارن عوضاً عن تعليم دين واحد بشكل عقائدي تقليدي.

أحمد الفخراني

■ يحكي الكاتب المصري أحمد الفخراني في روايته «بار ليالينا» (دار الشروق) قصة «نوح الرحيمي» الكومبارس الصامت المزهوّ بأعظم إنجازاته وهو ظهوره على أفيش أحد الأفلام المهمة. يرى نوح في نفسه الاستحقاق للخروج من دائرة الظل ولعب أدوار البطولة. أما السبيل الذي اختاره، فهو التسلل عبر الحيلة إلى «بار ليالينا» الذي تجتمع فيه شلة من المثقفين منتحلاً صفة منتج سينمائي ثري. لكن سرعان ما انكشفت الخدعة وقررت جماعة البار طرده والتخلص منه بطريقة مهينة مذلّة من باب التسلية. يعود نوح بعد عشرين عاماً للانتقام ممن سخروا منه. الرواية واقعية يمكن قراءتها على أكثر من مستوى: مستوى «الحدوتة» حيث قصة الكومبارس الذي يرغب في لعب دور البطولة، ومستوى ثان فيه الكثير من الإسقاطات وتعرية للوسط الثقافي.

نعيمة بنعبد العالي

■ الحيلة هي الموضوع الرئيس الذي تناقشه الباحثة المغربية نعيمة بنعبد العالي في كتابها «في البدء كانت الحيلة» (المتوسط). تقول المؤلفة إنّ الحيلة لم تحظَ بالاهتمام الكافي في البحث بالرغم من بُعدها الأنتروبولوجي العميق، والتصاقها بالأساطير والخرافات... فالحيلة ظاهرة بشرية تطرَّقت إليها الآداب العالمية كلّها، وبلورتها في أنواع السرد المختلفة. والأدب العربي غني بالنوادر في هذا المجال. وقد اهتمَّ بها كبار المؤلِّفين والمصنِّفين في اللغة العربية مثل الجاحظ والبيهقي والميداني وكُتُب الفقه والمناقب، والليالي، والأغاني، وشِعْر الصعاليك.

محمد صفا

■ تُشكِّل موسوعة «أسرى فلسطين ولبنان والجولان، الاعتقال الإداري جريمة حرب» (دار الفارابي) لرئيس «مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب» محمد صفا، مرافعةً حقيقية وتاريخية لمحاكمة إسرائيل على جرائمها بحق الشعب الفلسطيني والعربي. يُوثِّق صفا لجرائم إسرائيل الكثيرة بحق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب، داعياً إلى أوسع حملة تضامن معهم. تسعى هذه الموسوعة المؤلفة من أربعة عشر فصلاً بشكل أساسي لحفظ ذاكرة الأسرى والمعتقَلين في السجون الإسرائيلية وسرد حكاياتهم المؤثرة، كي تطّلع عليها الأجيال المقبلة لما لها من قيمة تاريخية وسياسية كبيرة.

فرانسوا دوس

■ صدر عن «دار الكتب خان» الجزء الأول من «سيرة المثقفين الفرنسيين على محك التاريخ» (2018) للمؤرخ الفرنسي فرانسوا دوس وقد نقله إلى العربية أستاذ الفلسفة المصري أنور مغيث. يقع الكتاب في جزءين، الأول يمتد من عام 1944 إلى عام 1968 والثاني من عام 1968 إلى عام 1989. يُقدم الكتاب عرضاً بانورامياً منهجياً للمغامرة التاريخية والإبداعية للمثقفين الفرنسيين، من التحرير إلى الذكرى المئوية الثانية للثورة الفرنسية وسقوط جدار برلين. يغطي المجلد الأول، سنوات جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار وخلافاتهما، والعلاقات المتناقضة مع الشيوعية، وصدمة 1956، والحرب الجزائرية، وبدايات العالم الثالث، واندلاع اللحظة الديغولية ونزاعها وتأثير الشيوعية وخيبة الأمل التدريجية التي تلت تلك التجربة.

يوميات

فوزي يمين... شاعريّة كرة القدم

بول مخلوف

في كتابه «استراحة بين شوطين- عن كرة القدم أثناء الحرب اللبنانية 1975-1990» (المتوسط)، يلتقي فوزي يمّين مع الآخر له، يصافحه، ومن ثم يبدل معه اليد، فيكتب فيها ما سبق أن كتبه في محاولات متقطعة، خافتة، تُوّجت على الرغم من ذلك، بطابعها السريالي في القسم الثاني (السردي) من ديوانه «كلاب العزلة» (2007). في عمله الجديد، تنكشف، مع يمّين، مقولة رامبو «أنا هو الآخر» حيث العبور يجيء بوساطة السرد. العبور عنده هو انتقال وليس تحوّلاً، يبدأ بالبتر مع الحاضر والدخول في منطقة بينيّة أسماها استراحة، ما يعني أنه لجم الزمن وقرّر الركود والتريث. سنجد أن استراحته ليست هدوءاً بل فسحة فائضة بنوستالجيا تجاه تجربة غابرة، لا تخلو من الأحداث والحركة، وأحاسيس تطوف وتخبو. عبوره، أيضاً، هو تبنٍّ لوجهة من دون التخلي عن أخرى، أي أن بوحه الآتي في كتاب مصنّف ضمن أدب اليوميات، ليس انحلالاً لشعريته إنما ممارستها بحرية أكثر، في نثر مطاط، متفلّت، لا تحدّه كثافة الشعر. الأخير قرّر أن يدع الشعر جانباً وأن يسرد وقائع تخص الشاعر نفسه. كأنه ارتأى أن السرد باعتباره نمطاً كتابيّاً سيّالاً جريانه يشبه جريان الكرة، يمكّنه من الإفصاح بطلاقة عن أحواله، بالتالي، يتيح له إظهار ذلك «الآخر له»، أي فوزي يمين اللاعب وليس الشاعر، فتركنا نشاهد لعبه الحر بحماسة ونقرأه كفرجة صافية غير أبهين بالمجاز بل بما يصلنا منه من أخبار وقصص.

ربما تعمّد يمين أن يُظهر الجانب الآخر الكامن فيه لنلقاه نحن، فنقرأه سارداً مسهباً وحكواتياً ممتعاً، وليس شاعراً ساخطاً كرّس قصيدته لموضوعات تخص العابر، والمعطل، والمنكسر. ثمة انعطافة تخص غرض الكتابة مرافقة للأسلوب في تجربة يمين السردية. هناك ترميم للذاكرة بدل الاشتغال على ما هو تالف، وهناك بناء مدفوع بغاية وقصد بدل المجانية التي قامت عليها قصيدته. سرد يمين في عمله هذا جائع. السارد يريد أن يكتب عن كل شيء أو فليكن صمتاً. كأنّ اليد التي يكتب بها تمارس سلطتها عليه، تقوده، تجرّه، تحوّل النص إلى ما يشبه الثقب الأسود بحيث يصير الإفلات من الكتابة ومقاومة انجرافها أمراً غير ممكن. يبدو السارد مثل حبيب بقي وفياً لحبّه بعد مضي عمر على الفراق، متعلّقاً بتجربة مضت، عاجزاً عن الانفكاك منها. وعندما يتكلم . وفي حالة يمين عندما كتب . يبدو شاعرياً للغاية. غير أن شاعريته في نهاية المطاف، هي ملاذه الآخر، لأن الكتابة عن التجربة تعني القطيعة معها. والحال، أن القطيعة عند يمّين لا تعني انطواء التجربة في طيّ النسيان أو تعمّد محوها، إنما هي تدوين ومعاودة قولها، ليكون المراد من القطيعة خلق حالة انصهار ومواءمة بينه وبين ذلك الآخر له ينجزه فعل الكتابة.

على أن لقاء يمين أو التقاءه مع الآخر له، لا يتوقف عند الحدّ الأسلوبي إنما يطاول الموضوع. بل إن موضوع كتابه هو شغله الشاغل. العنوان «استراحة بين شوطين» يحيلنا إلى فهم تموقع يمين وشيء من مزاجه. بما أن الزمن يجري، نعلم أنّ الشوط الثاني جاء شعراً، أو هو كذلك. هو بطاقة تعريف صاحبه: فوزي يمين الشاعر. أما الشوط الأول، فلم نكن نعلم بوجوده، ولم يكن في حسباننا أصلاً لو لم يقسم الأخير زمانه. وفيما الاستراحة بين شوطين تعني دخول غرفة تغيير الملابس فتغيير الخطّط أو التعديل عليها، فهي تعني مع يمين الدخول إلى حيّز شخصي خاص، فاستبطان أحواله وتقفّصها. المستريح متربث من هموم الشعر وتجتاحه رغبة بالدردشة والإخبار. على هذا النحو، يركض كاتب «القمر فوتبول... شوط» (المستلقي على طابقه السفلي) نحو الإفصاح الذاتي حيال أوقاته في شوطه الأول، فيسرد لنا تجربته كلاعب كرة قدم نشأ في ظروف سنوات الحرب الأهلية اللبنانية، لنستقي من هذا السرد بعضاً من الذي صنعه شاعراً والكثير من متعة القراءة. بيد أن العنوان جاء مذيّلاً بإيضاح ليس في مكانه «عن كرة القدم في سنوات الحرب الأهلية 1975-1990» حتى يكاد يخطر في بال أحدنا أنّ الكتاب عبارة عن دراسة سوسيولوجية تخص كرة القدم وليس سرداً غزيراً عن أحوال لاعب كرة قدم في تلك السنوات.

«استراحة بين شوطين» سبر لأغوار الذاكرة وتطويع الكتابة كأنها خارجة من رحم كرة القدم. يعود فوزي يمين 40 عاماً إلى الوراء، إلى أيام مقاعد الدراسة وأحوال الملاعب وحواجز أهل الحرب وعزابيها، ليحكي لنا بانسيابية الشغوف بحكايته، أخباره وأخبار كرة القدم، اللعبة التي بفرط حماسته للكتابة عنها لم ينتظرنا لنستنتج أنها كانت حياته، بل صرّح عنها منذ البدء في الصفحة الأولى المخصّصة لإهدائه (لابنه جاد). وطاة هذه اللعبة ثقيلة على كاتبها. كرة القدم، ولغتها، تنتصران على يمّين. يعلم الأخير أنها لعبة شعبية، ممارسة يعتنقها الكل، وشأنها هذا سينسحب على كتابته، أي أعلى لغته، فنراه متخفّفاً من استعماله لأدواته المجازية، واضحاً كخط التسلسل، مسترسلاً لكن بانضباط، بأسلوب يتماهى إلى حد الامّحاء مع طريقة لعبه: سيطرة على الإيقاع: «أعتقد الآن أنّ الكرة تشبهني أكثر من الشجرة. الكرة تأخذ وتعطي. أطلبها فأجدها. تصغي لي وأفهم لغتها. أفكر كيف عليّ أن أمررها لتتسبب بتسجيل هدف. وأسدّدها، فتدخل في المرمى». جمل قصيرة كتمريرات لاعبي خط الوسط وجمالية فنية تنسلّ من المناخ الواقعي المسرود، تتيح للقارئ اكتشاف المنابع الشعرية التي كوّنت يمين ومصادر أدبيته. فإذا كانت الغاية من السرد هي الفضح وإماطة اللثام عن المطموس، فالفاضح ساعد على تأكيد الشبهة. يعطينا يمين الخيط «اللعب والكتابة، والاثنان بحاجة إلى موهبة أولاً» نمسكه، نتحسسه، فنجد بلمسه هيئة الشاعر الخارج عن القصيدة. يغدو الملعب عند يمين فضاءً حقيقياً يُمارَس فيه الشعر، ويدنو من أن يكون مكمن انبثاق القصيدة أو صفّارة انطلاقتها. فالسرد هنا يفضح صلة القربى بين الشاعر وشعره، ويزودنا بدليل قاطع أن اللاعب في متن ملعبه لا يختلف عن الشاعر أمام قصاصة ورقه. اللاعب هو نفسه الشاعر والعكس تماماً. في أحد المقاطع، يقارن يمّين بين الكتابة وكرة القدم «وتكون التسديدة عادة منخفضة غير عالية تماماً مثل كتاباتي. كتاباتي إفصاح خفيض. أرهق الكرة وأنا أركلها. أرهق الصفحة وأنا أكتبها». يأخذ يمّين على عاتقه التعريف بالكتابة، أو الكتابة عن الكتابة، ويبرزها على أنها تماه مطلق مع طريقة لعبته، بيد أن ما أفصحت عنه ذاكرته، يكشف لنا المخبوء، وهو الفصل الثاني من القصة، أي الشاعرية التي امتازَ بها كلاعب. فالأحداث المسرودة بلقطات مشهدية (من حيث أنا جالس أمام المقهى المقابل للمكتبة أرى الانفجار قبل سماع صوته بثوان معدودة. النار تهبّ والسيارات تعلو)، والحساسية المفرطة تجاه مفارقات نافرة اجتذبته (نتعاطف دون أن نقرر مع اللاعب الفردي الذي يخرق اللعبة، يزلزل نظامها وقوانينها وحساباتها على مرأى الجميع. نتعاطف معه لأنه يلبي رغباتنا وأمنياتنا بخرق النظام، النظام الذي لا نستطيع نحن خرقه في بلداننا الفقيرة المقموعة) عناصر مكمّلة لما يشترطه الشاعر. فما يُشكل جوهر الشعر هو ما يثير العين والغرابة التي تعتمل داخل الشاعر الذي يمتهن اللعب داخل أسوار الدهشة التي تأسره. لا تكتمل استراحة فوزي يمين من دون إنهاء شوطه الأول. كأنّ وداع كرة القدم لا يصير سوى بالكتابة عنها، وتاريخ مرحلته معها. وها قد انتهى الوقت الفاصل، بات بإمكاننا، على الأرجح، قراءة الشوط الثاني بعيون أكثر تفحّصاً.

تطويع الكتابة كأنّها خارجة من رحم كرة القدم

تكنولوجيا

غسّان مراد دليلك إلى (فهم) العالم الرقميّ

سارة حمادي

يدور كتاب «مرايا التحوّلات الرقميّة والتمثّلات الذهنيّة للذكاء الاصطناعيّ» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر) في فلك التحوّل الرقمي ويحاول معالجة بعض المواضيع من زوايا مختلفة تعكس رؤى مستقبلية للمجتمع من خلال ظهور الذكاء الاصطناعي؛ أي النظام الجديد الذي يقلب رأساً على عقب.

يرى مؤلف الكتاب غسان مراد أنّ الثورة الرقمية أثّرت تدريجاً في جميع ميادين الحياة، ولامست معظم أبعاد العلوم والقطاعات المختلفة، وغيّرت أساليب الباحثين في جمع البيانات ومعالجتها ونشرها. كما يقدّم لنا خيوطاً جادة لاستيعاب المفاهيم الرئيسية التي تتعلق بالتحولات الرقمية والذكاء الاصطناعي من خلال طرح الموضوع خطوة بخطوة انطلاقاً من شرح آليات عمل الدماغ وصولاً إلى أكثر المواضيع جدلاً (اللغة العربية في عصر التقنية وتداخل الحضارات، الإعلام الرقمي، الخ). يعطينا غسان مراد مفاتيح لفهم تحديات عالم الغد بشكل أفضل، فالتحوّلات تطرق أبواب معظم القطاعات، ما يدفعنا إلى البحث عن برادیغمات جديدة لفهم التطور الحاصل. كما خُلقت مفاهيم جديدة ومتعددة تغلغلت في المجالات كافة وهي تسهم في فهم المتغيرات الناجمة عن الرقمنة في المجتمع الحديث؛ فالمفاهيم الشائعة التي تتعلق بالمنهجيات العلمية تتبدل مع دخول الرقمنة إلى الإنسانيات. والتغيير ليس عملية فهم المتغير فقط، لكن أيضاً فهم الأداة التي أدّت إلى ذلك.

يشرح لنا مؤلف الكتاب كيف أن التخلّص من الأمّيّة المعلوماتيّة بات أمراً ملحّاً في العالم الحالي المتسارع؛ فكل شيء بات قابلاً للتحوّل الذي يؤسس للحضارة الإنسانية الرقمية: تنظيم العمل وإدارته، وطريقة الاستهلاك، والقيم الاجتماعية والثقافية، والمناهج التعليمية، وأيضاً طريقة استهلاكنا للوقت... كل هذه التحولات أصبحت في صميم مجتمعنا الحديث، إذ يتغير العالم بسرعة فائقة، ومع ذلك فإننا نعيش من يوم إلى آخر من دون أن ننتبه إلى ذلك. يطرح الباحث رؤى نقدية تجاه الثورة الرقمية، إذ يصف بموضوعية الخطر الذي يكمن في التحرك نحو «ثقافة أحادية» رقمية.

يحاول مؤلف هذا الكتاب تخفيف حدة التخيلات التي تدور حول الذكاء الاصطناعي والتحديات التي تنتظرنا من خلال زيادة الوعي العام بالمشاكل القادمة من جهة (قوة الخوارزميات، الاستيلاء على الإنسان من قبل الآلات، سباق المجتمعات إلى محاكاة التغيير معرفياً وأداتياً وإلى تأمين بنية تحتية رقمية، استعباد الإنسان والتلاعب بالأفراد، الأخبار المفبركة، وما إلى ذلك) وكذلك من خلال تلطيف هذه الرؤى المستقبلية المتشائمة والتنبؤ بمستقبل أكثر إشراقاً من جهة أخرى (مستقبل العلوم الإنسانية، اللسانيّات الحاسوبيّة والترجمة الآلية، خوارزميّات الذكاء الاصطناعي في خوْسبة اللّغة العربيّة...). يسلّح القارئ برؤية واسعة إلى حد ما لماهية الذكاء الاصطناعيّ، ولا سيما المشاركة في مجتمعاتنا البشرية، إذ يصبح التحول الرقمي حقيقياً وعفوياً عندما يكون المجتمع بأفراده قابلاً للتعامل مع الرقمنة بوصفها حقيقة تستدعي الركون إلى قواعدها. والأشخاص الذين يعرفون كيفية الاستعداد والإفادة من هذه التطورات سيخرجون الفائزين على عكس المترددين الذين يتارجحون بين القبول والرفض من دون اتخاذ القرار المناسب، وهو فهم تحديات هذه التغييرات وتعلم كيفية الاستعداد لهذا التحول الكبير. وما يمنعنا من الاستسلام الأعمى لكل ما هو رقمي ولكل الشكوك المقلقة التي تولّدت عن قوة أجهزة الكمبيوتر هو «الوعي»/ الإدراك.

هذا الكتاب هو دليل حقيقي، يساعد في بناء ركيزة فكرية صلبة قادرة على فهم ما يحصل وما سيحصل، من خلال إبراز صورة واضحة وعميقة لماهية الثورة الرقمية وما أحدثته من تغييرات في المجتمع، واتخاذ موقف بشأن وسائل التواصل التي نتجت منها، من خلال عرض بعض ما يمكن أن يشكل تهديداً مباشراً وغير مباشر للأفراد من جراء التغيرات الناتجة من الرقمنة، والشعور الجديد الذي تثيره في البشر.

هذا الكتاب المرجعيّ المُتشعّب يبيّن أن التحول الرقمي هو عبارة عن تمثل للمعرفة مقروناً بفعل وممارسة. بناءً على ذلك، يتم تحديد المفاهيم الأساسية انطلاقاً من الدماغ والفكر، وصولاً إلى دور اللغة الأم الذي تؤديه في مواكبة هذا التطور. إننا نعيش في عالم متغيّر ومتزايد التعقيد، كما أن تحديات الغد الأساسية تؤتي أكلها؛ فالذكاء الاصطناعي في طور تنظيم تغيير عميق في أنماط الحياة.

إذاً، يعرض هذا الكتاب معايير ومفاتيح لفهم عالم الغد وبنائه، وتتمثل أهدافه الرئيسية في طرح رؤية تصف ما يتغير في تجربتنا في العالم، ولا يرتبط التحول الرقميّ بالضرورة بالتكنولوجيا الرقمية، بل يرتبط بحقيقة أن التكنولوجيا الرقمية تمكّن الناس من حل مشكلاتهم التقليدية باستخدام الحلول الرقمية، فلا يمكن إيجاد حلول لتساؤلات جديدة من خلال مفاهيم قديمة.

يسلط المؤلف أيضاً الضوء على القضايا الأكاديمية، ويعرض أهميّة إدخال المعلوماتيّة إلى كليّات الآداب والعلوم الإنسانيّة، فلكي تواكب اللغةُ العصرَ، يرى الكاتب أنه من المهم تدريس العلوم والمعلوماتيّة باللّغة العربيّة وتدريس المعلوماتيّة كعِلم في العلوم الإنسانيّة وكذلك إدخالها في مناهج التعليم الأساسيّ.

وأخيراً، يتوجه هذا الكتاب إلى القراء بكلّ مستوياتهم من خلال استخدام لغة سلسة المفردات، رشيقة التراكيب، قريبة الفهم بعيدة عن التقعّر والتصنّع في إطار أسلوب بسيط ومباشر ومتماسك وواضح الأفكار والأهداف؛ فالغاية الأساسية تكمن في جذب القارئ إلى عالم من الفائدة ومنحه تأثيراً من غير تكلف أو تعقيد من أجل ملامسة كلّ من ذائقته ومستواه.

يطرح الباحث رؤى نقدية تجاه الثورة الرقمية

أوراق

لغز اسم حرف الهاء في الأبجديات القديمة

زكريا محمد *

يُسمّى حرف الهاء في العبرية he، وفي اليونانية e، وفي العربية هاء، وفي الحبشية hoy. ويرى كثيرون- وانطلاقاً من فرضية غاردنر القائلة بأن الهيروغليفية المصرية هي أصل الأبجدية- أن الأصل التصويري لحرف الهاء هو العلامة الهيروغليفية المصرية A28 التي تمثل رجلاً مرفوع اليدين إلى الأعلى.

والاعتقاد السائد أنّ هذه الصورة في الأبجدية السامية الأولى، كانت تشير إلى صوت حزن أو فرح أو مناداة أو تهليل. يقول منير بعلبكي حول هذا، مردّداً الأفكار السائدة حوله في الحقل: «he (في اليونانية e): لهذا الحرف نشأة ينفرد بها عمّا عداه من الحروف. ونرى أنه مكوّن من مقطع واحد مفتوح، أي أنه مكون من صامت يتلوه صائت، ولا يضارعه في هذا إلا الحرف pe... أما ما يميّزه عن أسماء الحروف الأخرى (ومنها pe) فكونه ليس اسم شيء من الأشياء [كما هو الأمر مع pe]، بل اسم شيء يحدثه الإنسان في حزن أو فرح أو ابتهال. ويفضي إلى ذلك شكل هذا الحرف في النقوش السينائية، فهو صورة رجل رافع يديه، ثم حذف منها بعض التفاصيل فأضحت. فالواضع [واضع صورة الحرف] يريد الإيحاء بفكرة الصوت الذي يحدثه الإنسان في ابتهال أو حزن، إلخ» (منير بعلبكي، الكتابة السامية والعربية، ص 236).

وتبعاً لذلك، فقد افتُرض أن اسم الحرف في الحبشية (هوي) يمثّل نوعاً من النداء التنبيهي مثل «هِي، هيي»: «اسم الحرف الحبشي مأخوذ من hay» (هاملتون، الأصل الهيروغليفي للأبجدية، ص 285).

وما دمنا نملك اسماً للحرف في الحبشية، فيجب أن يكون هذا الاسم المدخل لفهم أصله التصويري، لأن الأسماء الأخرى تنقل لنا الصوت فقط. بالتالي، يجب فهم هذا الاسم قبل أن نطلق أحكاماً جازمة حول اسم الحرف. صحيح أن كلمة «هُوي» لا تعني شيئاً في الحبشية، لكن هذا لا يمنع افتراض أنها كلمة مستوردة من لغة أخرى، وأن لها معنى في تلك اللغة.

والحق أن هذا التقييم لأصل الحرف يتجاهل عدة أمور:

الأول: إنه تبعاً للمبدأ الأكروفوني، فإن الأصل التصويري لحرف من الحروف يجب أن يكون شيئاً ملموساً يبدأ اسمه بالصوت المقصود. وبناءً على التقييم أعلاه، فليس لدينا شيء ملموس انبثقت منه صورة الحرف. لدينا فقط الصوت (هي، هيي) كأصل للحرف. وهو ما أشار إليه بعلبكي: «أما ما يميزه عن أسماء الحروف الأخرى ... فكونه ليس اسم شيء من الأشياء»، أي أنه ليس اسماً لشيء ملموس. فهو مجرد صوت لا غير. وهذا خرق واضح للمبدأ الأكروفوني.

الثاني: أن اسم الحرف في الحبشية يبدو اسماً وليس مجرد صوت: هوي hoy. وليس هناك ما يدعم الافتراض أن هذا الاسم منبثق من المناداة بـ هيي hay وليس هناك ما يبرهن عليه.

الثالث: أنّ الاستناد إلى العلامة المصرية للقول إن الحرف يمثل رجلاً يرفع يديه أمر ليس دقيقاً، بل ومضلل في ما يبدو لي. صحيح أنّ هناك نماذج عديدة لهذا الحرف في النقوش السينائية تظهره كما لو أنه رجل يرفع يديه مبتهلاً أو مهلّلاً، أو ما إلى ذلك، كما تظهر الصورة أدناه.

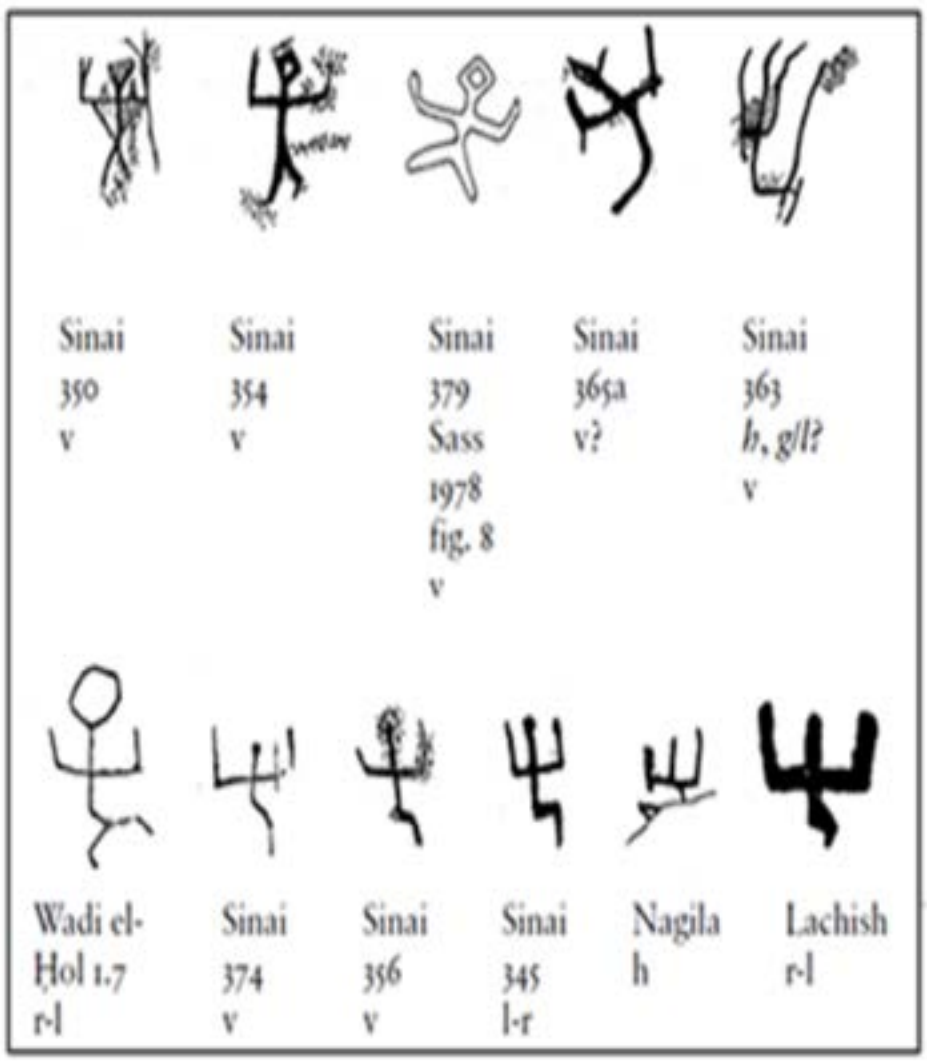

صور الحرف في النقوش السينائية من هاملتون

لكن هناك نماذج لا تتوافق مع هذا. ونموذج نقش وادي الهول المزدوج على الأخص لا يؤيد فكرة الرجل الرافع اليدين. وهذا أمر مهم جداً. فهذا النقش يُعتبر أقدم النقوش الأبجدية بين أيدينا. فهو يعود إلى القرن التاسع عشر أو العشرين قبل الميلاد.

نقش وادي الهول المزدوج

فقد ورد حرف الهاء ثلاث مرات في نقش وادي الهول المزدوج. ومن المرات الثلاث، هناك مرة واحدة فقط تظهر فيها صورة الحرف كرجل يرفع يديه إلى الأعلى. أما الاثنتان الأخريان فتعطياننا صورة رجل بيد مرفوعة وأخرى مخفوضة، كما يظهر الرسم أدناه.

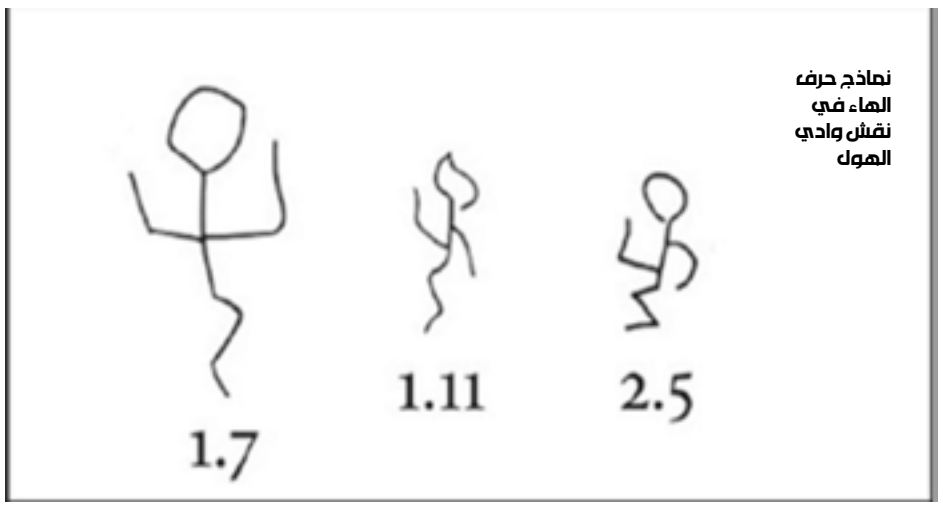

نماذج حرف الهاء في نقش وادي الهول

وهذا أمر حاسم جداً في رأيي. وفي ظني فإن صورة الحرف التي ترفع يداً وتخفض يداً هي الأقدم. ووجودها في هذا النقش بنسبة 2-1 دليل على ذلك. وإذا ما تأمل المرء الصور التي ترفع يداً وتخفض أخرى (الصورتان اليمنى والوسطى) فإنه سيتوصل سريعاً إلى أنّها تصور حركة مشي سريع، أو قل حركة هرولة، تندفع فيها يد إلى الأمام ويد إلى الخلف، لا حركة ابتهال أو تهليل أو مناداة.

وحين نصل إلى هذا الاستخلاص، فإنه يذكرنا فوراً بأنّ المشي السريع، أو الهرولة، يُسمّى في العربية الهُويّ: «هوى يهوي هُوِياً إذا أسرع في السير. وفي حديث البراق: ثم انطلق يهوي أي يسرع... والمهاواة: شدة السير. وهاوى: سار سيراً شديداً، قال ذو الرمة: فلم تستطع مي مهاواتنا السرى/ ولا ليل عيس في البرين خواضع» (لسان العرب). وهذا يتواءم بقوة مع اسم حرف الهاء في الحبشية: هوي hoy. وهو ما يدعم فكرة أن اسم الحرف بالحبشية ليس مجرد صوت النداء والتنبيه (هيي).

وما دام أن كلمة «هوي» ليس لها معنى في الحبشية، فإنه من السهل افتراض أنها مستوردة من إحدى لغات الجزيرة العربية، وأنها تعني ما تعني كلمة «هُويّ» في العربية، أي السير السريع أو الهرولة. بالتالي، ربما كان علينا أن نشكل الكلمة كما هي في العربية «هُوِي».

وإذا صح هذا، نكون في الواقع قد توصلنا إلى الأصل التصويري لحرف الهاء: إنه الهُوي، أي الركض بسرعة، أو الهرولة. لذا فصورة الحرف الأكروفونية تمثل في الأصل رجلاً يهوي، أي يركض الهوي.

ويمكن الافتراض كذلك أنه جرى لاحقاً التخلي عن الاسم (هوي) في الأبجدية التي نقلت كل من العبرية واليونانية عنها لأنه ومع الزمن بدت كلمة «هوي» صعبة وبلا معنى، كما جرى استبدالها بصوت الهاء فقط. وهو ما أدى إلى انطماس الأصل التصويري لهذا الحرف. لكن لحسن حظنا فقد احتفظت لنا الحبشية بالاسم الأصلي الذي يعكس بقوة الأصل التصويري للحرف. وهو ما يوجب علينا الاهتمام بالأسماء المختلفة الشاذة للحروف وعدم إهمال أيّ منها.

في كل حال، فإن احتمال وجود أسماء للحروف قادمة من الجزيرة العربية، سيرغمنا على التفكير بشكل مختلف في أصل الأبجدية وأسماء حروفها.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 6 Fevrier 2023 n°53
السبت 4 شباط 2023 العدد 53

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

عبء التوقيف الاحتياطي

[2-5]

(ميشا العوسوي)

«تحرير» الموقوفين الأميركيين تعسّفاً
2

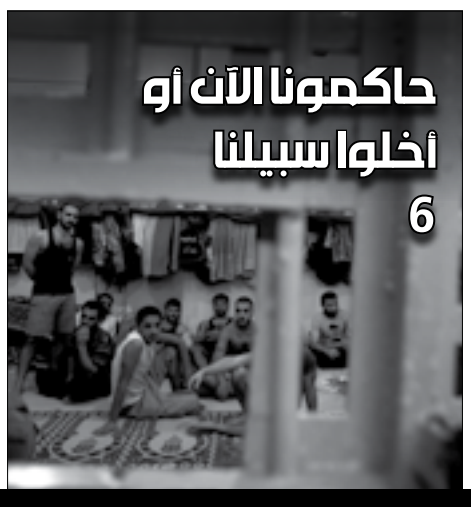

حاكمونا الآن أو أخلوا سبيلنا
6

محامي خلع أم محامي صلح؟
7

35 شهيداً فلسطينياً
ك2 2023: الأكثر دموية منذ 2015
إنفوغراف

سين جيم

بدا الموقوفون احتياطياً في السجون تحركات احتجاجية للمطالبة بإخلاء سبيلهم بعد إخلاء سبيل الموقوفين في قضية تفجير مرفأ بيروت. قد يظن بعض القضاة ان إخلاء السبيل امر خطير. في حين ان استمرار التوقيف الاحتياطي هو الامر الذي يقتضي تلافيه. فالاصل هو الحرية. فيما التوقيف هو الاستثناء. كما سبق ان بيّنت «القوس» في مقال بعنوان «التوقيف الاحتياطي المستدام خلافاً للقانون» (راجع «القوس». عدد 1 تشرين الاول 2022). «الحلّ» لمن يطالب بعدم إطلاق سراح «الجناة» هو بتسريع محاكمتهم وتوقيع العقوبات المناسبة عليهم. لا سيّما ان قانون اصول المحاكمات الجزائية ينصّ على الاستعاضة عن توقيف المدعى عليه بوضعه تحت المراقبة القضائية. وبإلزامه بموجب او اكثر من الموجبات التي يعتبرها ضرورية لإنفاذ المراقبة. كما لا بد من تعديل المادة رقم 108. قانون اصول المحاكمات الجزائية. للحاجة الملحّة الى وضع حد اقصى للتوقيف الاحتياطي في كل الجرائم من دون استغلال الاستثناء ان

صادق علوية

في ظل تأخّر وتعطّل الإجراءات القضائية

قانونية إخلاء سبيل جميع الموقوفين

■ متى يقتضي إخلاء سبيل الموقوفين احتياطياً؟

عملاً بقانون أصول المحاكمات الجزائية، لا سيّما المادة 108 منه، يقتضي إخلاء سبيل الموقوف احتياطياً والمتهم بجريمة عقوبتها الجنحة بعد شهرين من توقيف المتهم، أو بعد تمديد المدة لأربعة أشهر كحد أقصى فقط في حالة «الضرورة القصوى».

كما يقتضي إخلاء سبيل الموقوف احتياطياً بجريمة عقوبتها الجناية بعد ستة أشهر من توقيف المتهم، ولا يمكن تجديد الستة أشهر سوى لمرة واحدة بقرار معلّل. وبعد انقضاء هذه المدة، على قاضي التحقيق أن يقرر إخلاء سبيله أو تركه.

■ ما هي الاستثناءات على المدة القصوى للتوقيف الاحتياطي؟

في الجنحة: المحكوم عليه سابقاً بعقوبة مدتها سنة على الأقل.

أما في الجنايات: يُستثنى الموقوف المحكوم عليه سابقاً بعقوبة جنائية وجنايات القتل والمخدرات والاعتداء على أمن الدولة والجنايات ذات الخطر الشامل وجرائم الإرهاب.

■ هل للقرار الصادر بمنع السفر مدة قصوى؟

يمكن لقاضي التحقيق أن يقرر منع المدعى عليه من السفر لمدة لا تتجاوز الشهرين في الجنحة، والسنة في الجناية من تاريخ إخلاء سبيله أو تركه.

■ هل يمكن للقاضي توقيف المتهمين خلافاً للقانون؟

لا يحق للقاضي الاستمرار بتوقيف المتهمين خلافاً للقانون فيتعرض القائم بالتحقيق (ولو كانوا من قضاة النيابة العامة أو من عناصر الضابطة العدلية) إضافة إلى العقوبة المسلكية، إلى عقوبة الحبس لمدة تتراوح ما بين ثلاثة أشهر إلى سنة، وبغرامة تتراوح بين مليوني ليرة لبنانية وعشرة ملايين ليرة لبنانية في حال لم يراع أياً من الضمانات الأساسية للموقوف بما فيها احتجازه خلافاً للقانون.

■ كيف يتم إطلاق سراح الأشخاص الموقوفين بصورة غير مشروعة؟

عملاً بالمادة 403 من قانون أصول المحاكمات الجزائية، يتوجب على كل من النائب العام الاستئنافي أو المالي والقاضي المنفرد الجزائي، كل ضمن حدود اختصاصه، عندما يبلغه خبر توقيف أحد الأشخاص بصورة غير مشروعة، أن يطلق سراحه بعد أن يتحقق من عدم مشروعية احتجازه، وإذا أهمل أي منهم العمل بما تقدم يلاحق مسلكياً.

■ ما هي واجبات قاضي التحقيق بعد التوقيف؟

خلال مدة 24 ساعة على توقيف أي متهم، يتوجب على قاضي التحقيق أن يستجوبه. وفي حال مرور مهلة الـ24 ساعة من دون استجوابه، يتوجب على رئيس النظارة أن يحضر، من تلقاء نفسه، المدعى عليه إلى النائب العام الذي يطلب من قاضي التحقيق استجوابه، وفي حال لم يتم استجوابه، يتوجب على النائب العام اتخاذ القرار بإطلاق سراحه في الحال.

■ هل يلزم قاضي التحقيق باتخاذ القرار بتوقيف المتهم؟

عملاً بالمادة 111 من قانون أصول المحاكمات الجزائية، يمكن لقاضي التحقيق أن يستعيض عن التوقيف الاحتياطي بفرض المراقبة القضائية، مهما كان نوع الجرم حتى في الجنايات وفي الجنح المعاقب عليها بالحبس لأكثر من سنة. فالمراقبة القضائية هي البديل عن التوقيف الاحتياطي. ويمكن للقاضي إلزام الموقوف بإيداع جواز السفر لدى قلم دائرة التحقيق، وإعلام المديرية العامة للأمن العام بذلك، أو تقديم كفالة ضامنة يعيّن مقدارها قاضي التحقيق أو غير ذلك من الإجراءات المحددة في المادة المذكورة آنفاً.

■ متى يجب ان يُخلى سبيل الموقوف؟

° يقتضي أن يُخلى سبيل الموقوف إذا كانت الجريمة من نوع الجنحة بحيث يخلى سبيله بحق بعد انقضاء خمسة أيام على تاريخ توقيفه. أما الاستثناء فهو: إذا كان قد حكم عليه سابقاً بعقوبة جرم شائن أو بعقوبة الحبس مدة سنة على الأقل.

° أما في جميع الجرائم الأخرى، وإذا لم تتوافر شروط تخلية السبيل بحق، يمكن لقاضي التحقيق، بعد استطلاع رأي النيابة العامة، أن يقرر إخلاء سبيل المدعى عليه الموقوف، إذا استدعاه وتعهد في استدعائه بحضور جميع معاملات التحقيق والمحاكمة وإنفاذ الحكم، لقاء كفالة أو من دونها.

° وفي حال الرفض، للمدعى عليه أن يستأنف أمام الهيئة الاتهامية قرار تخلية السبيل في مهلة 24 ساعة من تاريخ إبلاغه إياه.

° وحتى إذا استأنفت النيابة العامة أو المدعي الشخصي القرار القاضي بإخلاء سبيل المدعى عليه أو بتركه أو باسترداد مذكرة توقيفه المخالفة للأصول، فإن الاستئناف يوقف إنفاذ القرار حتى البت فيه خلال مهلة 24 ساعة فقط. وإذا انقضت هذه المهلة من دون أن تتخذ الهيئة الاتهامية قرارها فعلى النائب العام أن يطلق سراحه حكماً.

° وفي حال لم يتم استجواب الموقوف من قبل قاضي التحقيق خلال 24 ساعة من توقيفه أيضاً، يتوجب على النائب العام اتخاذ القرار بإطلاق سراحه في الحال.

° للقاضي المنفرد أن يقرر إخلاء سبيل المدعى عليه الموقوف بعد أن يستطلع رأي النيابة العامة.

° أما في حال كانت الدعوى غير جاهزة للحكم في الجنحة المشهودة وقرر القاضي المنفرد إرجاءها إلى موعد آخر لا يتجاوز العشرة أيام، له أن يخلي سبيل المدعى عليه تلقائياً بإبطال التعقبات في حقه، تقضي في الوقت نفسه بإطلاق سراحه إذا كان موقوفاً.

° على النيابة العامة إطلاق سراح الموقوف فوراً إذا انقضت مدة عقوبته قبل البت في استئنافه المقدم لاستئناف قرار القاضي المنفرد الجزائي.

° إذا قضت المحكمة ببراءة المتهم أو بكف التعقبات في حقه، تحكم بإطلاق سراحه فوراً إن لم يكن موقوفاً لداع آخر.

> **يتوجب على كل من النائب العام الاستئنافي أو المالي والقاضي المنفرد الجزائي ان يطلق سراح الموقوف بعد التحقق من عدم مشروعية احتجازه**

أسباب التوقيف

«يجب أن يكون قرار التوقيف معللاً، وأن يبيّن فيه قاضي التحقيق الأسباب الواقعية والمادية التي اعتمدها لإصدار قراره، على أن يكون التوقيف الاحتياطي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على أدلة الإثبات، أو المعالم المادية للجريمة، أو للحيلولة دون ممارسة الإكراه على الشهود أو على المجني عليهم، أو لمنع المدعى عليه من إجراء أي اتصال بشركائه في الجريمة أو المتدخلين فيها أو المحرّضين عليها، أو أن يكون الغرض من التوقيف حماية المدعى عليه نفسه أو وضع حد لفعول الجريمة أو الرغبة في اتّقاء تجددها، أو منع المدّعى عليه من الفرار أو تجنيب النظام العام أي خلل ناجم عن الجريمة» (قانون أصول المحاكمات الجزائية، المادة 107، فقرة 3).

من سجن جب جنين (هيثم الموسوي)

في العمق

قانون ليفينسون: «تحرير» الموقوفين الأميركيين تعسّفاً

(من الويب)

عمر نشابة

يحدّد القانون الأميركي دور الاستخبارات ومجلس الأمن القومي في عملية «تحرير» الرهائن الأميركيين والمواطنين الأميركيين الذين احتجزوا بشكل غير قانوني «أو بشكل خاطئ» خارج الولايات المتحدة. وقد رفع ملف شخص يحمل الجنسية الأميركية كان موقوفاً في ملف انفجار 4 آب إلى وزارة الخارجية الأميركية وأحيل إلى المبعوث «الخاص بالرهائن»، السفير روجر كارستنز، تمهيداً لتحريك الأجهزة الأميركية المحددة في القانون، بما في ذلك أجهزة الاستخبارات، من أجل «تحرير» الموقوف.

الموقوف السابق، وهو رئيس مصلحة الأمن والسلامة في مرفأ بيروت، أصبح في الولايات المتحدة بفضل تلويح المسؤولين الأميركيين بتفعيل كل السبل المتاحة بحسب القانون الأميركي لفك احتجازه فوراً. وكان المتحدث باسم الخارجية الأميركية فيدانت باتيل قد صرّح في 26 كانون الثاني الفائت: «إننا نقدم كل المساعدة المتاحة لمواطنينا في الخارج».

موجبات العهد الدولي

لم تشهد السفارة الأميركية في عوكر تظاهرات تطالب باستعادة المواطن الأميركي، رئيس مصلحة الأمن والسلامة في مرفأ بيروت، بعدما أخلى المدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات جميع الموقوفين في ملف انفجار 4 آب استناداً إلى المادة التاسعة من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الذي تعهد لبنان احترامه. علماً أن القاضي عويدات كان قد تنحى عن النظر في ملف انفجار 4 آب. صحيح أن الفقرة الأولى من المادة التاسعة تشير إلى أن «لكل فرد حق في الحرية وفي الأمان على شخصه. ولا يجوز توقيف أحد أو اعتقاله تعسّفاً. ولا يجوز حرمان أحد من حريته إلا لأسباب ينص عليها القانون وطبقاً للإجراء المقرر فيه». غير أن الفقرة الثالثة من المادة نفسها تحدد ضمانات لحضور المخلى سبيله المحاكمة لدى استدعائه. إذ تنصّ الفقرة حرفياً على أن «يقدم الموقوف أو المعتقل بتهمة جزائية، سريعاً، إلى أحد القضاة أو أحد الموظفين المخولين قانوناً مباشرة وظائف قضائية، ويكون من حقه أن يحاكم خلال مهلة معقولة أو أن يفرج عنه. ولا يجوز أن يكون احتجاز الأشخاص الذين ينتظرون المحاكمة هو القاعدة العامة، ولكن من الجائز تعليق الإفراج عنهم على ضمانات لكفالة حضورهم المحاكمة في أية مرحلة أخرى من مراحل الإجراءات القضائية، ولكفالة تنفيذ الحكم عند الاقتضاء». ولم يتبيّن حتى اليوم وجود ضمانات لحضور الرجل إلى الدوائر القضائية إذا استدعي في المستقبل، بينما التحقيق حالياً يمر بمرحلة تخبّط بسبب المواجهات بين المحقق العدلي والمدعي العام التمييزي.

تجنيد الاستخبارات الاميركية

قانون روبرت ليفينسون (آس 712) عنوانه «تقديم المساعدة إلى مواطنين أميركيين احتجزوا كرهائن أو احتجزوا بشكل غير قانوني أو خاطئ خارج الولايات المتحدة الأميركية». والافت في نصّ القانون إنشائه خلية لتحرير «الرهائن»، تتألف من مكتب مدير الاستخبارات الوطنية ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية ووزارات الخارجية والمالية والدفاع والعدل (القسم الرابع ب). ويجري التنسيق من خلال مجلس الأمن القومي الأميركي، كما تعمل الخلية على تأمين آلية التنسيق الاستخباري وتتابع مع مدير الاستخبارات الوطنية تصنيف المعلومات.

ويشير القانون إلى أن تحرير الأميركيين الرهائن والأشخاص المحتجزين بشكل خاطئ يشكل «مصلحة وطنية» تستدعي كذلك تأليف «مجموعة استجابة» تضم أعضاء من مجلس الأمن القومي. وبموجب هذا القانون يراجع وزير الخارجية حالات عن أميركيين احتجزوا لعدة أسباب ومنها:

● احتجازهم خلافاً للقانون (أ فقرة 5).

● إذا كان الاحتجاز «في بلد أشارت وزارة الخارجية الأميركية في تقاريرها السنوية عن حقوق الإنسان إلى أن القضاء فيه ليس مستقلاً ومحايداً وأنه قابل للفساد وغير قادر على إصدار أحكام عادلة» (أ الفقرة 8).

● إذا «تعطّل تسلسل الإجراءات القانونية بشكل حوّل الاحتجاز إلى احتجاز تعسّفي» (أ الفقرة 10).

ويشير القانون الأميركي إلى أن التقارير التي تتعلق بالأشخاص المحتجزين خارج الولايات المتحدة «يمكن أن تتضمّن ملاحق سرّية» (الفقرة ب صفحة 4).

> **خلية لتحرير «الرهائن» تتألف من وزارات وأجهزة استخبارات**

تقرير وزارة الخارجية الاميركية

خصص آخر تقرير لوزارة الخارجية الأميركية عن حقوق الإنسان في لبنان قسماً خاصاً بالاعتقال التعسّفي. جاء فيه: «ينصّ القانون اللبناني على أن مدة الحبس في جنحة لا يجوز أن تزيد على شهرين. يجوز للمسؤولين تمديد هذه الفترة لمدة أقصاها شهران إضافيان. بالنسبة للجنايات، لا يجوز أن تزيد مدة التوقيف الأولية على ستة أشهر، ولكن يمكن تجديد الحبس. بسبب التراكم القضائي، استمرت فترات الحبس الاحتياطي في الجنايات أحياناً لأشهر أو سنوات».

عقوبات بحق اشخاص

القانون 712 يتيح للرئيس الأميركي فرض «عقوبات على أي شخص أجنبي استناداً إلى أدلة» تُثبت أنه أمر باحتجاز أو شارك في احتجاز سفير مواطن أميركي تعسّفاً وخلافاً للقواعد القانونية. كما يمكن للرئيس الأميركي فرض عقوبات على كل الأشخاص الذين يتبيّن أنهم «قدّموا المساعدة المالية أو المادية أو التكنولوجية» لاحتجاز مواطنين أميركيين بشكل غير قانوني.

والعقوبات هي المنع من الحصول على تأشيرة سفر إلى الولايات المتحدة وإلغاء أي تأشيرة سابقة، وحجز ممتلكات.

إذ يمكن «حظر جميع المعاملات والممتلكات والمصالح في الولايات المتحدة، أو داخل الولايات المتحدة، أو تكون أو تأتي في مكان حيازة أو سيطرة شخص من الولايات المتحدة» (القسم 6 الفقرة 2).

تحت القوس

حفاظاً على قرينة البراءة

عمر نشابة

أحد المبادئ الأساسية التي يمكن أن يستند إليها مناهضو «الدولة البوليسية»، هو مبدأ قرينة البراءة. فلا يجوز بموجبه منح الشرطة والعسكر والنيابة العامة والمحقق العدلي صلاحية التجريم والإدانة. إذ إن كل شخص يعدّ بريئاً حتى تثبت إدانته أمام المحكمة أو أمام المجلس العدلي، وليس بحسب البوليس وادعاءات النيابات العامة أو اتهامات المحقق العدلي أو قاضي التحقيق. وبالتالي، لا بد من التذكير بأن جميع الموقوفين في السجون والنظارات، بما في ذلك المدعى عليهم والمتهمون، هم أبرياء حتى تنعقد المحكمة التي تضمن أن يمارسوا خلال جلساتها حقهم بالدفاع عن أنفسهم، وبالتشكيك في شرعية المحكمة وبمصداقية الدلائل التي يستند إليها الادعاء.

صحيح أن من حق السلطة أن تحتجز حرية أشخاص مشتبه فيهم أو متهمين قبل محاكمتهم، شرط أن يتبيّن لها بوضوح بأن هؤلاء الأشخاص يشكلون خطراً على المجتمع وعلى سلامة التحقيق، وشرط ألا تتجاوز مدة الاحتجاز أشهراً قليلة. إذ إن القاعدة القانونية الدولية تقتضي إحالة الموقوفين في أسرع وقت ممكن إلى المحكمة. لذا، لا بد من مراجعة ملفات آلاف الموقوفين في السجون والنظارات، وإطلاق سراح كل من لا يشكل خطراً على الآخرين فوراً، حفاظاً على قرينة البراءة وعدالة الإجراءات القضائية. فبعد إضراب المحامين الذي لحقه إضراب للقضاة والمساعدين القضائيين، وفي ظل الانقسام والصراعات بين القضاة وانتشار التوتر في قصور العدل، تباطأ عمل القضاة وتراجع عدد جلسات المحاكم. كما باتت عملية نقل الموقوفين من السجون إلى المحاكم صعبة بسبب الانهيار الاقتصادي. بموازاة ذلك، ارتفع عدد السجناء الذين باتوا يُحشرون بالآلاف في أماكن ضيّقة تعاني من اهتراء بنيتها التحتية ونقص في الصيانة. كما يختلط الموقوفون بالمحكومين بجرائم مختلفة، وقد تحولت السجون إلى أماكن لتعليم بعض الأساليب الجرمية ولتأليف العصابات وتجنيد المجرمين وتخطيط الجنايات. أضف إلى كل ذلك، الصعوبات التي تعاني منها قوى الأمن الداخلي في تأمين الغذاء والعلاج الطبي والمياه والكهرباء والتدفئة في السجون والنظارات.

وبما أن المدعي العام التمييزي القاضي غسان عويدات استند إلى العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لإخلاء سبيل الموقوفين في قضية انفجار مرفأ بيروت يوم 4 آب 2020، لا بد من التذكير بأن «الناس جميعاً سواء أمام القضاء»، كما جاء في نص المادة 14 منه.

قاووش

ينتظر آلاف الموقوفين في السجون والنظارات البت في ملفاتهم، فيقضي الموقوف احتياطياً قدراً كبيراً من «العقوبة» قبل المحاكمة، في انتهاك صارخ للإجراءات القانونية للمحاكمة العادلة ونسف مدوي لمبدأ قرينة البراءة. وغالباً ما تكتفي المحكمة بمدة التوقيف، أو تضيف لها بضعة أشهر، في نقض واضح لفكرة الغرض من العقوبة كسبيل لإعادة التأهيل وتصحيح السلوك الجنائي، حيث يصبح الجاني قادراً على العودة والانخراط في المجتمع. وفقاً للجنة السجون في نقابة المحامين، تبلغ نسبة الموقوفين احتياطياً 82,1٪، 28٪ منهم أجانب. فيما ينتظر حوالي 800 سجين إخلاء سبيلهم، و200 ينتظرون قرارات الإفراج عنهم وإدغام الأحكام. يستعرض هذا المقال واقع الموقوفين احتياطياً ويتناول المعاناة التي يعيشونها وذويهم مع تدهور الأوضاع المعيشية والاقتصادية

موقوفون على ذمّة «الاحتياطي»

فاطمة خشاب درويش

في السجن المركزي في رومية، حيث العدد الأكبر من الموقوفين والمحكومين، يعيش ما يقارب 4000 سجين من دون أبسط مقومات الحياة. زنازين مكتظة، طعام "لا يشبه الطعام"، مياه شرب ملوّثة، رائحة "المجارير" تعبق في بعض أنحاء السجن، أضف إلى ذلك، انتشار الأمراض الجلدية والرئوية، إلى جانب عدد كبير من السجناء الذين يعانون من أمراض مزمنة فيما آخرون يعيشون أوضاعاً صحية دقيقة بسبب عدم المتابعة الصحية وتناول الأدوية بانتظام. أمام هذه الوقائع التي تشكل جانباً محدداً من المشهد العام في رومية، ماذا عن واقع الموقوفين وهل هناك حالات تجاوزت مهل التوقيف التي ينصّ عليها القانون اللبناني؟

معاناة أهالي الموقوفين

يتشارك أهالي الموقوفين المعاناة نفسها بسبب سوء الأوضاع داخل السجون من جهة، والأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشونها من جهة أخرى. فقد أصبحت زيارة السجن مكلفة جداً، "تتراوح تكلفة الحاجات الأساسية التي قد يشتريها الأهل لذويهم السجناء في كل زيارة بين 4 أو 6 ملايين ليرة لبنانية كحد أدنى. هذا في حال تأمين طعام أو مياه الشرب لأسبوع على سبيل المثال" تقول إحدى الأمهات لـ "القوس". فيما اختار عدد من الأهالي زيارة أولادهم مرّة كل شهر، بينما انقطع آخرون عن الزيارة وباتوا يقصدوهم "حسب التيسير، بجمّع مصاري وببعتن مع حدن، بوفّر المصاري يلي بدي إدفعهم أجار طريق، ما بقدر كل أسبوع روح لعنده، الوضع المادي كتير صعب" يقول أحد أهالي الموقوفين في سجن رومية وهو يسكن في الشمال.

"أنا أم سجين، معاناتنا كتير كبيرة، قلبنا على ولادنا يلي عايشين من قِلة الموت، إذا ما جبنالهم أكل وشرب ما بياكلوا ولا بيشربوا، ما في رعاية، عم بيموتوا على البطيء، إذا ما قادرين يطعموهم ويشربوهم يطلعوهم، ابني صرلوا سنتين موقوف وبعد ما صار شي بملفّه" تقول إحدى أمهات الموقوفين.

"زوجي موقوف في سجن رومية (أحمد.ع) من سنتين بجرم المخدرات، عنده مشاكل صحية مزمنة بالأذن اليمنى وكسر بالقفص الصدري بسبببه آلام حادة من وقت للتاني، صرت مقدمة فوق الـ 20 إخلاء سبيل وما في تجاوب، الملف عند الاتهامية، ماعم بينزلوا على الجلسات وعم قدّم إخلاء سبيل عم يرفضوه، وضعه الصحي كتير سيء، وأنا ماعم إقدر إجي لعنده لأن الوضع المادي ما بيسمح، وزوجي أوّل مرة بيفوت عالحبس".

تختصر صرخة والدة سجين آخر وجعاً كبيراً للأمهات خاصة كبار السن، فهي تمشي مسافة كبيرة حتى تستطيع الوصول إلى مكان مرور الفان، لتنتقل إلى قصر بعبدا، وتتحدث عن موقف جرى معها الأسبوع الماضي، حين رفض أحد المساعدين القضائيين النظر في الجدول للتأكد إذا ما كان القاضي قد مضى إخلاء السبيل لابنها، قطعت كل هذه المسافة لتسأل وكان الجواب "مش قادر شوف الجداول". تقول هذه السيدة بكل جرأة "لو كان معي 10 أو 15 دولار كان دغري فتّش واشتغل، حق الطابع أخد مني 100 ألف وما لزقه منيح حتى يرجع يبيعوا بعدين بس تنكب الورقة بالزبالة".

> **أي موقوف مدان حتى تثبت براءته، وهذا المبدأ قاتل للمجتمع، فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته**

"الله يجعلنا من الموقوفين المحظيين يلي معهم الجنسية الأميركية حتى يطلّعوا ولادنا وما يتبهدلوا، كان ابني محبوس بسجن القبة، وكنا نزوره بالكاد، لأنه عنده ولدين وعم بهتم فيهم، زوجته ما بتشتغل وأنا كمان ووالده متوفي، نقلوه على رومية، كل يلي بدنا إياه بحكموه لنعرف أمتين بدو يخلص مسلسل البهدلة والمعاناة، حرام عليكم، كل إخلاء سبيل بدو 300 ألف وطوابع واطلعوا ونزلوا، والله العظيم تعبنا" تقول والدة (طلال.أ) الموقوف احتياطياً بجرم السرقة منذ سنة ونصف في سجن رومية.

أما والدة (خضر.ح) الموقوف منذ أربع سنوات بدعوى مخدرات، تقول: "نحنا المحبوسين مش ولادنا، نحنا المحبوسين للقضاة يلي لحد هلق ما حدن فتح بابه بوجنا، ولا حدن عمل جلسة، بس ندق باب القاضي دغري بقول: الأهالي يطلعوا برا، عيب عليكم، نحنا بالقانون عرفنا إنه فترة التوقيف الاحتياطي 4 أشهر وبحد أقصى سنة بالجنايات، ابني صار إله موقّف 30 شهر ما انعمله ولا جلسة لحد هلق، ابني مريض بأمراض جلدية، وكمان وقّفت رئة عنده، وكمان في عين ما بيشوف فيها وبدها عملية، مبالغ كبيرة عم بدفعها طبابة عليه، لو كان خارج السجن كنت عالجته بمركز تأهيل، أنا طلبت من ربي يحاسبه، ابني غلط أنا بعترف، نحنا تحت القانون مش فوق القانون، بس يحدّد القاضي موعد للجلسة حتى يحاكمه".

نسف لمبدأ قرينة البراءة

تتحدث إحدى المحاميات لـ "القوس" عن ملف أحد الموقوفين القاصرين الموجود في مبنى الأحداث في رومية حالياً، حضرت معه جلسة الاستجواب بناء على اتصال من اتحاد الأحداث، كان هذا القاصر مرافقاً لأحد الأشخاص (مروّج للمخدرات) الذي تعرض لحادث وتوفي.

"بلغت مدة توقيف القاصر سنة حتى اليوم، والملف وصل إلى الهيئة الاتهامية ولكنه لم يحوّل إلى المحكمة بعد للبت فيه، قدمّت أربع إخلاءات سبيل ولكنها لم تُقبل، والدته لا تستطيع زيارته بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، ولديها تخوّف كبير إذا طالت مدة التوقيف أكثر، من نقله من مبنى الأحداث بعد بلوغه سن الـ 18 إلى المبنى العادي". وتضيف المحامية "المبدأ الحالي عند القضاء اللبناني هو التوقيف وليس الترك وإخلاء السبيل، المبدأ عند القضاء اللبناني هو التجريم، وليس تطبيقاً لقاعدة المتهم بريء حتى تثبت إدانته، هنا في لبنان القاعدة معكوسة، أي موقوف مدان حتى تثبت براءته، وهيدا شيء قاتل للمجتمع، قاتل للجيل، قاتل لبناء المجتمع، السجون اللبنانية ليست للتأهيل بل لتخريج أشخاص يحملون عقداً نفسية واجتماعية وفكرية وحتى أمراض جسدية، يتعاطون المخدرات وهم على خطوات قريبة جداً من ارتكاب أي جرم في أي لحظة، وهذا الأمر غير مقبول الاستمرار فيه".

من جهة أخرى، يصف عدد من المحامين حالات عديدة جرى فيها توقيف المشتبه بهم لسنوات، ولكن عند بدء المحاكمة ثبتت براءتهم من الجرم المسند إليهم، لا سيّما وأن فترة التوقيف تكون صعبة على المشتبه بهم، فتتم معاملتهم منذ اللحظة الأولى كـ"مجرمين". فلا يراعى مبدأ قرينة البراءة، وكأن التوقيف يعني إثبات الجرم على المتهم، ومن تلك الحالات موقوف امتدّت فترة توقيفه على ثلاث سنوات بجرم ترويج المخدرات، وعند جلسة الحكم ثبتت براءته من التهمة المسندة إليه. "شو بيعمل الموقوف بسنين عمره يلي أمضاها بالحبس، بيحطّن بالقجة، ضاع عمره وهوي ناطر المحاكمة" يسأل الوكيل القانوني لهذا الموقوف.

لجنة السجون في نقابة المحامين

يؤكد رئيس لجنة السجون في نقابة المحامين جوزيف عيد وجود صعوبات ومشاكل حقيقية في السجون اللبنانية تؤدي إلى تردي أوضاع الموقوفين والمحكومين فيها، في مقدمها الاكتظاظ الخانق في جميع السجون والنظارات، ويقول: "في السجن المركزي في رومية مثلاً المعّد لاستيعاب حوالي 1200 سجين يوجد فيه ما يقارب 3800 سجين، وهذا الرقم إلى ارتفاع، مما ينجم عنه مشاكل صحية وأمنية وسوء تغذية وعرقلة البرامج التأهيلية، إضافة إلى الوضع الاقتصادي المزري الذي تشهده البلاد".

ويشير إلى وجود "نقص كبير في عديد العناصر الأمنية والآليات المعدّة لنقل الموقوفين إلى المحاكم تمهيداً لمحاكمتهم"، إلى جانب مشكلة "وضع حوالي 350 سجيناً مصنّفين في خانة الإرهاب في سجن رومية وهو غير معدّ لاستقبال هكذا موقوفين إذ يجب فصلهم عن باقي السجناء في ثكنات عسكرية مع عناصر أمنية مختصة".

ويعتبر عيد أن "اعتكاف القضاة ساهم في تأخير إصدار الأحكام بحق الموقوفين والبت في إخلاءات السبيل خاصة، الأمر الذي يؤدي إلى مضاعفات الفوضى والتمرد". كما أن "النقص في أحوال الصيانة والتجهيزات والدواء والاستشفاء وغيرها، خاصة في هذه الظروف المأساوية، زاد الأمور تعقيداً في السجون اللبنانية".

ويشير عيد إلى أن "لجنة السجون قد تقدمت بحل منذ أكثر من خمسة عشر عامًا وهو لا يزال صالحًا حتى الآن ريثما يتم نقل السجون إلى عهدة وزارة العدل. والاقتراح هو البدء بإنشاء أربعة سجون نموذجية في المحافظات تتسّع كل منها لـ 1,200 سجيناً. علمًا بأن الأراضي التي تملكها الدولة متوفرة، وذلك خلال مهلة سنتين، واللجنة تعمل على توفير الاعتمادات اللازمة لهكذا مشروع علماً بأن مجلس الوزراء في عهد وزير العدل السابق النقيب قرطباوي قد أقرها، ولكن على ما يبدو ليس من الأولويات والأمر متروك لحكمة وشجاعة معالي وزير العدل وتحويله إلى جانبه".

> **النقص في الصيانة والتجهيزات والدواء والاستشفاء في السجون، خاصة في هذه الظروف المأساوية، زاد الأمور تعقيداً**

وأشار عيد إلى اجتماع عُقد الأربعاء الفائت بين لجنة السجون ووزارة الداخلية، حضره الرائد كريم مراد ممثلاً العميد غسان عثمان مستشار وزير الداخلية والبلديات القاضي بسام مولوي "بهدف دفع الأمور إلى حلحلة قريبة في موضوع الموقوفين والسجون". مشيراً إلى أنه "جرى توزيع أعضاء لجنة السجون وعددهم حوالي 80 محامي على جميع السجون والنظارات في الأراضي اللبنانية كافة، بهدف إشراكهم كفريق عمل واحد وتأميناً لمتابعة أوضاع السجون عامة من النواحي القضائية والصحية والإنسانية. وذلك وفقاً لاختيارهم كلّ حسب منطقته وحضوره الدائم، على أن تنظم تقارير بهذا الشأن ترفع إلى رئيس اللجنة لإيجاد الحلول الممكنة بالشراكة مع وزارة الداخلية والهيئات الإنسانية المحلية والدولية وتوجيهات نقيب المحامين".

صورة حديثة من سجن القبة (خاص القوس)

تسعة أعوام من التأجيل

اليوم يُكمل ملف في المجلس العدلي، مُصنّف ضمن ملفات الإرهاب، عامه التاسع. وحتى اليوم بقي الملف عند قاضي التحقيق الذي لم يُتابعه بالاستجواب منذ العام 2015، وقال للموقوف "تكمل الاستجواب في الجلسة القادمة"، ولم تأتِ بعد الجلسة القادمة! فإذا كانت الأدلة تدينه، لماذا لا يحاكم؟ وبدلاً من أن يظل موقوفاً لمَ لا يتحول إلى محكوم عليه بجرم الإرهاب؟ هذه عيّنة ومثلها كثر. وفي المحكمة العسكرية، التأجيل سيّد القضايا ويتعاقب القضاة على المنصب وتبقى السياسة واحدة والتأجيل قد يصل أحياناً إلى 11 شهراً.

المقداد يناشد

"ما يجري بحق الموقوفين جريمة، يجب الإسراع في محاكمتهم حتى لا يتكرر سيناريو العام 2022 الذي شهد وفاة أكثر من 33 سجيناً وموقوفاً في السجون اللبنانية"، يحذر رئيس لجنة متابعة شؤون الموقوفين والسجناء، دمر المقداد من استمرار توقيف آلاف الموقوفين، في ظل الظروف الصعبة التي يعيشونها في السجون والنظارات على مختلف الأراضي اللبنانية. "الموقوف إنسان ومن الممكن أن يكون بريئاً، له الحق في محاكمة عادلة وإذا كان مذنباً فليحاكم".

ودعا المقداد إلى "التدخل السريع لحل مشكلة الموقوفين في لبنان، معتبراً أنه "من غير المقبول الاستمرار في هذا الوضع، فكما استند القاضي غسان عويدات إلى القانون الدولي الذي لا يسمح بالتوقيف الاحتياطي إلى ما لا نهاية، وأطلق سراح الموقوفين في ملف المرفأ، فليطبق الأمر على باقي الموقوفين في لبنان".

قاووش

لا يجوز قانونياً واخلاقياً توقيف احد او اعتقاله تعسفاً، وعلى الموقوف بتهمة جزائية ان يقدم سريعاً إلى احد القضاة. ولا يجوز ان يكون احتجاز الاشخاص الذين ينتظرون المحاكمة هو القاعدة العامة. (راجع العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة 9). العهد الدولي لا يميّز بين الموقوفين ولا ينصّ على افضلية او حصرية تطبيقها على اشخاص دون آخرين. لكن في السجون اليوم آلاف الموقوفين احتياطياً ينتظرون محاكمتهم، بينما اخلي سبيل عدد من المشتبه فيهم كانوا موقوفين في ملف انفجار 4 آب دون غيرهم. السجناء يرفعون الصوت ويناشدون القضاء بالمساواة

آلاف الموقوفين يناشدون القضاء

حاكمونا الآن أو أخلوا سبيلنا

(مروان بو حيدر)

أحمد مدلج

شكّل قرار إخلاء سبيل موقوفي انفجار مرفأ بيروت خللاً في ميزان العدالة، كيف لا وآلاف الموقوفين يقبعون داخل سجون مكتظة لا تتناسب ظروفها مع المعايير القانونية، وهم يطالبون بمحاكمتهم فوراً أو إخلاء سبيلهم بسند إقامة وبكفالة مالية. يسأل عدد منهم «كيف يمكن لموقوفين بقضية حساسة وخطيرة أن يُخلى سبيلهم بينما نحن نطالب بذلك منذ سنوات ولا يستجاب لنا؟ ألا يُطبّق علينا القانون والمعاهدات كما يُطبّق عليهم؟».

علامَ تنصّ إذاً القوانين والمعاهدات الدولية عن مدة التوقيف وإخلاء السبيل؟

(راجع صفحة 2، «قانونية إخلاء سبيل جميع الموقوفين»)

تتقدّم المعاهدات الدولية على أحكام القانون الداخلي، عملاً بمبدأ تسلسل القواعد القانونية (مبدأ هرم القواعد القانونية، هرمية كيلسن-Pyramide de Kelsen). فيعود تطبيق المادة 9 من العهد الدولي الخاص على كل موقوف مهما كانت جريمته طالما لم تتم محاكمته وتخطّت مدة توقيفه احتياطياً بحسب القانون.

أما بالنسبة إلى إخلاء السبيل، فيتقدم المدّعى عليه أو وكيله بطلب إخلاء السبيل إلى قاضي التحقيق قبل صدور القرار الظنّي، أي لا مدة محددة لتقديم طلب إخلاء السبيل. يجوز للقاضي أيضاً إخلاء سبيل المتهم شرط أن يتضمّن الطلب كفالة (المادة 114 والمادة 115 من قانون أصول المحاكمات الجزائية). وإذا لم يتقدم المدعى عليه أو وكيله بطلب، يُخلى سبيله بحكم القانون في حالات معيّنة كالجريمة من نوع الجنحة التي لا تتجاوز عقوبتها الحبس مدة سنتين للبناني وهو مقيم في لبنان، ويُخلى سبيله بعد انقضاء خمسة أيام على تاريخ توقيفه. شرط ألا يكون قد حُكم عليه سابقاً بعقوبة جرم شائن أو بعقوبة الحبس مدة سنة على الأقل (مادة 113 من قانون أصول المحاكمات الجزائية).

موقوفون يناشدون القضاء

تناقلت أخيراً مواقع التواصل الاجتماعي فيديو لموقوفين يعلّقون مشانقهم مطالبين بإخلاء سبيلهم ومحاكمتهم أو بعفو عام. صراخ وتهديد ربما «فشّة خلق» لا أكثر، وأعدين بالتصعيد إذا لم يُوافَق على مطالبهم.

نعرض في ما يلي آراء وردّة فعل بعض السجناء عند تلقيهم خبر قرار إخلاء سبيل موقوفي انفجار المرفأ. وقد تحمّس بعض السجناء الغاضبين للتعليق على الموضوع ولإفصاح عمّا في داخلهم عبر الصراخ وإطلاق الشتائم. وبدا أن الظلام لا يفارقهم داخل نفق معاناتهم بانتظار محاكمتهم.

«شي معيب والله، طلّعوا عميل وهرّبوه، وواحد موقوف بملف المرفأ طلع وسافر لأن معه جنسية أميركية، الجنسية الأميركية صارت أقوى من القانون؟»، يسأل طارق، الموقوف في السجن المركزي في رومية. ويضيف بنبرة عالية «نحنا شو عاملين لنتوقّف كل هالفترة؟ حياتنا وأهلنا تدمّروا ويلي توقّفوا بانفجار المرفأ صاروا برا السجن؟». طارق الذي أُلقي القبض عليه من قِبل الضابطة العدلية بشبهة الانتماء إلى جماعة إرهابية، عازياً ذلك -بحسب قوله- إلى انتماء أحد أفراد عائلته إلى التنظيم نفسه. ومنذ سنوات وهو يحاول المطالبة بإجراء محاكمة للبتّ بملفه بعد ردّ طلب إخلاء سبيله، ويشكو من عدم تجاوب المحامي لمساعدته. والجريمة التي اتُّهم طارق بارتكابها هي جريمة الإرهاب بحسب المادة 315 من قانون العقوبات اللبناني التي حُددت عقوبتها بأشغال شاقة لخمس سنوات. يمكن للقضاء بموجب المادة 108 من قانون أصول المحاكمات الجزائية أن يرفض إخلاء سبيله كونه قد تم توقيفه بجناية الإرهاب، ولكن عملاً بالعهد الدولي يفترض أن يُخلى سبيل طارق مثل موقوفي انفجار المرفأ.

أما بلال، فهو موقوف منذ أربع سنوات في سجن رومية بتهمة الاتجار بالمخدّرات، ويطالب القضاء البتّ في ملفه ومحاكمته «ما على أساس القضاة فكّوا اعتكافهم، ليش بعد ما عيّنوا جلسات؟ عندهم كتير ملفّات؟ طيب فجأة بليلة ما فيها ضو قمر بيطلع قرار بإخلاء سبيل موقوفي انفجار جريمة بحجم مرفأ بيروت ونحنا من بعد ما انّبَح صوتنا ما حدا رادد علينا، بس حاكمونا نحنا، دينونا واحكمونا». فإذا لم يُحاكم ألا يعود للسلطات المختصة إخلاء سبيله ومنعه من السفر؟ يشكو السجين لـ"لقوس" أن المحامي الموكل في قضيته لا يتجاوب مع طلباته.

بصوت مليء بالغضب يقول رامي: «كيف هيك؟ ليش هني بيحق لهم إخلا سبيل ونحنا لا؟ أنا موقوف لأني سرقت بقى سنتين بالسجن من دون ما يخلى سبيلي؟ شو إذا فجّرت بيروت باكملها كنت طلّعت يعني؟». ويتساءل عن كيفية البت بإخلاء سبيل الموقوفين في ملف انفجار المرفأ قبل أيّ ملف آخر. الفكرة ذاتها يرددها لأكثر من ثلاث دقائق مع العديد من الشتائم للجسم القضائي. «عدالة مين؟ المصاري والتدخلات الأجنبية، هيدي هي العدالة بلبنان». نتيجة جريمة السرقة عبر النشل (جنحة) المنصوص عليها في المادة 636 فقرة 2 من قانون العقوبات، لا يمكن أن تتعدى مدة التوقيف شهرين. لذا كان من المفترض إخلاء سبيله عام 2021. «ممنوع نحكي بعفو عام بتاتاً، بس عفو قضائي لأسباب سياسية وطائفية معليش بتمرق». يقول طلال، أحد موقوفي سجن القبة. يدخل عامه الثاني وراء القضبان بتهمة السرقة بحسب قوله. «ما بقى إستغرب شي بهيدا البلد، كيف ممكن تفكر إنه في عدالة وإنصاف هون وبتشوف ناس موقوفين بتدمير العاصمة أخلي سبيلهم وواحد معه جنسية أميركية بيسافر بكل عين وقحة، وأنا لا محاكمة عم بطلعلي ولا إخلاء سبيل والمحامي كل ما إحكي بيرد: إن شاء الله خير، أيّ خير يا عمي؟». يدعو طلال إلى النظر في طلب إخلاء سبيله، إذ إن جناية السرقة المعاقب عليها في نص المادة 639 فقرة 1 كون السرقة تمّت عبر الكسر والخلع لأحد المباني المأهولة، لا تتعدى مدة التوقيف الستة أشهر. فكان على السلطات المختصة إخلاء سبيله منذ عام 2022 أي ستة أشهر بعد توقيفه.

> عملاً بمبدأ تسلسل القواعد القانونية، تتقدّم المعاهدات الدولية على احكام القانون الداخلي. فيعود تطبيق المادة 9 من العهد الدولي الخاص على كل موقوف مهما كانت جريمته

كيف يمكن تفسير إخلاء سبيل موقوفين في أهم ملف في لبنان من قِبل القضاء، ويُغض النظر عن موقوفين في ملفات عديدة أخرى تعود لجرائم ليست بفظاعة وخطورة تفجير مرفأ بيروت؟ يُجيب فراس أحد موقوفي سجن رَحلة منذ عام 2019 على سؤاله بنبرة لا تقل غضباً عن باقي زملائه في السجن «واسطة وطائفية مثل كل شي بهالبلد. واحد معه جنسية بلد أجنبي صار عنده واسطة والباقي تابعين لطائفة معيّنة كمان بدهم يطلعوا، شو لكن؟». يضيف فراس معبّراً عن إحباطه وغضبه الشديد عند تلقيه خبر إخلاء السبيل كونه -بحسب قوله- متهماً بجريمة إطلاق نار وسرقة في بيروت بينما هو من سكان طرابلس، متأسفاً القاضي محاكمته أو النظر في إخلاء سبيله.

تنصّ المادة 638 من قانون العقوبات في فقرتها الخامسة على معاقبة جريمة السرقة عبر استعمال السلاح، بالأشغال الشاقة من ثلاث إلى عشر سنوات. فإذا لم يتقدم فراس بطلب إخلاء سبيله أو لم يُوافَق على طلبه، لا يجوز قانوناً توقيفه لمدة تتخطى الستة أشهر.

يتمنى سامي، أحد سجناء سجن رومية المركزي، أن يستحصل كما الآخرين على «واسطة» لإخلاء سبيله بعد اتهامه بجريمة ينفي ضلوعه فيها، وهي الاتجار بالمخدرات، منذ خمس سنوات دون أيّ محاكمة. "أكلتها أوّل بوكس لما عرفت إنو أخلوا سبيل موقوفي تفجير المرفأ وثاني بوكس لما شفت إفراج عن 13 موقوفاً من ملف مغارة النافعة، بستغرب كيف البعض بعدهم بيحكوا عن عدالة وإصلاح القضاء وتسريع المحاكمات، ما بدي ولا وحدة منهم، يا بغيّر طائفتي ليطلعوني برا السجن يا بدبّر شي واسطة مثلهم ليخلوا سبيلي. غير هيك ما رح إطلع أو إتحاكم بحياتي». يقول سامي، وتتغير نبرة صوته من غضب إلى حزن، إنه دفع مبالغ طائلة لأحد المحامين للنظر في ملفه لكن دون جدوى، وتستمر الوعود بالمحاولة قدر المستطاع (مع دفع الأموال مسبقاً) للمساعدة. كان على السلطات المختصة إخلاء سبيل المتهم سامي منذ عام 2018، لأنه قانونياً، لا يمكن أن تتعدى مدة توقيفه الستة أشهر.

قرار إخلاء سبيل موقوفي انفجار ملف مرفأ بيروت استند إلى نص قانوني دولي. لكن ماذا عن باقي الموقوفين؟ ألا تشكل استنسابية قرار إخلاء السبيل لفئة معينة في ملفات محددة ظاهرة تُفاقم من النظرة السلبية لبعض الموقوفين والسجناء إلى مبدأ القانون والعدالة؟ وقد تطاول هذه النظرة أهالي هؤلاء الموقوفين والسجناء وتتوسّع الدائرة لتشمل فئة أوسع من الناس.

نقاش

دور المحامي في قضايا الأحوال الشخصية

محامي خلع أم محامي صلح؟

فداء عبد الفتاح

بعض المحامين متخصّصون في قضايا الأحوال الشخصية، ويكون محور معظم ملفاتهم هو القضاء الشرعي لأسباب متعددة، منها سرعة التقاضي في المحاكم الشرعية بشكل عام. وقد تعددت الملفات نتيجة حدة الخلافات التي تنتج منها عشرات الدعاوى بين الزوجين، إذ يخوض طرفا النزاع معركة تسجيل أكبر عدد من الأهداف في مرمى الخصم. وهذا يعود بمردود مادي جيد كأتعاب محاماة، وقد يكون جيداً جداً لدى بعض المحامين القادرين على إقناع الخصم برفع كل أنواع الدعاوى الممكنة التي ترفع من وتيرة سقف المواجهة.

متابعة لموضوع الطلاق الذي نُشر في ملحق «القوس»، العدد 52، وتحدثنا فيه عن أن الطلاق هو خراب للبيوت وتشتّت للعائلة وضياع للأطفال، ونتائجه النفسية السلبية قد تصل إلى ارتكاب جريمة قتل. سنتحدث في ما يلي عن دور المحامي في هذه القضايا، وهل هو قادر على لعب دور ضابط الإيقاع في الصراع المحتدم بين زوجين قرّرا الانفصال، أم أن دوره يقتصر على مساندة الموكل، ظالماً أو مظلوماً، بعيداً عن أي رؤية شاملة لمصلحة العائلة ككل؟

كم من محام يُستشار في قضية طلاق على سبيل المثال، ويطلب قبل البدء بأيّ إجراء قانوني أن يستمع لطرفي النزاع محاولاً تقريب وجهات النظر بهدف حل النزاع بينهما بعيداً عن أروقة المحاكم؟ ليسوا كثراً حتماً.

وردني اتصال من سيدة تعرّضت للضرب من زوجها وتريد أن ترفع دعوى طلاق. مدرّسة صاحبة شخصية مستقلة، وأم لثلاثة أولاد. لم تتحمّل ما تعرّضت له بعد عشرة عمر دامت 19 عاماً.

في بداية الاتصال كان الإصرار على دعوى الطلاق سيّد الموقف. كمحامية متخصّصة في شؤون الأسرة، ونتيجة الخبرة العملية الطويلة، طلبت من الزوجة لقاء ثنائياً مع زوجها قبل القيام بأي إجراء، ووافقت على طلبي.

لم أكن متأكدة من حضور الزوج في الموعد، لكن فوجئت بحضوره وجلوسه مستمعاً لشكواها بالتفصيل الممِلّ من دون أي مقاطعة أو اعتراض.

لم يعترض أو ينزعج من أي عبارة نطقت بها، وقد تكون جارحة أمام محامية غريبة عنهما. وعند سؤالي له: ما رأيك بما قالته زوجتك؟ أجاب: كل ما قالته صحيح، أنا أخطأت برفع يدي عليها، ولكنها استمرت باستفزازي حتى أفقدتني أعصابي. بسبب موضوع أكدت لها مراراً وتكراراً عدم صحته، وأنه من محض خيالها، لكن غيرتها قاتلة، وهي بعد 19 عاماً من الزواج مفترض أنها على دراية تامة بطبيعة عملي القائم على العلاقات الاجتماعية، ومن غير المقبول أن تضعني عند كل اتصال أو رسالة من سيدة، في موضع الشك والاتهام، وهي تعلم أنني أعشقها وأنها أم أولادي وسندي، ولا يمكن أن أنظر إلى امرأة سواها. وبدورها، الزوجة أجابت عن سؤالي بأنها تعلم أن زوجها يحبها وأنه صادق في ما يقول.

نذكر هذه الواقعة لنقول إن قضايا الأحوال الشخصية تختلف عن كل أنواع القضايا التي نعمل بها كمحامين، وينبغي أن ننظر إليها بعين القاضي وليس بعين محامي أحد الطرفين، لأنه في هذه المسائل من الصعب جداً الوقوف مع طرف ضد الآخر، متجاهلين أن أسرة بكاملها ستتأثر بارتدادات هذا الصراع. وعلى المحامي أن يقوم بدوره الاستشاري القائم على النصح والإرشاد وتحديد المسؤوليات لكلا الطرفين، قبل الخوض في أي نزاع في حال فشل مساعيه الإصلاحية.

قد يقول البعض إن هذه المهمة ليست من مهمات محامي الدفاع، وهي من مسؤوليات المعالجين النفسيين أو المرشدين الاجتماعيين والتربويين. ولكن أهمية دور المحامي في هذه القضايا تكمن في إحاطته بكلّ القضايا المتعلقة بالشأن الأسري، والمحكومة منذ نشأتها بالقوانين والأنظمة، فتأتي استشارته ومساعيه متكاملة وواضحة ومحيطة بكلّ جوانب القضية بكل دقة ووضوح.

في مقال الزميلة نائلة نحلة "الطلاق خراب البيوت" (راجع «القوس»، عدد 28 كانون الثاني 2023)، تحدثت عن ضحايا الخلافات الزوجية وعن العلاقات السّامة التي تعيد الكثير من الزوجات إلى العيش تحت رحمة معنّفيهنّ من أجل أن يبقين قرب أطفالهنّ. هذه الحالات علاجها يتطلب تدخلاً قضائياً مباشراً ورادعاً لحماية العائلة، وللمحامي دور مهم في رسم خارطة طريق التقاضي التي تبدأ بالأهم والأخطر وهي حماية الزوجة والأطفال من عنف مباشر وواضح لا لبس فيه، ومن بعدها تبدأ المواجهة التي تتمحور حول الحقوق الشرعية من نفقات وحقّ حضانة وطلب الطلاق.

في العلاقات الزوجية لا ظالم ولا مظلوم

لنفترض أن محامياً قبل وكالة زوجة اختلفت مع زوجها لأسباب عديدة، تتنوع بتنوّع أشكال العلاقات وتعدد المجتمعات. معظم المحامين يبدأون بفتح جبهة العنف الأسري، خاصة في حال وجود أي دليل على العنف، وفي بعض الحالات تُقدم شكوى من دون أي دليل، وبطبيعة الحال لن تصل إلى أي نتيجة وتكون مجرد عامل ضغط على الزوج. وهذه إحدى ثغرات قانون العنف الأسري الذي أُقرّ في عام 2014، وتُستتبع شكوى العنف بدعوى تفريق ودعاوى نفقات متنوعة للزوجة والأولاد بكامل فروعها، من مأكل ومشرب وملبس ونفقة طبابة ونفقة تعليم.

> اليس جوهر مهنة المحاماة تقديم الاستشارة والنصح القانوني لتجنيب المتنازعين الوصول إلى المحاكم؟

هذه الجبهة القضائية، تقابلها بالطبع جبهة دفاع من قِبل الزوج بدعاوى أخرى، فيجد الزوجان نفسيهما منهكيْن بكمّ هائل من النفقات والمصاريف والضغوط المادية والنفسية، يضاف إليها تعقيد وصعوبة ترميم العلاقة، إن كان بالإمكان ذلك، فهل نفاخر بأننا محامو تهشيم العائلات وتفكيكها من دون أدنى محاولة للإصلاح المسبق؟

قد يزعج هذا الكلام بعضاً من الزملاء المحامين العاملين في قضايا الأحوال الشخصية -وإن كانوا قلّة- ولكن من واجبنا الإضاءة على مكامن الخلل من أجل البناء وليس الهدم، ومن أجل تصويب العمل وليس تشويه دور المحامي.

أليس جوهر مهنة المحاماة تقديم الاستشارة والنصح القانوني لتجنيب المتنازعين الوصول إلى المحاكم؟ أليست الاستشارات والمصالحات والاتفاقيات هي أيضاً جوهر مهنة المحاماة وقد تكون من أصعب ما فيها في كلّ المسائل التجارية والمالية والعقارية وغيرها من العناوين، فكيف إذاً لا تكون كذلك في قضايا الأحوال الشخصية؟

نحن أمام أزمة اجتماعية باتت تهدد كيان الأسرة وتنخرها بوسائل شيطانية متعددة، نتعرّض لها من كل حدب وصوب بشكل مباشر وغير مباشر، بهدف ضرب آخر ما تبقّى لنا في هذا الشرق، العائلة.

مهما احتدم الصراع بين الزوجين ومهما وصلت الأمور بينهما إلى طريق مسدود، بوجود الأولاد لا صوت يعلو فوق صوت مصلحتهم وصحتهم النفسية والجسدية والمعنوية، إذ بالإمكان تجنيبهم الكثير من تلك الارتدادات السلبية التي تؤثر عليهم مهما حاولنا تجنيبهم ذلك. من قرّر أن يدخل مؤسسة الزواج وينجب أطفالاً عليه أن يعي سواء أكان محامياً أم قاضياً أم متقاضياً أن تحصين العائلة هو الأصل وليس تسجيل النقاط والتحدي "ومن يكسر رأس الثاني بالأول".

كما نزرع نحصد

كل فعل يقابله ردّ فعل، ولا يمكن أن تكون المسؤولية إلا مشتركة بين الطرفين. خلاف الأزواج لا علاقة للأولاد به، مهما كان الزوج بالنسبة إلى الزوجة، سيئاً وحاقداً وفيه كل الصفات القبيحة التي لم تكتشفها قبل الزواج -وهذا موضوع آخر قد نتحدث عنه لاحقاً- فهو سيبقى أبا أولادها، كما أنها ستبقى أمّهم.

فتهشيم صورة الأب من قِبل الأم، كما تهشيم صورة الأم من قِبل الأب، جريمة جزائية يرتكبها الوالدان بحق أولادهما، لأنه عنف مقصود تجاههما. وإن كنا في دولة تطبّق القانون وتحترمه، ينتزع حقهما بالأبوة والأمومة، لأنهما بذلك يشكلان خطراً جسيماً على سلامة الأولاد الجسدية والنفسية ولا يستحقان هذا الشرف.

ما تقدّم لا يعني السكوت عن عنف جسيم وخطر محدق قد يتعرض له أحد طرفي العلاقة، ولا يعني القبول بحياة متوترة ليلَ نهار، ولا يعني تنازلاً متكرراً من أحد الطرفين بهدف حماية الأسرة مع استمرار الطرف الآخر في استباحة شريكه. في هذه الحالات، وحده الانفصال يحصّن العائلة ويحمي الأولاد. فمن يدرك أهمية ما سبق وقدّمناه، يمكنه حل المشاكل الزوجية والحفاظ على العائلة المكوّنة من أم وأب (وإن حُلّت الرابطة الزوجية بينهما) وأولاد، يتشاركون مسؤولية تربيتهم، وهذا بالطبع يتطلب درجات عالية جداً من الوعي قد يكون مفقوداً لدى غالبية أفراد مجتمعنا.

الوقاية خير من ألف دعوى

لنتمكن من فهم كيفية بناء أسس العلاقات الزوجية، علينا أن نعمل على صعد عدة تربوية وقانونية وتثقيفية، وأن نتقن فن صياغة العقود وحلّها، وأن نلجأ للاستشارة القانونية والتربوية والأسرية قبل البدء في تأسيس مؤسسة العائلة وخلالها. وإن فشلنا، يجب علينا اتباع الخطوات نفسها لإيجاد الحل.

كلّ العلاقات الزوجية عرضة للانتكاسات لكثرة تعقيداتها، على الرغم من بساطتها أحياناً، عندما تقتصر على زوجين من دون أولاد، إذ تكبر المسؤوليات وتصعب في وجود الأولاد، عندها لا حرج في التمهّل والتبصّر وطلب المشورة من أهل الاختصاص، لحماية الأولاد وعدم زجّهم في المشاكل وما قد تحمله من صَدمات واضطرابات نفسية.

(مروان بو حيدر)

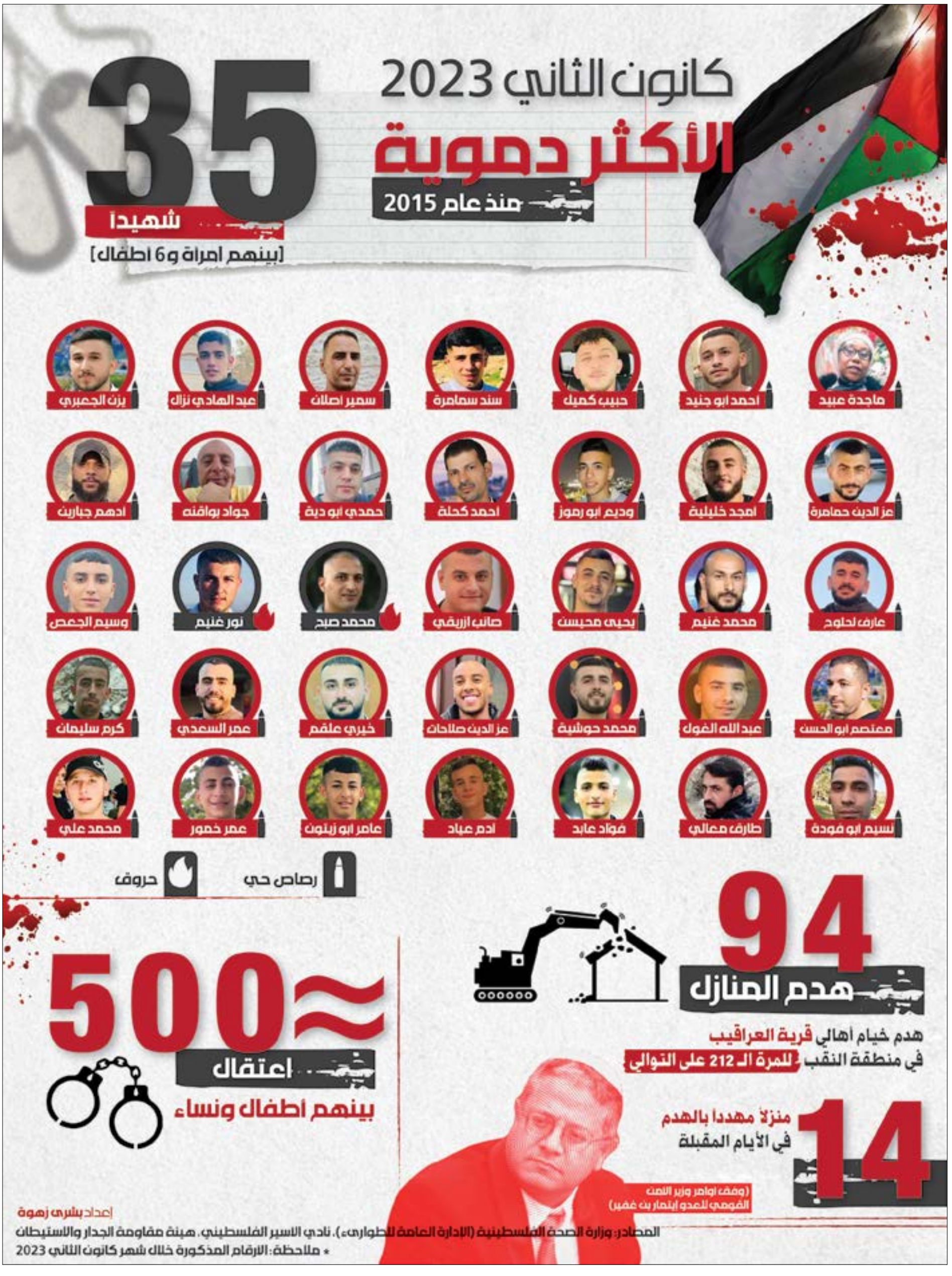

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous
info@alqaous.com www.alqaous.com 01/34 99 54